الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

بمناسبة رأس السنة الهجرية

العدد ٤٢ - الثمن عشرة مليمات - السنة الثانية

2 me Année,No 42.

Lundi-23-4-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

العــــدد ٤٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ محرم سنة ١٣٥٣ — ٢٣ ابريل سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــــدد

صفحة

(ا) العام الهجرى : أحمد حسن الزيات
(جـ) يوم الشهداء : الدكتور طه حسين
٦٤١ المسلمون أمس واليوم : الأستاذ أحمد أمين
٦٤٥ وحى الهجرة فى نفسى : الاستاذ مصطفى صادق الرافعى
٦٤٧ الهجرة : الأستاذ عبد الحميد العبادي
٦٥٣ اشراف الهلال على الوادي : الاستاذ محمد فريد ابو حديد
٦٥٦ الهجرة (رواية) : الأستاذ توفيق الحكيم
٦٦٥ السفارات النبوية : الأستاذ محمد عبد الله عنان
٦٧٠ خالد بن الوليد : الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٧٥ من ذكرياتي : الأستاذ عبد العزيز البشرى
٦٧٨ شرقا وغربا : الدكتور محمد عوض محمد
٦٨٠ النجاشى العادل : الآنسة سهير القلماوي
٦٨٢ الى الشواطىء المصرية (قصيدة) على محمود طه
٦٨٣ اسلام عمر (قصيدة روائية) : فريد عين شوكه
٦٨٥ الحركة الأدبية فى المانيا بعد الحرب : الأستاذ ران
٦٩١ الموسيقى عند العرب : الأستاذ قدرى حافظ طوقان
٦٩٤ ويسألونك عن الأهلة : الدكتور احمد زكى
٦٩٦ القصور الذاتي : الدكتور على مصطفى مشرفة
٦٩٧ التجارب العلمية عند المسلمين : محمد المبارك
٧٠٠ وضاح الشاعر (قصة) : أحمد حسن الزيات
٧٠٤ مسيلمة (قصة) : احمد احمد التاجى
٧٠٨ شهر بالغردقة : الاستاذ الدمرداش محمد .
٧١٠ شهرزاد (نقد) : الدكتور محمد حسين هيكل بك
٧١٢ ديوان الينبوع (رد) : الدكتور احمد زكى أبو شادي

العام الهجري

١٣٥٣

منذ أسبوع قلب الدهر المسجل صفحة ثلاث وخمسين وثلثمائة وألف من تاريخنا المجيد المشرق. قلبها هذه المرة وهو حافل حاشد يرصد فلك الاسلام، ويرقب حركة العرب، ويجمع الأهبة لتسجيل ما يتوقع من أحداث الأمة المبعوثة، والبطولة الموروثة، والعروبة الناهضة!

وكان منذ تفجرت فى وجوهنا الأهوال، واغبرت فى عيوننا الآمال، وأخلد الى الجمام سلطاننا الجاهد، يقلب الصفحة بعد الصفحة، فلا يجد ما يسجل غير أنات العانى، ونشجات الباكى، وخلجات الجناح المهيض، حتى أوشكت حياتنا الخالدة أن تكون لحقا من البؤس والهون لكتاب آبائنا الجليل المحكم! ولكن الأمة العربية التى تمتد جذورها فى أعماق الأزل لا بد من ربيعها وإن طال الخريف!

فالحياة المتجمعة فى الأصل الثابت أخذت تشيع فى الجذع وتنتشر فى الفروع، والظلال الحاسرة فى العهد الجديد جعلت تمتد الى القفر وتنبسط فى الربوع، وأشبال

الفاتحين الذين غيروا وجه الأرض، وحرروا موازين العدل، قد هبوا ينفضون عن المعدن الكريم غبار الزمن، ويمسحون عن الجوهر الحر عبث العوادى، ويعودون الى مكانهم من رأس القيادة وصدر العالم!

فى مصر تضطرب الحياة الجديدة فى البراعم النابتة، وتضطرم نوازى الكمال فى النفوس الهامدة، ويفيض نُبل الاحساس فى صدور الناس فيكفكفه وا أسفاه طغيان الغاصب، وتكدره واحسرتاه بقايا العهد الذليل!

وفى فلسطين تدافع العروبة جراد أوربا الماحق، وتصارع الاستعمار المسلح الخاتل، وتطلب عز الحياة بعز الممات وشرف التضحية.

وفى سورية يقظة عاملة فطنة، تداور خصمها بالصبر، وتواثب جشعه بالحزم، وتقابل نفعه بالحذر، وتصارح هوجه بالنخوة، وتتجهز للمستقبل الباسم القريب بجهازه

وفى العراق «أمة تنشىء الحياة، وتبنى الملك، وتلحق الزمن» وتصل ما انقطع بين ماض ضخم وحاضر نزوع، وتنبض بالحيوية العربية المتجددة نبضان القلب الفتى الطموح

وفى الجزيرة موطن الاسرار ومهبط الوحى ومشرق الدين ومنبت العبقرية تخطر العروبة فى مطارف العز بين سرير الامام وعرش الملك! واذا نزت بين الاخوين نوازى الخلاف فذلك حفاظ ينتهى الى السلم، وحمية تعود الى السلامة، وإن فى اصاختهما الى دعوة الداعين الى الصلح فى أقطار العرب لدليلا على اتجاه الميول الى الوحدة، واصغاء القلوب الى الجماعة

وفى الجزائر وتونس ومراكش قلوب تذوب من حرارة الظلم، ورءوس تدور من خدَر السياسة، وشهداء فى سبيل الوطن والدين يخطُّون لابنائهم بدمائهم وصية المستقبل!

وسائر المسلمين فى تركية وايران وافغانستان والهند والصين وأندوسيا وروسيا ويوغوسلافيا يشعرون بالتطور الجديد، وينظرون الى الأفق البعيد، ويتمنون أن يعود الاسلام كما بدأ مرفوع الراية، مجموع الرأى، مسموع الكلمة!

والأمر فى الجملة يدل على نور ينبثق من جديد فى أمة محمد، وروح ينبعث فى مملكة الرشيد، وشعور يأتلف من هذه الروح وذلك النور فيجمع قلوب الأخوة المتفرقين على هوى واحد!

حسبُنا مطلع العام الهجرى موقظا للشعور وحافزا للهمم وهاديا الى شرف الغاية. يستقبله المسلم الذاكر فتعاوده ذكريان تجددان دينه وتثبتان يقينه وتقومان خلقه: ذكرى هجرة الرسول فى سبيل الدين، وذكرى مقتل الحسين فى سبيل الحق!

فاما هجرة الرسول فقصيدة من قصائد البطولة القدسية لا يفتر عن انشادها الدهر! استمدت وحيها من روح الله، ونسجها من خلق الرسول، وسيرها من صدق العرب! واستقرت فى مسامع الاجيال مثلا مضروبا لقواد الانسانية، يلهمهم الصبر على مكاره الرأى، والاستمساك فى مزالق الفتنة، والاستبسال فى مواقف المحنة، والاستشهاد فى سبيل المبدأ، والاعتقاد الصادق بفوز الفكرة

بلَّغ الرسول ما أُنزل اليه من ربه وقد تألبت عليه جهالة العصبية، وحماقة الشرك، وسفاهة الحسد، وعداوة المنافسة، وحرمان الفقر، وخذلان القلة، فما استكان ولا وهن؛ ثم نبت ففار مكة على الغراس الالهى فهاجر به تحت عين الله الى طيبة!

وهنالك بالصبر والصدق والايمان والرجولة، أثمر غرس الدعوة، وتم نور الله، وأصبحت القلة ملة، وصارت كل قرية من القرى الثلاث قارَّة (١)

وأما مقتل الحسين فلا يزال صكا داميا فى سجل التاريخ، يثبت أن العربى الحر لا تلهيه عن نداء الواجب زهرة الحياة، ولا ترده عن طلب الحق كشرة الموت.

فاذا انتفع العرب والمسلمون بهاتين الذكريين، وجعلوهما كما هما فى رأس العام رمزين على الجهاد الواصب فى سبيل العقيدة، والاستشهاد المروع فى سبيل الحق، عاد أمرهم يجرى مع الشمس، ويسرى مع الروح؛ ويتغلب أخيراً مع الحق!

احمد حسن الزيات

---

(١) القرى الثلاث هى مكة والطائف والمدينة، ومنها ابتدأت الدعوة، والقارات الثلاث هى آسيا وأفريقيا وأوربا، واليها انتهى الاسلام!

من حديث الشهداء

للدكتور طه حسين

لم يذكروا فى تلك الليلة ماضيهم الحلو، وحاضرهم المر، ولم يتحدثوا عن اوطانهم تلك النائية التى كانوا ينعمون فيها بلذات الحياة، ويستمتعون فيها بخفض العيش، ويسيرون سيرة الاحرار لا يعرفون لاحد غير قيصر وعماله عليهم سلطانا، وقد يعرف لهم غيرهم كثيرا من السلطان والبأس، وقد يقدم اليهم غيرهم كثيرا من آيات الطاعة والاذعان. ولم يسمروا بهذه الاحاديث التى تعودوا ان يسمروا بها إذا فرغوا من اعمالهم وانصرفوا الى راحتهم والتى بعضهم بعضا حين ينقضى النهار ويتقدم الليل، والتى كانوا يستعيدون بها حياتهم تلك الجميلة المشرقة، ويستحضرون بها مواطن لذاتهم ونعيمهم، هناك حيث لا يشتد القيظ حتى ينضج الجلود ويصهر الاجسام، وحيث لا تقع العين على الجبال الجرد والوهاد المقفرة، وحيث لا تضيق الارض بالناس ولا يضيق الناس بالارض، وحيث يستقبل الناس ايامهم راضين باسمين، ويستقبلون لياليهم لاهين عابثين. كلا ولم يسمروا فى تلك الليلة بما كانوا يسمرون به من ذكر الفاتنات المفتونات اللاتى كن يحولن حياتهم احلاما ويجعلن جدهم لعبا، ويسرين عنهم كل هم، ويغرين بهم كل نعيم، يخلبنهم باللفظ واللحظ، ويعذبنهم بالدل والتيه، ويسعدنهم بالقرب والوصل، كلا ولم يسمروا فى تلك الليلة باحاديث قيصر وقصره، ولا بانباء الحاكم وحاشيته، ولا بقصص الحرب بين الفرس والروم، وأين هم الآن من قيصر وقسطنطينية؟ واين هم الآن من تلك الثغور الباسمة القوية التى كانت تبسم لاهلها كأنها الجنات، وتعبس لاعدائها كأنها الجحيم. واين هم الآن من الفرس والروم؟ واين تكون مكة من ميادين الحرب بين الفرس والروم؟ كلا. ولم يسمروا فى تلك الليلة بما كانوا يسمرون به أحيانا من أحاديث ساداتهم ومواليهم، وبما كان يتصل بينهم من التنافس والجهاد، وبما كان يدبر بينهم من الكيد والمكر، وبما كان يجتمع لهم من الغنى والثراء، وبما كان يلم بهم من الحوادث والخطوب كلا، ولم يسمروا فى تلك الليلة بما كانوا يسمرون به أحيانا من أحاديث هذه القوافل التى تفصل من مكة الى الشام، فتمضى معها نفوسهم تسايرها فى تلك الطرق البغيضة التى يذكرون طولها وثقلها حين قطعوها عناة أذلاء يساقون الى مكة عبيدا أرقاء، والتى كانت تعود الى مكة قافلة من الشام تحمل من أرض قيصر أنباء مختلطة وأحاديث مشوهة مضطربة، ولكنهم كانوا يتلقفونها ثم يتناولونها بالتأليف والتصنيف، وبالتحليل والترتيب، حتى يكونوا منها شيئا مستقيما أو كالمستقيم: ثم يتخذون منه علما بأمور أوطانهم تلك التى لم يبق لهم اليها سبيل.

كلا. لم يسمروا فى تلك الليلة بشىء من هذا، لأن أحاديث مكة شغلتهم عن كل هذا، وما لها لا تشغلهم وصاحبهم نسطاس قد اشترك فيها وأثار كثيرا منها، وها هو ذا قد اتخذ مكانه بينهم كئيبا كاسف البال، محزونا بادى الحزن، قد اضطربت نفسه أشد اضطراب. وهو يتحدث اليهم فى صوت متقطع مظلم كأنما أسبغ الحزن والندم واليأس عليه ظلمة كثيفة متراكمة لا تنكشف عن شىء. وما له لا يكتئب ولا يبتئس، وما له لا يحزن ولا يندم، وما له لا يفزع ولا يجزع، وقد سفكت يده المسيحية دما بريئا ولما ينتصف النهار: أو كان هؤلاء النفر جماعة من نصارى الروم دفعوا الى بعض أطراف الصحراء وعدت عليهم بعض القوافل فاتخذتهم تجارة، وتقلبت بهم ظروف الرق حتى انتهوا الى ملك جماعة من سادة قريش. وكان نسطاس أنقاهم ضميرا، وأصفاهم قلبا، وأعظمهم حظا من الدين. وكان لهذا كله أصبرهم على ما ألم به من كرب، وأحسنهم احتمالا لما سلط عليه من محنة، ورضى بهذه النكبة التى كان ينظر اليها على أنها اختبار له، وابتلاء لايمانه، وامتحان لثقته، وتهيئة لنفسه لتحيا حياة السعداء اذا انقضت اقامتها فى هذا العالم الشقى البغيض. ولكنه أظهر فى تلك الليلة غير ما تعود أن يظهر لاصحابه من الجلد والصبر، ومن الآباء والاحتمال، وهم يعزونه ويرفقون به فى العزاء، وهم يلومونه ويعنفون عليه فى اللوم، وهم يأتون نفسه من جميع أنحائها يريدون أن يصرفوها عن هذا الحزن العميق، وأن يصرفوا عنها بعض الهم الثقيل، ولكنهم لا يبلغون منه شيئا ولا يزيدونه الا إغراقا فى الحزن وغلوا فى اليأس، وربما بلغوا بأحاديثهم قرارة نفسه فأثاروها ودفعوه الى الحديث فاذا هو يتكلم بكلام تقطعه العبرات وتبلله الدموع. وكان نسطاس مالكا لصفوان بن أمية، وكان قد أنفذ فى ذلك اليوم أمره فى أسير من أسرى الانصار يقال له زيد بن الدثنة دفعه الى صفوان وأمره أن يخرج به من الحرم، حتى اذا بلغ به التنعيم قتله ثم عاد، ولم يكن مثل هذا

العمل يحبب الى نسطاس ، ولكنه لم يكن خليقا أن يدفعه الى مثل هذا اليأس المهلك لولا أنه عرف من أمر أسيره وصريعه ، ومن أمر أصحابه ما عرف ، ولولا أنه رأى من أمر زيد ما رأى ، وسمع من أمر خبيب ما سمع ، وانتهت اليه أحاديث أولئك الذين أدركهم الموت قبل أن يحملهم الى مكة ويبيعهم لقريش غدر الغادرين من هذيل . ولكنه عرف ما عرف ، ورأى ما رأى ، وسمع ما سمع . فذكر أمورا كان يقرؤها فى الكتب ، وأحداثا كان يهلع لها حين يسمع أنباءها من الوعاظ . ذكر أولئك الشهداء الذين قتلوا فى المسيحية تقتيلا ، والذين امتحنوا بما كتب الله عليهم من ضروب المحن وفنون الكيد فلم تضعف نفوسهم ولم تهن عزائمهم ولم يفرطوا فى دينهم ولم يجد الشك الى نفوسهم سبيلا . ذكر أولئك الشهداء الذين أقاموا مجد المسيحية على اشلائهم وغذوه بدمائهم ، وقووه بضعفهم ، وأعزوه بما احتملوا فى سبيله من الذل ، وأيدوه بما لقوا فى سبيله من الأذى والآلام . ذكر أولئك الشهداء الذين كان يكبرهم ويجلهم ، ويرى أنهم شفعاؤه وشفعاء أمثاله عند الله ، وانهم قدوته الصالحة وأسوته الحسنة ومثله الأعلى ، وانه أسعد الناس لو استطاع أن يظفر ببعض ما ظفروا به من عذاب الدنيا ونعيم الآخرة ؛ ومن ذل الدنيا وعز الآخرة ؛ ومن هذا الموت الهين السريع الذى تتبعه حياة باقية سعيدة متصلة لاحد لما فيها من نعيم .

ذكر هؤلاء الشهداء وذكر أنه لم يزد حين أطاع أمر مولاه صفوان على أن قتل واحداً منهم ، واقترف ذلك الاثم الذى اقترفه الظالمون الذين اضطهدوا الشهداء وفتنوهم ؛ ثم قدموهم قربانا الى آلهتهم وأوثانهم فى الزمن القديم . هنالك اضطربت نفسه اضطرابا ، وزلزل قلبه زلزالا ، ورأى حياته كلها وقد استحالت الى شر منكر ، ورأى ما قدم من الخير وقد استحال الى فساد ، ورأى ما احتمل من الآلام وقد أصبح هباء . وهنالك ملك الندم عليه أمره ، وملأ اليأس عليه قلبه ، وعجز أصحابه عن أن يمسوا نفسه بما كانوا يقدمون إليه من تسلية أو عزاء . على انه لم يكن يحس فى نفسه شيئا من الموجدة على مولاه صفوان ، ولم يكن يضمر شيئا من البغض ، انما كانت موجدته كلها وحقده كله قسمة بين نفسه وبين امرأة من قريش ، هى سلافة بنت سعيد بن سهم زوج طلحة ابن عبد الله بن عبد العزى . كان واجدا على نفسه أشد الموجدة ، مبغضا لها أشد البغض لأنها أثمت بقتل هذا الرجل الشهيد ، وكان حانقا على سلافة حاقدا عليها لأنها هى أصل هذا الشر ، ومصدر هذا الاثم ، ومنشأ هذا البلاء . وكان يقول لأصحابه : لولا أن هذه المرأة الآثمة نذرت ما نذرت ، واذاعت ما اذاعت فى أهل البادية ، لما دفع صفوان الى مادفع اليه ، ولما ظفر صفوان بما ظفر به ، ولما اشترى اسيره ، ولما انفذت امره فيه . قال أصحابه وما نذر سلافة وماذا اذاعت فى الأعراب ؟ قال اتذكرون يوم حشدت قريش لحرب صاحبها فى يثرب كيف كان اشراف مكة موتورين يأكل قلبهم الغيظ ، وتملأ نفسهم الحفيظة ، وتضطرب امامهم اشباح الخزى . يذكرون هزيمتهم حين لقوا صاحبهم لأول مرة ففعل بهم الافاعيل ، وترك من اشرافهم صرعى لم يثوبوا الى أهلهم ولم يستمتعوا بتجارتهم تلك الرابحة التى انقذها أبو سفيان . ويشفقون أن يتراءى لهم الموت فلا يثبتوا له ولا يقدروا على النظر اليه فيفروا منهزمين كما فروا من قبل . ويتركوا صرعى من اشرافهم كما تركوا مثلهم من قبل .

هنالك اجمعوا أمرهم على ان يتقووا بالنساء ويتقوا بهن الهزيمة والعار ، فاختاروا منهن اعلاهن قدرا وارفعهن شأنا وانبههن ذكرا واقدرهن على دفع الرجال الى غمرات الموت . وكانت سلافة بين هؤلاء النساء ، خرجت مع زوجها وبنيها الثلاثة ، وعادت مع المنتصرين ايما ثكلى قد فقدت زوجها وفقدت بنيها

ثم سكت نسطاس كأنما يستحضر هولا يروع النفوس ويخلع القلوب . ثم عاد الى حديثه فى صوت هادىء بعيد فقال : ان كانت لوقعة مروعة حقا تلك التى كانت عند يثرب . لقد عادت قريش تتحدث بالاعاجيب ، لقد عادت تتحدث بالاخوان يسعى بعضهم الى بعض بالموت . لقد عادت تتحدث بالامهات يدفعن ابناءهن الى أن يقتل الرجل منهم أخاه . لقد عادت تتحدث بأم مصعب بن عمير وقد قتل ابنها مصعب فما كان لها أن تظهر عليه حزنا أو جزعا لأنه كان من خصم قريش وأصحاب محمد ، لقد عادت قريش منتصرة تتحدث بأمر سلافة هذه وقد فقدت زوجها وتلقت ابنيها احدهما بعد صاحبه يبلغها وقد أصابه السهم فتضع رأسه على حجرها وتسأله يابنى من أصابك ؟ فيقول ما أدرى ، ولكنى سمعت قائلا يقول : خذها وأنا ابن الأفلح . ثم أصابنى السهم ،

(البقية على صفحة ٧١٥)

المسلمون أمس واليوم

للاستاذ احمد امين

في نحو ثلاثة وعشرين عاما استطاع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما منح من قوة العقيدة . وصدق العزيمة . وبعد النظر وتأييد الله أن يحول العرب من جماعات مختلفة اللغة ، مختلفة الدين ، مختلفة الرأى ، مختلفة الاهواء ، تشعر بالضعة اذا قارنت نفسها بمن حولها ، وبالذلة اذا رأت من فى جوارها ، لا يفكر الفرد فيها الا فى نفسه ، فان اتسع أفقه ففى قبيلته ، فان فكر فى قبيلة أخرى ففى الانتقام والأخذ بالثار ، وشن الغارة للسلب والنهب — الى أمة واحدة ، متحدة اللغة ، متحدة الدين ، متحدة الرأى ، يشعر الفرد فيها أنه من أمة أعزها الله بالاسلام . وفضلها به على الانام . وجعلهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . وليس ذلك بالكثير فى تاريخ الأمم .

فان مات محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتعد اصلاحه جزيرة العرب ، فقد أعد أمة لاصلاح غيرها ، ولسيادة الناس خير اعداد — حتى اذا وجهها قادتها نحو الفتح ، أتوا بما حير علماء السياسة والاجتماع والتاريخ الى اليوم — بسطوا سلطانهم على جزء كبير من العالم فى أقل من عشر سنين ، ولم يكن فتحهم تخريبا وتدميرا ، انما كان فتحا منظما أحكمت قواعده وأصوله — واستمروا ينتقلون من فتح الى فتح ، ومن ظفر الى ظفر ، مما يجعل الباحث يقتنع بأن نجاحهم لم يكن حظا أتيح لهم ، ولا مصادفة وقعوا عليها — انما كان نتيجة مبادىء صحيحة اعتنقوها ، ونفوس قوية ضمت صدورهم عليها — ومع ما عرض لهم من خلاف فيما بينهم كان من طبيعته أن يودى بأمثالهم من حروب داخلية ومنازعات سياسية وخلافات دينية ، تغلبوا على كل ذلك ، ولم يمنعهم من الظفر بعدوهم واستمرارهم فى فتوحهم .

ثم هم ساهموا فى كل شأن من شؤون المدنية ، إن نظرت الى الدين فقد دعوا الى دينهم فدخل الناس فيه أفواجا فى هدوء من غير عنف ، ولم يمض قرنان على فتحهم حتى كان أكثر البلاد المفتوحة على دينهم ، ثم هو لا يزال ينتشر الى اليوم مع انعدام الدعاة ، وعدم حماية الدعوة ، وان نظرت الى اللغة رأيتهم هيئوا لغتهم لكل جديد ووسعوها — وهى البدوية الأصل والمنشأ . حتى أحاطت بكل مرافق المدنية إذ ذاك ، وحتى زاحمت الفارسية فى فارس ، والرومانية فى الشام والقبطية فى مصر ، وسارت مع الدين جنبا لجنب ، كلما ظفر الدين ظفرت اللغة ، وكسبت لغتهم قادة الفكر فى كل هذه الأمم المفتوحة . فأصبحوا يمنحونها خير أفكارهم وأفكار أممهم ، وظلت اللغة العربية تسود حتى نسى كثير من الامم لغتهم الاصلية ، وأحلوا محلها العربية ، ولو لم يعتنقوا الاسلام

وان نظرت الى النظم والتشريع فكذلك ، قد أقلم المشرفون أنفسهم وكانوا حيث حلوا مرنين يقفون موقف المتفهم للموجود من نظم وقوانين ثم يقرون ما لم يتعارض وأصول دينهم ، ويغيرون ما تعارض ، ووقف الفقهاء فى كل قطر يوسعون مذاهبهم حسب الحاجة ، وحسب الأقليم الذى حلوه ، وخلفوا من كل ذلك قوانين لا تزال الى اليوم محل اعجاب المنصفين من المتشرعين

وان التفت الى العلم رأيت أنهم فى كل فرع من فروع العلم أخذوا بحظ وافر ، لم يمنعهم دينهم أن يأخذوا عن وثنيي اليونان فلسفتهم ، ولا عن النساطرة طبهم ، ولا عن اليهود ما يروون من أخبار أنبيائهم وعلمائهم ، وأبلوا فى العلم بلاء لا يقل عن بلائهم فى الحرب ، فحيث حلوا رأيت علما كثيرا وجدا عجيبا ؛ ثم خلفوا من كل ذلك ثروة فيها غاية ماوصل اليه العلم لعهدهم . فهموا ما كان من علم قبلهم وتداولوه بالشرح والنقد وضموا اليه ماأوحته نظرات دينهم من علوم اسلامية ، ومذاهب دينية ، وزادوا فى ثروة من قبلهم بما بذلوا من جهد وأنفقوا من مال ونفس

فلئن لم يكونوا سادة العالم فقد كانوا سادة فى العالم ، وان لم يكونوا رأسه المفكر فقد كانوا رأسا من الرءوس ، لا عبيدا ولا أذنابا ، ووقفوا فى بعض أيام تاريخهم من العالم موقف المعلم ، يرحل من اراد العلم من الاوربيين اليهم ، وينقلون الى اللاتينية كتبهم ، ويدرسون فى جامعاتهم علمهم — وفى السياسة العالمية وقفوا موقف الموازن ، يسمع لقولهم ويحسب حسابهم ، وتعقد المعاهدات المحترمة معهم .

* * *

ثم دار الزمن دورته وأصبح سادة الأمس عبيد اليوم ورءوس الأمس أذناب اليوم ، وشباب الأمس هرم اليوم ، وقضى على حضارتهم

ماقضى على حضارة اليونان والرومان، والآشوريين والبابليين، وقدماء المصريين، الا فرقاواحداً وهو أن حامل لواء الحضارة الاسلامية لا يزال حيا وان كان شيخا فانيا ، وان الشيخ ان لم يصب بالعقم فقد يلد طفلا يمر بأدوار الحياة ومنها الشباب ، وان الامم ان لم تمت فلها أيام ، فقد يكون للاسلام فجر وضحى ، وعصر وغروب ، ولكن لا يلبث الليل حتى ينجلي عن صبح آخر فيه كل صفات الصباح ، من نور وضياء ، و اشراق يدفع للحركة ، ونسيم يبعث الحياة

وبالفعل يظهر أن هذا الشيخ الفاني قد مات أو كاد ، وأن الله فالق الاصباح ومخرج الحي من الميت لم يصبه بالعقم ، ووهبه ما وهب زكريا «إذ نادى ربه نداء خفيا ، قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . و انى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . ياز كريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا »

ولكن إن ورث « يحيى » من زكريا علما وحكمة فانى أخشى أن يرث « يحيانا » تركة قد اثقلت بالديون وأفعمت بالمغارم ، فهل من سبيل الى أن يرث من آبائه الابعدين لا من آبائه الاقربين ؟ يحدثنا علماء الوراثة بأن ذلك جائز فى قوانينهم ، وأن بعض الابناء يرث من جده الأبعد لا من أبيه الأقرب ، ان كان ذلك كذلك فخير له ، فأن أباه أشعث أغبر ، لوحته الهموم ، وأحنت ظهره الاحداث، أما جده البعيد فجميل المحيا ، مشرق الجبين ، صارعه الدهر ، فصرع الدهر ، وأرادت أن تنال منه الاحداث فنال منها ، ولكن أنى لنا ذلك ، ومربوه من جنس أبيه ، فان لم تفسده الوراثة أفسدته البيئة وأفسده المربى وأفسده الموالى من ورائه يكيدون له ، ويضعون الخطط تلو الخطط لاغتياله . لا يكون ذلك حتى يرزق «يحيى» بالمثل الصالح ، والمربى الصالح ، يفتح عينيه ليرى ماحوله ، ويضع له البرامج ليعده أن يكون سيداً مع السادة ورأسا بجانب الرءوس ، يبنى صرح المدنية مع بناته ، ويشيد العالم مع مشيديه ، فأن كان العالم لا يسع الا مدنية واحدة شارك فيها ، وإن كان يسع مدنيتين فا كثر ، أسس هو مدنية تتفق وروحه ، وعقليته ونفسيته ، ودينه وخصائصه .

٭٭٭

من نحو خمسة قرون فقد المسلمون مركزهم العالمى ، وأصبحوا حيث حلوا عنوان الذل والعبودية ، وحلفاء الفقر والمسكنة ، ولم يكن تأخرهم راجعا الى بيئتهم كما يذهب بعض الباحثين ، فهم يسكنون بيئات تختلف حرارة وبرودة ، وتختلف خصبا وجدبا ، وتختلف جفافا ورطوبة ، وهم مع ذلك فى مستوى واحد من الضعة والتأخر ، على أن الأمر لو كان يرجع الى البيئة ماتداول عز وبؤس ، ونعيم وشقاء ، وسيادة الأشراف وصعلكة العبيد ، ولكانوا على حال واحد أبداً ، لأن البيئة تلازمهم أبداً — كما أن الأمر لا يرجع الى مايجرى فى عروقهم من دم ، فدمهم الذى يجرى فيهم اليوم هو من نوع الدم الذى كان يجرى فى عروقهم أمس ، وقد بطلت نظرية أن الله اختار من عباده جميعا شعبا واحدا عهد اليه تنظيم العالم وسيادته هو الشعب التيوتونى أو الشعب الآرى ، فليس من أمة الا وهى خليط من دماء مختلفة ولو كان كذلك لما عزوا وذلوا ، وعلوا وسفلوا ، وليس أمر المسلمين كذلك يرجع الى دينهم فدينهم قديما كان هو سبب سعادتهم وهو الذى انتشلهم من بؤس ، وأعزهم من ذل — والدين متى كان صالحا فى أسسه كالاسلام كان باعثا على الاصلاح لا الفساد ، وعلى النهوض لا الانحطاط ، انما هو ككل دين يختلف باختلاف العين التى تنظر اليه ، فان صلحت العين صلح ماتنظر اليه ، وان ساءت ساء ، بل قد رأينا فى تاريخ الامم عينا صحيحة ودينا مريضا استطاعت العين لصحتها أن تصلح منظره وتجمل شكله

على انى لا أرى أن المسلمين تأخروا وانحطوا بالمعنى الحرفى الذى يفهم من الكلمة أعنى الرجوع إلى الوراء ، بل كل ما فى الامر أنهم وقفوا حيث كانوا من خمسة قرون ، وغيرهم سائرون ، وناموا وغيرهم أيقاظ ، فلما بدأوا ينتبهون رأوا الشقة بعيدة واللحاق يتطلب عزما قويا وجهدا بالغا

مظاهر هذا الوقوف وإن شئت فسمه الركود متجلية فى كل مرفق من مرافق الحياة — ففى اللغة وهى أداة الثقافة ، وآلة العلم ووسيلة الرقى العقلى — وقفنا حيث انتهى الامر بالدولة العباسية ، ولم نساير الزمن ولم نخط معه خطواته ، تغير وجه الحياة ، واخترعت ألوف الآلات ، ومعاجم لغتنا — كما هى — لا تعترف الا بما كان ، وتهمل ماهو كائن وما سيكون ، فلا هى توسعت فى مدلول الكلمات العربية ووضعت منها أسماء للجديد ، ولا هى سمحت بالكلمات الاجنبية أن تدخل من غير تعديل أو بتعديل ، والخلاف محتدم ، والنزاع قائم ، ومركزنا كما هو لم نتقدم فيه شبرا — مع أنا واجهنا هذا الامر منذ احتككنا بالمدنية الحديثة ، وحرنا فى تصرفاتنا فحينا

ندرس كثيرا من المواد فى مدارسنا بلغة أجنبية وحينا تأخذنا العزة القومية فنحولها الى العربية ، والنقص كما هو والموقف كما هو

وفى التشريع تغير العالم فى معاملاته ، فانتجت المدنية الحديثة أنواعا من المعاملات عديدة ، وأنواعا من الجرائم جديدة ، ونظما فى الحكم والقضاء ، فابى رجالنا الا أن يقفوا حيث هم ، أبوا أن يفتحوا أعينهم لأنواع الشركات الا ما نص عليه فى الكتب القديمة من شركة مفاوضة ووجوه وعنان ، وأبوا أن ينظروا الى نظام الجارك الا ما ورد فى كتب الفقه فى باب العاشر ، وأبوا أن ينظروا فى جرائم الكيوف والاختلاس والتزوير الا ما جاء فى باب التعزير فكان من الزمن أن تركهم فيما هم فيه ، وسلب من يدهم أوسع أبواب التشريع ، وهى ما يتعلق بالمسائل المدنية والعقوبات واستمد من قانون نابليون اذ أبى ، بالعلماء أن يمدوه بالفقه اولم يترك فى يدهم الا الأحوال الشخصية الى حين

وكان موقفنا فى الاخلاق موقفنا فى اللغة والتشريع ، فالمدنية الحديثة كان لها من الاثر ما غير قيم الاخلاق ، وقلب أوضاعها وطبعها بطابع جديد ، ذلك أن أكبر أسس المدنية الحديثة وأهم أركانها الصناعة — ومن أجل هذا قومت الاخلاق من جديد على أساس الصناعة ، ورتبت قائمة الاخلاق ترتيبا يتفق والصناعة ، فخير الاخلاق النظام ، والنظافة ، والصدق فى المعاملة ، والمحافظة على الزمن ، والاقتصاد ، وما الى ذلك ، وجعلت هذه الصفات فى المنزلة الاولى ، ووضع للعمال نظم لحمايتهم وترقية شؤونهم من نقابات وجمعيات ، وقلبت القائمة التى وضعت فى القرون الوسطى رأسا على عقب ، فالحياء والتواضع والسماحة ونحوها قل أن تعد فضائل ، واذا سمح بعدّها فى ذيل القائمة لانها لا تتناسب مع أخلاق القوة وأخلاق الصناعة ، فليس خير الصناع اشدهم حياء وأكثرهم تواضعا ، ولكن خيرهم أقواهم وأمهرهم ، وأحفظهم على نظام ، وأشدهم مراعاة لموعد وهكذا — وجاء العلم نخدم هذا النظر لانه رقى الصناعات رقيا عظيما بفضل ما يقدمه لها كل يوم من مكتشف جديد ، وبجانب هذا تحكم العلم فى تقويم الاخلاق . فغير الانظار القديمة وجعل المقياس سعادة الناس ورفاهيتهم فى الحياة الدنيا ، ولم يعبأ بالتقدير المأثور عن السلف ، فنظر من جديد الى الموسيقى والالعاب وسائر الفنون ، وحكم بالحسن على ما كان يحكم عليه من قبل بالقبح ، وعد كثيرا مما كان قبل اثما وحراما وجريمة محمدة وخيرا وفضيلة ، ورأى أن ما فى حياة القرون الوسطى من رهبنة واعتكاف فى الاديرة والتكايا ونحو ذلك ، عيشة كسل وخمول لا تتفق وخير الناس ، فمن لم يعمل لا يأكل ، جرى كل هذا والمسلمون حائرون بين تقاليدهم القديمة وما تقدمه المدنية الحديثة من نظر جديد — والزمن لا ينتظرهم فى حل الاشكال واختيار أحد الطريقين ، فلما ترددوا جرفهم طوعا أو كرها من غير أن ينظرهم حتى يبتوا فيما يتفق وأخلاق المدنية الحديثة مع تقاليدهم ودينهم وتاريخهم وما لا يتفق .

ويطول بنا القول لو عددنا كل مرفق من مرافق الحياة وأبنا ما أصابه من ركود فنجتزئ بما ذكرنا من أمثلة للدلالة على باقيها .

* * *

ثارت أوربا فى التاريخ الحديث ثورات سياسية وثورات صناعية ، كان من نتائجها تغيرها تغيرا كبيرا فى القرن التاسع عشر فمن الناحية السياسة حلت الديمقراطية محل الارستقراطية بما يتبع ذلك من تغير فى النظم والتشريع ، ومن الناحية الصناعية حلت المصانع الكبيرة والشركات ، والسكك الحديدية والتلغرافات والتليفونات والكهرباء محل المظاهر الساذجة من صناعات يدوية وحمل على الخيل والبغال ، واستنارة بالشمع والزيوت ، وما الى ذلك وهذا التغير السياسى والصناعى هو ما نسميه بالمدنية الحديثة . وتبع هذا التغير الداخلى فى أوربا ، تغير آخر خارجى ، فقد اتجهت أفكار قادة الرأى فيهم الى غزو آسيا وافريقيا وكان الباعث لها على ذلك جملة أمور ، أولها اقتصادى وهى أن تجد لها فى الشرق أسواقا لصناعاتها التى ذكرنا ولتجد لها فى الشرق مواد أولية لتغذية صناعتها ، وثانيها وطنى ، وهو أن كل أمة من امم أوروبا فشت فيها النزعة الوطنية وامتلأت نفوس أهلها حمية ، ودفعها ذلك لأن تتطلب كل أمة قوة المظهر داخلا وخارجا ، ومن أهم ذلك التوسع فى الاستعمار وبسط النفوذ ، والفخر بلون الخرائط — وثالثها — وهو أقل من الاولين شأنا الدافع الدينى فقد دفع قوما من اوروبا لنشر الدعوة المسيحية فى البلاد الاسلامية واستعانوا بالسلطة على حمايتهم

على كل حال — حمل الأوربيون الى أسيا وأفريقيا مدنيتهم مع فتحهم ، وكان لابد لهم أن ينظموا الحال فيهما بما يتفق والنظام السائد عندهم ففى التشريع لابد أن تسود المبادىء القانونية السائدة فى أوربا حتى تسهل التجارة ويأمنوا على معاملتهم للشرقيين ، ولا بد من انتشار المدنية الحديثة بآلاتها وأدواتها حتى تروج فى الشرق البضائع الأوربية ، ولا بد أن يتعلم طائفة من المفتوحين على النمط الاوروبى

الحديث ، وأن يكونوا هم المتولين المناصب الكبيرة حتى يمكن التفاهم معهم فى تسيير الشؤون ، وهكذا كان من أثر انتشار هذه المدنية بين المسلمين نتائج كثيرة أهمها فيما يظهر لى أمران - الاول - اختلال التوازن بين الأمم الشرقية عامة والامم الاسلامية خاصة ، وأكبر ما تمنى به أمة اختلال توازنها ، ذلك أن المدنية الحديثة بما استتبعها من تغير فى مظاهر الحياة الاجتماعية ومن تعديل فى قيم الاخلاق ، كانت نتيجة لثورات داخلية شبت فيه ، وآمال وآلام جاشت فى صدره وتجارب جربها وأخطأ فيها فأصلح خطأه وهكذا كانت حركاته سلسلة متصلة تسلم حلقة منها الى حلقة ، ونسير فى التدرج فيها سيرا طبيعيا ، أما فى الشرق فجاءته « هذه المدنية » لا من داخل نفسه بل من خارجها ، وفرق كبير بين ما دعت اليه الطبيعة وما دعا اليه التقليد — ولاختلال هذا التوازن مظاهر كثيرة فان نظرت الى القضاء فقضاء شرعى فى الاحوال الشخصية يطبق نظم المدنية الاسلامية وقضاء اهلى يطبق نظم اوربا معصرة وقضاء مختلط يخالفهما ، وفى الحياة الاجتماعية نرى قرى لم يتأثر أهلها بالمدنية الحديثة فى قليل من شؤونهم ولا كثير ، ومدنا تاثرت الى حد كبير بها حتى فى أدق أمورها ، ولعل خير ما يمثل مظاهرنا المختلفة المضطربة اختلاف ملابسنا وتعدد أشكالها مما لا يعرف له نظير فى أوربا .

وفى التعليم انواع تتبع الانماط الاسلامية فى عصورها ، وأنماط تتبع المدنية الحديثة فى مظاهرها وأشكالها ، وهكذا فأن أنت نظرت إلى أية أمة اوربية فى كل مظاهر الحياة من لغة وتعليم وملبس ومظهر اجتماعى رأيت فيها وحدة رغم الاختلافات السطحية ، وان أنت نظرت الى حياة المسلمين فى كل مرفق من هذه المرافق لم تجد هذه الوحدة ووجدت الخلاف فى الصميم ، نرى نزعات تتجه نحو تاريخهم ودينهم ومدنيتهم القديمة ونزعات تتجه نحو المدنية الحديثة ولا رابطة تربط هذه النزعات - وترى ناحية من نواحى المدنية الحديثة تطغى وتكثر ولا يماثلها ما يقابلها فيطغى - مثلا - فى الشرق لهو أوربا من خمر ورقص وحياة مترفة وهى كثيرة فى أوربا كثرة تفوق براحل ما فى الشرق ، ولكنها فى اوربا تتعادل وتتوازن ، فلهو كثير يزنه جد كثير ، واجرام يوازنه حزم ، وليس كذلك فى الشرق فلهو لا يعدله جد واجرام لا يوازنه حزم - وعلى هذا النمط يختل التوازن وتفقد الأمة قوتها الحيوية - ولا يمكن أن تصلح هذه الحال إلا اذا توافر جماعة من خيرة الامة على دراسة الموقف الاجتماعى للمسلمين والشرق دراسة عميقة مسلحة بما وصل اليه علم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ ، ثم يضعون بعد هذه الدراسة الاكاديمية خططا للسير فى هذا الظرف العصيب ظرف الانتقال ، يعرفون الداء ويصفون الدواء ، يعلمون مدنيتهم القديمة والمدنية الحديثة ، ومعايب كل ، ومزايا كل ، ويعلمون الحالة النفسية لأممهم وما يناسبهم وما لا يناسبهم ويبينون « خطة الانتخاب » يعرفون مناحى اختلال التوازن وأسبابها ويرسمون طريقة « إعادة التوازن » .

والأمر الثانى من نتائج انتشار المدنية الحديثة بين المسلمين أمر يناقض الأول ويكاد يسير سيراً عكسيا معه ، ذلك أن انتشار التعاليم الجديدة للمدنية الحديثة واضطرار الاوربيين لتأليف فرقة من المسلمين يتكلمون لغتهم ، ويتعلمون مناهجهم ، ويتشربون مبادئهم ، أمكنت هذه الطائفة من الاطلاع على المبادىء التى تدعو الى الديموقراطية ، وتبث روح الوطنية ، فكان من ذلك أن أشربوا روح الثورة — نظروا الى أممهم بالعين التى نظرت الى هذه المبادىء فأيقنوا بحقهم فى الحياة ، وحقهم فى الاستقلال ، وحقهم أن يساهموا فى بناء صرح المدنية ، وأن يشاركوا فى تحمل اعباء الانسانية — وزادهم عقيدة فى ذلك ما رأوا من أن أوربا تحكم آسيا وأفريقيا على قاعدة مختصرة موجزة واضحة طبيعية ، وهى أنها تتجه فى تسيير آلات الحكم الى منفعتها هى ، فحيث اتفقت مصلحة آسيا وأفريقيا مع أوربا نفذت المصلحة المشتركة ، وحيث اختلفت مصلحة آسيا وأفريقيا مع مصلحة أوربا ، فطبيعى أن تنفذ مصلحة أوربا ، وقد ينظر فى تقدير المصلحة النظر الضيق القريب لا النظر الواسع البعيد - كان من جراء هذا وذاك وجود الاصطدام وشعور الشرق بالغبن ، وقيام الطائفة المتعلمة على النمط الحديث ببث روح الوطنية — وعملت هذه الحركة فى النفوس سنين وتكفل الزمن بأن يظهر كل حين وآخر حادثة تفتح عيونهم وتقوى شعورهم ، فكان القلق فى كل مكان فى الشرق ، فى مصر ، فى تونس ، فى الجزائر ، فى مراكش ، فى فلسطين ، فى الشام ، فى العراق ، فى الهند ، فى غيرها من البلدان ، قلق اقتصادى وقلق وطنى وقلق دينى ، هذا القلق أنتج وليداً جديداً هو ما وصفته قبل ، ماذا ينتهى اليه هذا القلق ؟ ماذا يكون شأن هذا الوليد ؟ ما تاريخه المستقبل ؟ هذه الاسئلة وأمثالها خارجة عن عنوان مقالنا وهى بعنوان « المسلمون غدا » الصق والیق ، وكل ما أعلمه الآن وأريد أن أقوله عن هذا الطفل أنه « لن يموت » .

احمد أمين

وحى الهجرة فى نفسى

للاستاذ مصطفى صادق الرافعى

ان التاريخ ليتكلم بلغة أوسع من ألفاظه إذا قرأه من يقرؤه على أنه بعض نواميس الوجود صورت فيها النفس الانسانية ، كيف اعتورت أغراضها ، وكيف مدت فى نسقها ، وكيف تغلغلت فى مسالكها ، وما تأتى لها فجرت به مجراها ، وما دفعها فانحدرت منه الى مقارها . فهو ليس بكلام تستقبله تقرأ فيه ، ولكنه أحوال من الوجود تعترضها فتغير عليك حسك بالهامها وأحلامها ، وتتناولها من ناحية فتتناولك من الأخرى ، فاذا الكلمة من ورائها معنى ، من ورائه طبيعـــة ، من ورائها سبب وحكمة ، واذا كل حادثة فيها انسانيتها وإلهيتها معاً ، واذا الوجود فى ذهنك كالساعة ترسم لك حد الثانية بخطرتين ، وحد الدقيقة من عدد محدود من الثوانى ، ثم حد الساعة إلى حد اليوم ، واذا البيان فى نفسك من كل هـذه الحواشى ، واذا التاريخ فيما تقرؤه مفتن فى ظاهره وباطنه يفىء عليك من ألفاظه ومعانيه بظلال هى صلتك أنت أيها الحى الموجود بأسرار ما كان موجوداً من قبل .

كذلك قرأت بالأمس تاريخ الهجرة النبوية فى كتاب أبى جعفر الطبرى لأكتب عنه كلمة فى « الرسالة » فلم أكن علم الله — فى كتاب ولا فى حكاية ، بل فى عالم انبثق فى نفسى مخلوقا تاما بأهله وحوادث أهله ، وأسرار أهله وحوادثه جميعا ، كما يرى المحب حبيبه ، لا يكون الجميل فى محل الا امتلأ مكانه بعاشقه ، فهو مكان من النفس والدنيا ، لا من الدنيا وحدها ، وفيه الحياة كما هى فى الوجود بمظهر المادة . وكما هى فى الحب بمظهر الروح . وتلك حالة من القراءة بالروح والكتابة بالروح متى أنت سموت إليها رأيت فيها غير المعنى يخرج معنى ، ومن لا شىء تخلق أشياء . لانك منها اتصلتِ بأسرار نفسك ، ومن نفسك اتصلت بأسرار فوقها ، فيصبح التاريخ معك فن الوجود الانسانى على الوجه الذى أفضت به الحكمة الى الحياة لتستمر بالنفس الانسانية ، لا فن علم الناس على الوجه الذى أفضت به الحوادث مما بين الحياة والموت .

٭٭٭

نشأ النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة واستنبىء على رأس الأربعين من سنه ، وغبر ثلاث عشرة سنة يدعوا الى الله قبل أن يهاجر الى المدينة فلم يكن فى الاسلام أول بدأته إلا رجل وامرأة وغلام : أما الرجل فهو هو صلى الله عليه وسلم ، وأما المرأة فزوجه خديجة ، وأما الغلام فعلى ابن عمه أبى طالب . ثم كان أول النمو فى الاسلام بحر وعبد : أما الحر فابو بكر . وأما العبد فبلال ، ثم اتسق النمو قليلا قليلا بطء الهموم فى سيرها ، وصبر الحر فى تجلده ، وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح ، ضيق لا يتسع ، جامد لا ينمو ؛ وكان النبى صلى الله عليه وسلم أخو الشمس ؛ يطلع كلاهما وحده كل يوم . حتى اذا كانت الهجرة من بعد ، فانتقل الرسول الى المدينة — بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقـدمه على مركزها فضغطها فحركها ، وكانت خطواته فى هجرته تخط فى الارض ، ومعانيها تخط فى التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب .

لقد كان فى مكة يعرض الاسلام على العرب كما يعرض الذهب على المتوحشين ، يرونه بريقا وشعاعا ، ثم لا قيمة له وما بهم حاجة اليه ، وهو حاجة بنى آدم إلا المتوحشين ، وكانوا فى المحادة والمخالفة الحمقاء ، والبلوغ بدعوته مبلغ الأوهام والأساطير — كما يكون المريض بذات صدره مع الذى يدعوه فى ليالى القر الى مداواة جسمه بأشعة الكواكب ؛ وكانت مكة هذه صخراً جغرافيا يتحطم ولا يلين ، وكأن الشيطان نفسه وضع هـذا الصخر فى مجرى الزمن ليصد به التاريخ الاسلامى عن الدنيا وأهلها .

وأوذى رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وكذب وأهين ، ورجف به الوادى ، يخطوا فيه على زلازل تتقلب ، ونابذه قومه وتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضا عليه ، وانصفق عنه عامة الناس وتركوه إلا من حفظ الله منهم ، فأصيب كبيرا باليتم من قومه ، كما أصيب صغيراً باليتم من أبويه .

وكان لا يسمع بقادم يقدم من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض نفسه عليه ، ومع ذلك بقيت الدعوة تلوح وتختفى كما يشق البرق من سحابة على السماء ، ليس إلا أن يرى ثم لا شىء بعد أن يرى !

٭٭٭

فهذا تاريخ ماقبل الهجرة فى جملة معناه ؛ غير أنى لم أقرأه تاريخاً ، بل قرأت فيه فصلا رائعا من حكمة الألهيـة ، وضعه الله

كالمقدمة لتاريخ الاسلام فى الأرض ، مقدمة من الحوادث والأيام تحيا وتمر فى نسق الرواية الالهية ، المنطوية على رموزها وأسرارها ، وتظهر فيها رحمة الله تعمل بقسوة ، وحكمة الله تتجلى فى غموض ، فلو أنت حققت النظر لرأيت تاريخ الاسلام يتأله فى هذه الحقبة ، بحيث لاتقرؤه النفس المؤمنة إلا خاشعة كأنها تصلى ، ولاتتدبره إلا خاضعة كأنها تتعبد .

بدأ الاسلام فى رجل وامرأة وغلام ، ثم زاد حرا وعبدا ، أليست هذه الخمس هى كل أطوار البشرية فى وجودها ، مخلوقة فى الانسانية والطبيعة ، ومصنوعة فى السياسة والاجتماع ؟ فهاهنا مطلع القصيدة ، وأول الرمز فى شعر التاريخ .

ولبث النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة لايبغيه قومه إلا شرا ، على أنه دائب يطلب ثم لايجد ، ويعرض ثم لايقبل منه ، ويخفق ثم لايعتريه اليأس ، ويجهد ثم لايتخونه الملل ، ويستمر ماضيا لايتحرف ، ومعتزما لايتحول ، أليست هذه هى أسمى معانى التربية الانسانية ، أظهرها الله كلها فى نبيه ، فعمل بها وثبت عليها ، وكانت ثلاث عشرة سنة فى هذا المعنى كعمر طفل ولد ونشا وأحكم تهذيبه بالحوادث حتى تسلمته الرجولة الكاملة بمعانيها ، من الطفولة الكاملة بوسائلها ؟ أفليس هذا فصلا فلسفيا دقيقا يعلم المسلمين كيف يجب أن ينشأ المسلم ، غناه فى قلبه ، وقوته فى إيمانه ، وموضعه فى الحياة موضع النافع قبل المنتفع ، والمصلح قبل المقلد . وفى نفسه من قوة الحياة مايموت به فى هذه النفس أكثر مافى الارض والناس من شهوات ومطامع ؟

ثم أليست تلك العوامل الأخلاقية هى هى التى ألقيت فى منبع التاريخ الاسلامى ليعب منها تياره ، فتدفعه فى مجراه بين الأمم ، وتجعل من أخص الخصائص الاسلامية فى هذه الدنيا — الثبات على الخطوة المتقدمة وإن لم تتقدم ، وعلى الحق وإن لم يتحقق ؛ والتبرؤ من الأثرة وإن شحت عليها النفس ، واحتقار الضعف وإن حكم وتسلط ، ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب ، وحمل الناس على محض الخير وإن ردوا بالشر ، والعمل للعمل وإن لم يأت بشىء ؛ والواجب للواجب وإن لم يكن فيه كبير فائدة ، وبقاء الرجل رجلا وإن حطمه كل ما حوله ؟

ثم هى هى البراهين القائمة للدهر قيام المنارة فى الساحل ـ على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، تثبت ببرهان الفلسفة وعلوم النفس أنه روح وغاياتها المحتومة بالقدر ، لاجسم ووسائله المتغلبة بالطبيعة ، ولوكان رجلا ابتعثته نفسه لتمحل الحيل لسياسته ، ولأحدث طمعا من كل مطمع ، ولركد مع الحوادث وهب ، ولما استمر طوال هذه المدة لايتجه وهو فرد إلا اتجاه الانسانية كلها كأنما هو هى .

ولو هو كان رجل الملك أو رجل السياسة لاستقام والتوى ، ولأدرك ما يبتغى فى سنوات قليلة ، ولأوجد الحوادث يتعلق عليها ، ولما أفلت ماكان موجودا منه يتعلق به ، ولما انتزع نفسه من محله فى قومه وكان واسطة فيهم ، ولا ترك عوامل الزمن تبعده وهى كانت تدنيه . قالوا إن عمه أبا طالب بعث إليه حين كلمته قريش فقال له : يا ابن أخى ، إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، فأبق على وعلى نفسك ، ولاتحملنى من الأمر مالا أطيق ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال : ياعماه ، لووضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . ثم استعبر صلى الله عليه وسلم فبكى ، يا دموع النبوة ! لقد أثبت ان النفس العظيمة لن تتعزى عن شىء منها بشىء من غيرها كائنا ماكان ، لا من ذهب الارض وفضتها ، ولا من ذهب السماء وفضتها ، إذا وضعت الشمس فى يد والقمر فى الأخرى .

وكل حوادث المدة قبل الهجرة على طولها ليست إلا دليل ذلك الزمن على أنه زمن نبى ، لا زمن ملك أو سياسى أو زعيم ؛ ودليل الحقيقة على أن هذا اليقين الثابت ليس يقين الانسان الاجتماعى من جهة قوته ، بل يقين الانسان الالهى من جهة قلبه ؛ ودليل الحكمة على أن هذا الدين ليس من العقائد الموضوعة التى تنشرها عدوى النفس للنفس ، فها هو ذا لا يبلغ أهله فى ثلاث عشرة سنة أكثر مما تبلغ أسرة تتوالد فى هذه الحقبة ؛ ودليل الانسانية على أنه وحى الله بايجاد الاخاء العالمى والوحدة الانسانية . أفلم يكن خروجه عن موطنه هو تحققه فى العالم ؟

ثلاث عشرة سنة ، كانت ثلاثة عشر دليلا تثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم ليس رجل ملك ، ولا سياسة ، ولا زعامة ، ولوكان

واحداً من هؤلاء لأدرك فى قليل ؛ وليس مبتدع شريعة من نفسه ، وإلا لما غبر فى قومه وكأنه لم يجدهم وهم حوله ؛ وليس صاحب فكرة تعمل أساليب النفس فى انتشارها ، ولو كانه لحملهم على محضها وممزوجها ؛ وليس رجلا متعلقا بالمصادفات الاجتماعية ، ولو هو كان لجعل ايمان يوم كفر يوم ؛ وليس مصلح عشيرة يهذب منها على قدر ما تقبل منه سياسة ومخادعة ؛ ولا رجل وطنه تكون غايته أن يشمخ فى أرضه شموخ جبل فيها ، دون أن يحاول ما بلغ اليه من إطلاله على الدنيا إطلال السماء على الارض ؛ ولا رجل حاضره إذ كان واثقا دائما أن معه الغد وآتيه ، وإن أدبر عنه اليوم وذاهبه ؛ ولا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما يلتمس الجائع لبطنه ؛ ولارجل شخصيته يستهوى بها ويسحر ؛ ولارجل بطشه يغلب به ويتسلط ؛ ولارجل الأرض فى الأرض ، ولكن رجل السماء فى الأرض .

هذه هى حكمة الله فى تدبيره لنبيه قبل الهجرة ، قبض عنه أطراف الزمن ، وحصره من ثلاث عشرة سنة فى مثل سنة واحدة ، لا تصدر به الأمور مصادرها كى تثبت أنها لا تصدر به ؛ ولا تستحق به الحقيقة لتدل على أنها ليست من قوته وعمله . وكان صلى الله عليه وسلم على ذلك وهو فى حدود نفسه وضيق مكانه يتسع فى الزمن من حيث لا يرى ذلك أحد ولا يعلمه ، وكأنما كانت شمس اليوم الذى سينتصر فيه ، قبل أن تشرق على الدنيا بثلاث عشرة سنة - مشرقة فى قلبه صلى الله عليه وسلم .

والفصل من السنة لا يقدمه الناس ولا يؤخرونه ، لأنه من سير الكون كله ؛ والسحابة لا يشعلون برقها بالمصابيح ، ومع النبى من مثل ذلك برهان الله على رسالته ، إلى أن نزل قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » فحل الفصل ، وانطلقت الصاعقة ، وكانت الهجرة .

تلك هى المقدمة الالهية للتاريخ ، وكان طبيعيا أن يطرد التاريخ بعدها ، حتى قال الرشيد للسحابة وقد مرت به أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك ؟

مصطفى صادق الرافعى

٥ — صور من التاريخ الاسلامى

الهجـــرة

للاستاذ عبد الحميد العبادى

كان من أثر الاتجاه المادى الحديث فى فهم حوادث التاريخ وتعليلها أن أصبح المؤرخون أشبه شىء بالفلاسفة الكلبيين القدماء الذين كانوا يجردون الانسان من عاطفة الخير ، ويعتقدون أنه أنانى بطبعه ، لا يصدر عنه الخير الا رئاء ونفاقا ، ولكن من حسن حظ الحقيقة والفضيلة أن بعض أحداث التاريخ يكذب هذه الدعوى وينقضها نقضا صريحا ، ولست أجد فى التاريخ الاسلامى انقض لتلك الدعوى وأشد تكذيبا من حديث الهجرة التى وقعت زمن النبوة ، سواء أكانت هجرة الحبشة أم الهجرة الى المدينة ، ففى كلتا الهجرتين تجد الاخلاص للعقيدة مجسما محسوسا ، والتنزه عن حطام الدنيا واضحا ملموسا . وإلى القارىء أسوق المقال الآتى توضيحاً لهاتين الهجرتين فى ضوء الحياة العامة التى ابتعثتهما وأدت اليهما

° ° °

لقد حمل الاسلام من أول الأمر على ما كان لقريش من نظم بالية عتيقة حملة عنيفة لا مواربة فيها ولا هوادة . فكان محمد يقرع أسماع قومه بما يتنزل عليه من القرآن ناعيا عليهم وثنيتهم المنحطة ، ونظامهم الاجتماعى الذى فرقهم أغنياء وفقراء وسادة وعبيداً ، مهجنا تكثرهم بالاحساب والانساب ، مقبحا طرقهم الملتوية فى المعاملات من تطفيف الكيل والميزان وأكل أموال الناس بالباطل . محذراً لهم ان هم أصروا على عتوهم واستكبارهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم من قبلهم عندما أعرضت عما بعث به اليها الرسل من أسباب الهداية والاصلاح

لم يجب هذه الدعوة التى تكفلت بخيرى الدنيا والآخرة إلا فريق قليل العدد وسيط المكانة فى المجتمع القرشى . أما الملأ من قريش فرأوها دعوة صريحة الى الفوضى وقلب الاوضاع . ورأوا فى محمد ثائراً يريد هدم النظم التى درجت عليها الجمهورية

المكية من قديم . ثم من يدريهم لعلهم ان هم اتبعوه التات عليهم الامر واضطرب الحبل ، فان الهدم عادة أيسر من البناء . تلك كانت حجتهم فى عــــدم متابعته ، وهى حجة الجامدين على المصلحين فى كل زمان ومكان .

وكان موقف قريش من محمد أول الأمر سلبيا محضا . ولكن محمدا كان النشاط واللباقة والفصاحة وقوة الخلق مجتمعة ، فوجدت قريش نفسها بازاء رجل لا كالرجال ، وخصم ليس كغيره من الخصوم ، فهى إن لم تعاجله عاجلها ، وإن لم تقض عليه قضى عليها . لذلك أخذت تنهج فى مقاومته خطة ايجابية تدرجت فيها تدرجا . فكانت أول الأمر تستهزىء به وبدعوته وبمن اتبعه ، فهو شاعر وساحر ومجنون ، ودعوته انما هى محض خداع وغرور ، وأتباعه ليسوا الا أراذلها وسفلتها ، ثم جعلت تحاول اعجازه ومعاياته . إن يكن صادقا فيما يدعى فليحول جبال مكة جنانا وأنهارا ، أو فليكن له بيت من زخرف ، أو ليرق فى السماء ، أو فليسقط السحاب عليهم كسفا ، أو فليأت بالله والملائكة قبيلا . ثم انتقلوا من هذه المعاياة الدالة على قصر عقولهم الى التعريض له بالمال والسلطان . فلما أعيتهم فيه الحيل ورأوا وقوف عشيرته دونه أخذوا يفتنون أصحابه بالأذى والعذاب . فمنهم من كان يثبت على رأيه وعقيدته ، ومنهم من كان يفتتن من شدة البلاء .

عند ذلك أمر الرسول أصحابه بالهجرة التى هى آخر مايلجأ اليه المحق الضعيف فى مقاومة المبطل القوى . أمرهم بالهجرة الى أرض الحبشة فهى أرض قديمة الصلة بمكة ، وبها ملك نصرانى رشيد لا يضام من يلجأ اليه ويحتمى بحماه

فخرج من مكة فى شهر رجب من سنة خمس للنبوة زهاء مائة مسلم ومسلمة ، وكلهم جاز البحر الاحمر من الشعيبة الى بر الحبشة ، فتلقاهم النجاشى لقاء حسنا وأذن لهم فى المقام بارضه آمنين على دينهم وأنفسهم . وقد أبى أن يخفر ذمته لهم عندما ارسلت اليه قريش فى رد اللاجئين اليه . فلما تبدلت الاحوال بالحجاز وعلا شأن الأسلام بهجعل هؤلاء المهاجرون يعودون الى الحجاز . وكانت عودة بقيتهم الى المدينة سنة سبع للهجرة أى بعد أن لبثت بارض الحبشة نحو خمسة عشر عاما ، وقد جزت الرواية الاسلامية النجاشى عن صنيعه هذا بأن اعتقدت اسلامه ، وبأن النبى صلى الله عليه وسلم قد صلى عليه عندما بلغته وفاته .

ولما رأت قريش خروج من خرج الى الحبشة من اصحاب محمد أرادت ان تحسم مادة الخطر فاجتمعت كلمة ملئها على حبس محمد وعشيرته من بنى هاشم والمطلب فى بعض شعاب مكة ، وعلى أن يقطعوا كل أسباب الاتصال بينهم وبين جمهور قريش ، وقد أنفذت هذا الحكم ، وقضى بنو هاشم والمطلب فى الشعب نحو ثلاث سنين قاسوا فيها جهدا جاهدا حتى لقد كان يسمع صوت صغارهم من وراء الشعب وهم يتضورون جوعا . واخيرا قام فى قريش من عطفته عليهم عاطفة الرحم والقرابة فسعى فى اخراجهم من الشعب فأخرجوا

على أن الرسول لم ينعم بتلك الحرية التى سيقت اليه طويلا . ففى السنة العاشرة للنبوة أصيب بفقد عمه أبى طالب وزوجه خديجة ، فخلا الميدان من النصير الذائد ، وخلا البيت من الحبيب المؤنس . واصبح محمد وجها لوجه أمام عدو حنق عليه كان يترقب فيه الفرصة ، فلما امكنت استغلها استغلالا . فجعل يأخذ عليه المذاهب ويعزى به السفهاء يتعمدونه بالأذى والهوان

عند ذلك أخذ الرسول يفكر فيما كان قد أشار به على أصحابه منذ سنين عند ما اشتد تحامل قريش عليهم : أخذ يفكر هو أيضا فى الهجرة . لقد دلته تجارب سنوات عشر على أن دعوته توشك أن تذهب بمكة صرخة فى واد ونفخة فى رماد ، واذا فنيم المقام بواد غير ذى زرع حقيقة ومجازا ؟ فليهاجر ! ذلك ما قر عليه رأيه . ولكن على ألا يتخطى حدود بلاد العرب فهو مبعوث الى العرب أولا والى سائر الناس أخيرا . فليخرج الى اقرب قرية عربية من مكة : الى الطائف ، لعل ثقيفا تجيره حتى يبلغ رسالته . ولكن ثقيفا لم تكن أبر به من قريش ، فقد أعرضت عن سماع دعوته وضنت عليه بجوارها ، ثم زادت فأغرت به سفهاءها ، فما زالوا يتعقبونه حتى ألجأوه هو ومولاه زيد بن حارثه الى حائط من حوائط ثقيف . وهنا — وقد خلا الى نفسه وربه — فاضت أشجانه واعتلجت فى صدره همومه ، فانبعث يناجى ربه « اللهم اليك اشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ! يا أرحم الراحـــمين ! أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ؟ أم الى عدو ملكته امرى ؟ ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى . ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك ،

ثم نهض من مكانه يريد مكة فلم يدخلها الا فى جوار سيد من ساداتها هو المطعم بن عدى . وكف محمد مؤقتا عن توجيه الدعوة الى قريش واكتفى بعرض نفسه على قبائل العرب فى مواسم الحج لعل قبيلة تصغى اليه فينتقل اليها ويبلغ دعوته فى ظلها وسلطانها . فكانت القبائل ترد عليه بانه لوكان صادقا لاتبعه قومه ، الا ما كان من أمر اهل يثرب . فى عام ١١ للنبوة لقى النبى عند العقبة ستة نفر من الخزرج فعرض عليهم الاسلام فآمنوا وصدقوا ، ووعدوه أن ينشروا الدين الجديد فى قومهم . تلك بيعة العقبة الأولى . فلما كان العام القابل وافى الموسم من الأوس والخزرج اثنا عشر رجلا ، لقوا النبى عند العقبة ايضا فبايعوه على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يشرع القتال « على ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف . فأن وفيتم فلكم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئا فأمركم الى الله عز وجل ، أن شاء غفر ، وأن شاء عذب » تلك بيعة العقبة الثانية ، وبعث الرسول معهم صاحبا من اصحابه دينا لبقا فطنا ليفقه القوم فى الدين ، وفى الوقت نفسه ليخبر أحوال يثرب العامة ويسبر غورها وينهى الى النبى ما يصل اليه من ذلك . ذلك هو مصعب بن عمير . وقد أدى مصعب بن عمير واجبه أحسن أداء وأتمه ، ثم عاد الى مكة فاطلع الرسول على حال يثرب ومقدار نجاح الدعوة الأسلامية بها . فلما حل موسم الحج وافى مكة جم غفير من الاوس والخزرج ، مسلمهم ومشركهم . فواعد المسلمون منهم رسول الله ان يلقوه عند العقبة ليلا ، وقد لقيه منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، فبايعوا الرسول بيعة العقبة الكبرى المشهورة وهى تقوم على تعهد الاوس والخزرج بالدفاع عن الرسول والحرب من دونه . يقول الطبرى « فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة واعطوه عهودهم ، على انا منك وانت منا ، وعلى أنه من جاءنا من اصحابك أو جئتنا فانا نمنعك مما نمنع منه انفسنا ، وبهذه البيعة أصبح للرسول بيثرب أنصار يؤوونه ويذودون عنه .

***

لكى ندرك السبب فى مسارعة الاوس والخزرج الى قبول الدعوة الاسلامية ومبايعة الرسول على الدفاع عنه ، ينبغى أن نلم بحال يثرب فى السنوات السابقة على الهجرة من الناحيتين الدينية والسياسية ، فمن الناحية الدينية كانت اليهودية قد حرثت المدينة وأعدت الأنصار لقبول الدعوة الاسلامية ، لأنهم اهل كتاب منزل ودين مشروع . وكان الأوس والخزرج يلقفون منهم معنى النبوة والرسالة والوحى ونحو ذلك من المصطلحات الدينية . ثم أن اليهود كانوا كدأبهم يتوقعون ظهور نبى منهم يجمع شملهم ويعيد اليهم سلطانهم ويقهر بهم أعداءهم ، وكانوا لا يعدمون أن يبوحوا بشىء من ذلك لمواطنيهم من الأوس والخزرج . قال ابن اسحق عند كلامه على استجابة الانصار لدعوة النبى فى بيعة العقبة الاولى : « وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم . فكانوا اذا كان بينهم شىء قالوا لهم ان نبيا مبعوث الآن ، قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وأرم . فلما كلم رسول الله (ص) أولئك النفر دعاهم الى الله قال بعضهم لبعض : ياقوم تعلموا ، والله انه للنبى الذى توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه ، فاجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ،

قد يكون تصوير حالة المدينة السياسية قبيل الهجرة أبلغ من تصوير الحال الدينية فى فهم قبول الأنصار دعوة النبى والتزامهم الدفاع عنه ببلدهم . لقد كانت الحياة العامة بالمدينة مضطربة أشد الاضطراب من جراء حرب الاوس والخزرج التى سببها ما كان بين الفريقين من دماء وثارات . وكانت الغلبة بوجه عام فى تلك الحرب للخزرج على الأوس ، حتى لقد همت الأوس حوالى السنة العاشرة قبل الهجرة ان تجلو عن المدينة جملة ، وأخذت تفاوض قريشا فى ان تأذن لها بالنزول عليها بمكة ، ولكن قريشا كانت أحرص من ان تأذن بذلك ، فلما طلبت اليها الأوس ان تحالفها على الخزرج أبت ان تتورط فى شىء من ذلك أيضا . فعادت الأوس تلتمس الحلف من يهود يثرب وخاصة قريظة والنضير . وكان اليهود قد وقفوا من تلك الحرب موقف الحياد المطلق ، فلما بلغ الأمر الخزرج أرسلت الى اليهود تحذرهم عاقبة هذا الحلف ان تم ، فلما أكد اليهود أنهم غير محالفى الاوس عادت الخزرج تطلب منهم رهنا اربعين غلاما من غلمانهم يكونون بأيديهم ضمانا لهذا الحياد . فلم يسع اليهود الا أن يسلموا اليهم الضمان الذى طلبوا . ولكن الخزرج كانت قد قرمت الى ارض قريظة والنضير وكانت أغنى بقاع يثرب ، فأقبلت تتجنى على اليهود وتخير قريظة والنضير بين أمرين كلاهما شر . فاما ان يجلوا عن يثرب

ويتزلوا لهم عن أرضهم ، وإما ان تقتل غلمانهم . فلما رأت اليهود ان الخزرج قد لجت فى طغيانها ، وان حيادها لن يجر اليها خيرا ،.عند ذلك خرجت من حيادها وحالفت الأوس صراحة ، فقتلت الخزرج الغلمان وعقدت حلفا مع القبيلة اليهودية الثالثة بالمدينة قبيلة بنى قينقاع وبذلك استحالت يثرب عسكرين تشحذ فيهما السيوف وتراش النبال استعدادا للواقعة الفاصلة .

وقد وقعت الواقعة الفاصلة فى يوم بعاث الذى كان قبيل الهجرة بنحو خمس سنين . فى ذلك اليوم أديل للأوس وحلفائها من الخزرج وحلفائها، وقتل من الفريقين يومئذ عدد كبير من سادات الناس وأشرافهم . جاء فى صحيح البخارى عن عائشة : « كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلعم ، فى دخولهم فى الاسلام ، فقدم رسول الله صلعم وقد افترق ملؤهم وقتلت سراتهم » ، ويفسر السمهودى هذا الحديث بقوله « ومعناه انه قتل فيه من أكابرهم من كان لا يؤمن ان يتكبر ، ويأنف ان يدخل فى الأسلام ، الى ان يقول « وقد كان بقى معهم من هذا النمط عبد الله بن أبى بن سلول.... وكذلك ابو عامر الراهب .. فشقيا بشرفهما » .

ورأى أهل يثرب غداة يوم بعاث أن الحرب مهلكة النفوس متلفة الاموال ، وأنها يشقى بها الغالب والمغلوب جميعا ، وأنه أولى بهم أن يقيموا بيثرب حكومة تزع القوى وتأخذ بناصر الضعيف . وكان عبد الله بن أبى بن سلول الخزرجى قد رأى غدر قومه فى الحرب فلم يخض غمارها معهم وامتنع من قتل من كان بيده من غلمان يهود ، ولذلك اتجهت اليه أنظار القوم وهموا ان يملكوه على يثرب ، وأقبلوا ينظمون له الخرز ، وكان ذلك شارة الملك عندهم . ولكن يظهر أنه لم تكن هناك رغبة صادقة فى تمليكه . أما الأوس فكانت تكره أن يصير الأمر الى خزرجى مهما تكن فضائله ، وأما الخزرج فقد كبر على كثير من أحيائها أن تولى رجلا وسمها بالغدر وخذلها عند الحرب ، فكان بذلك مسؤولا الى حد ما عن هزيمتها . وأما اليهود فلا شك فى أنها كانت تستنكف أن يلى أمرها مشرك ولو كان ابن أبى نفسه .

فلما لقى حجاج الأوس والخزرج الرسول بموسم الحج وأطلعوا على سيرته وحالته وجدوا فيه ضالتهم المنشودة . فهو وحده الرجل الذى تستقيم على يده حالهم المختلة ، وتجتمع على حكومته أراؤهم المختلفة ، هو نبى عربى يتنزل عليه الوحى من السماء ، وبذلك يحتجون به على اليهود . نعم إنه من الناحية السياسية يعتبر أجنبيا عن يثرب ، ولكن حكومته لن تكون أجنبية . اليس الانصار هم الذين سيكونون عدته ومادته ؟ فأى حكومة ليثرب يمكن أن تفضل هذه الحكومة ؟ اذن فليعدلوا عن تمليك ابن أبى ، وليبايعوا محمدا ، ولكن ذلك فى غيبة ابن ابى وليكتموا ذلك الأمر عنه كتمان النبى إياه عن قريش .

تلك كانت الحال المعنوية للانصار عندما بايعوا النبى بيعاتهم الثلاث بمكة . قال بن اسحق عند كلامه على العقبة الأولى « . . . وقالوا له (للنبى) انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك · ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وروى ابن اسحاق أيضا عند كلامه على بيعة العقبة الكبرى « . . . فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها ، يعنى اليهود ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .ثم قال بل الدم الدم ! والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » . فالمسألة من ناحية الانصار لا تعدو أن تكون حلفا سياسيا قوامه الفكرة الدينية . أما من ناحية الرسول فلم تكن كذلك . فالرسول انما كان يريد اذ ذاك بلدا يأمن فيه على دعوته واصحابه ، وقوما يحمون ظهره حتى يبلغ رسالته . وقد أصبح ذلك مكفولا له بالبيعة الاخيرة ، واذن فلم يبق الا الرحيل من مكة الى المدينة

* * *

ورأى الرسول اغتنام الوقت فأذن لأصحابه فى الخروج إلى يثرب فى أواخر ذى الحجة من السنة الثالثة عشرة للنبوة . فجعلت جماعاتهم عند ما استهل المحرم تخرج من مكة أرسالا وتنزل على الانصار فى دورهم . فخرج فى نحو شهرين زهاء المائتين . وقد أقفرت دور برمتها بسبب الهجرة . من ذلك دور بنى مظعون وبنى جحش وبنى البكير . قال ابن هشام « فغلقت دار بنى جحش هجرة ، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام ابن المغيرة . . . وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر اليها عتبة ابن ربيعة تخفق أبوابها يبابا ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ثم قال :

وكل دار وان طالت سلامتها   يوماستدركها النكباء والحوب

ثم قال هـذا عمل ابن أخي هذا ، فرق جماعتنا وشتت أمرنا وقطع بيننا » ولم يبق بمكة من المسلمين الا النبي وأبو بكر وعلي وإلا من كان مفتونا أو محبوسا أو مريضا أو ضعيفا عن الخروج .

وأحست قريش الخطر الذى أصبح يتهددها من جراء تلك الهجرة وذلك الحلف الذى عقده محمد مع أهل يثرب . فاجتمع ملؤها فى دار ندوتها ليقلب الأمر على وجوهه ويصدر فيه رأياً حاسما . وهنا افترقت بها الآراء وتشعبت المذاهب ، فمنهم من رأى أن يحبس محمد حتى يموت ، ومنهم من رأى أن ينفى من البلد، ومنهم من رأى قتله . والظاهر أن الرأى الأخير هو الذى اجتمعوا عليه آخر الأمر . وإلى هذه القصة كلها يشير القرآن بقوله « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، ثم رأوا أن يقتلوه بحيث تمتنع على عشيرته المطالبة بدمه فامروا فتيانا من بطون قريش أن يضربوه ضربة رجل واحد وبذلك يتفرق دمه فى القبائل ويرضى بنو هاشم بديته .

ولكن رسول الله كان قد نذر بذلك فأسرع الى الخروج خفية من داره الى دار صديقه أبى بكر وكان قد أعد عدة السفر الى المدينة ، دليلا وظهرا وخادما وزادا . وخرج الرسول وابو بكر الى غار بجبل ثور بقيا به ثلاثة أيام اهتاجت فيها قريش أهتياجا شديدا وجعلت لمن يأتى بالنبى حيا أوميتا جعلا سنيا . والى حادث الغار يشير القرآن بقوله « الاتنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه ، لاتحزن ، ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز ذو انتقام ،

توصف الارض التى بين مكة والمدينة بأنها حزنة وعرة موحشة ، ليس بها مايرفه عن المسافر فى بلاد العرب من ماء اوخضرة ثم هى يشقها طريقان : أحداهما شرقية محاذية لنجد ويجاوز طولها الثلاثمائة ميل بقليل ، والآخرى غربية محاذية لساحل البحر الاحمر ويقرب طولها من مائتين وخمسين ميلا . وقدآ ثر الدليل الذى اتخذه ابوبكر هاديا له وللرسول أثناء السفر سلوك الطريق البحرية . غير انه كان ينحرف يمنة ، ويسرة تضليلا لمن عسى ان ترسله قريش فى أثرهم . فخرج بالجماعة من جبل ثور اسفل مكة فبلغ عسفان وهنا أدرك الجماعة سراقة بن مالك طامعا فى قتل الرسول وأخذ جعل قريش ، ولكنه وجد نفسه أمام اربعة أشداء فكان قصاراه ان نجا بنفسه بعد ان أعطى الرسول وأصحابه موثقا الا يدل عليهم . ثم سار الدليل بهم الى أمج فقديد ، فلما قارب بدرا مال بهم يمنة الى العرج ، ثم هبط وادى العقيق الذى يؤدى الى المدينة . ولكن النبى أمر بأن يكون المسير اولا الى قباء قرية بنى عمر بن عوف . فبلغها ظهر يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الاولى للهجرة وذلك بعد مسير ثمانية أيام . وأقام النبى ثلاثة أيام بقباء وثق فيها من حسن ستقباله بالمدينة . فلما كان يوم الجمعة خرج من قباء الى المدينة يحف به ملأ بنى النجار . وقد لحقه بقباء على بن أبى طالب بعد ان ادى عن الرسول ما كان للناس عنده من الودائع . ولما أطمأن الرسول بالمدينة انفذالى مكة من حمل اليه أهل بيته .

***

ليس يسيرا على المؤرخ أن يصور مقدار المشقة التى لحقت المهاجرين الأولين من جراء هجرتهم من وطنهم الى بلد ناء ومعشر غرباء . لقد كان أول مظهر لهذه المشقة أن تأثروا بجو المدينة الوخم لأول قدومهم فاعتلت صحتهم وأصابتهم الحمى وعراهم داء الحنين

الى وطنهم القديم ، حتى لقد كان بعضهم يهذى بذلك اذا أخـذه دوار الحمى . روى البلاذرى باسناده عن عائشة أم المؤمنين انها قالت « لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مرض المسلمون بها فكان ممن اشتد به مرضه أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة . فكان أبو بكر يقول فى مرضه :

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال يقول :

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بفخ وحولى أذخر وجليل !
وهل أردن يوما مياه مجنـة وهل تبدون لى شامة وطفيل !

وكان عامر بن فهيرة يقول :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ان الجبان حتفه من فوقه
كل امرىء مجـاهد بطوقه كالثور يحمى جـلده بروقه

قال فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : اللهم طيب لنا المدينة كما طيبت لنا مكة ، وبارك لنا فى مدها وصاعها » .

وتتمثل هذه المشقة كذلك فى الفاقة الشديدة التى صار اليها المهاجرون بسبب الهجرة . فقد خلف اكثرهم أمواله بمكة فعدت عليها قريش فاغتصبتها تشفيا من أصحابها . روى صاحب أخبار مكة «انه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح (فتح مكة) الا تنزل منزلك بالشعب ؟ قال وهل ترك لنا عقيل منزلا . قال وكان عقيل ابن أبى طالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل أخوته من الرجال والنساء بمكة حين هاجروا ومنزل كل من هاجر من بنى هاشم ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل فى بعض بيوت مكة فى غير منزلك . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أدخل البيوت ، فلم يزل مضطربا بالحجون وكان يأتى المسجد من الحجون » ويروى ابن هشام أن عبد الرحمن بن ابى بكر عدا على مال أبيه بمكة بعد هجرته ، فلما كان يوم بدر خرج عبد الرحمن مع قريش لقتال المسلمين فناداه ابوه : أين مالى ياخبيث ؟ فأجابه عبد الرحمن :

لم يبق غير شـكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب

ويروى ابن هشام كذلك « أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريدان تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب . أرأيتم أن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا نعم ! قال فأنى جعلت لكم مالى . قال فبلغ ذلك رسول الله (صلعم) فقال : ربح صهيب ! ربح صهيب ! » ويروى ابن اسحق أنه « لما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم عدا عليها أبو سفيان ابن حرب فباعها من عمرو بن علقمة . . . . فلما بلغ بنى جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله (صلعم) . فقال له رسول الله (صلعم) ألا ترضى ياعبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة ؟ قال بلى ! قال فذلك لك . فلما افتتح رسول الله (ص) مـكة ، كلمه ابو أحمد فى دارهم فأبطأ عليه رسول الله (صلعم) . فقال الناس لأبى أحمد ، يا أبا أحمد ! ان رسول الله (صلعم) يكره أن ترجعوا فى شىء من أموالكم أصيب فى الله عزوجل ، فأمسك عن كلام رسول الله (صلعم) (فيها) » ومما يدل على شدة فقر المهاجرين لأول عهدهم بالمدينة أن الرسول عند ما خرج بهم الى وقعة بدر فى السنة الثانية للهجرة دعا الله فى رواية الواقدى فقال : « اللهم انهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك » .

من أجل تلك الفاقة كان المهاجرون فى السنوات الأولى من الهجرة عالة على الانصار . وذلك مظهر ثالث للحوق المشقة بهم . نعم ان الانصار أكرموا وفادتهم كل الاكرام وواسوهم اتم المواساة ، ولكن تلك الحال ليس من السهل على كرام النفوس احتمالها . يروى البلاذرى أن النبى عندما أراد قسمة غنائم بنى النضير قال للأنصار : « ليست لاخوانكم من المهاجرين أموال ، فأن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعا ، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هـذه فيهم خاصة . فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت . فنزلت (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فقال أبو بكر : جزاكم الله يامعشر الانصار خيرا ، فوالله ما مثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوى :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذى يلقون منا لملت
فذو المال موفور وكل معصب الى حجرات أدفأت وأظلت

من أجل تلك المشقة التى نالت المهاجرين الاولين فى سبيل الله اعتبر القرآن هجرتهم هجرة الى الله ورسوله ، ومن أجلها جعل أولئك المهاجرين أرفع طبقات المسلمين درجة وأجزلهم مثوبة ، وفرض مثل هجرتهم على كل مسلم عند خوف الفتنة ولحوق الضيم ، قال تعالى « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا : الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا ،

اشراق الهلال على الوادى

للاستاذ محمد فريد ابو حديد

وقف ربيئة الروم فوق أعلى حصن (بابليون) بجوار مدينة مصر العظيمة ، فنظر الى مادونه نحو الاهرام عابرا ببصره نهر النيل العظيم فذهب به الخيال إلى الماضى البعيد ، وهمت بنفسه سورة خفيفة من الشجن المبهم ، وكان الجو كله ممتلئا بالاشجان والمخاوف لما كانت الدولة تلقاه من جميع الانحاء من الغارات والاخطار ثم ، نظر إلى الشمال نحو مدينة الشمس العظيمة (أون (١)) حاضرة العلوم القديمة ومركز ثقافة الفراعنة ، غير أنها لم تكن عند ذلك إلا بقية ضئيلة من نفسها القديمة . ثم نظر إلى الكروم والبساتين التى تكتنف الحصن من شماله حتى تصله بمدينة (أون) فلاح له من بينها غبار ثائر وجرم متحرك . وما زال يحدق فى ذلك الغبار وقلبه مضطرب وعقله تساوره الذكريات ، والمخاوف تتوارد عليه سراعا . ثم صاح صيحة النذير فاجتمع حوله جنود الحصن الذين كانوا على مقربة منه يشتركون معه فى النظر إلى ذلك الغبار الثائر وما لاح تحته من اجرام متلاحقة متحركة نحو شاطىء نهر النيل . وكان الجنود الى ذلك الوقت لا يعرفون شيئا سوى ما يذيعه لهم قوادهم وأمراؤهم ، فجعلوا يذهبون مع الخيال مذاهب شتى ، فقائل منهم تلك جنود من الفرس عادت لتنتقم من الهزيمة الطاحنة التى لحقت بدولتها على يد هرقل ملك الروم العظيم ، وقائل ان تلك قبائل البجة التى اعتادت العيث فى جنوب البلاد قد بلغت شمال الوادى لتهبط على ريفه فتسلب منه ما شاءت ثم تعود مسرعة قبل أن يستطيع الروم أن يجمعوا الجيوش للايقاع بها ، ثم قال قائل منهم ممن عركتهم الحروب « أين الفرس اليوم ؟ لقد صارت دولتهم فى يد جيوش عرب الصحراء كما صارت بلاد الشام . ولقد رأيت بنفسى جيش العرب يأخذ دمشق ويطرد الروم من مروج سوريا ، وليس من شك فى أن هذا الغبار قد أثارته حوافر خيولهم السريعة » .

وأتى عند هذه اللحظة قواد الروم عندما بلغهم الصخب واللغط فنظروا حيث نظر الجنود ، ثم نظر بعضهم الى بعض نظرات صامتة فى وجوه مصفرة ثم قال (جورج) كبيرهم للجنود : « هلم أيها الجنود الى أماكنكم فليس من المباح لكم أن تقفوا الى جوار الربيئة تشغلونه عن حراسته » . فانصرف الجنود طائعين وقلوبهم غير راضية وعقولهم غير مطمئنة ، ثم مضى القواد الى ناحية من سور الحصن وجعلوا ينظرون الى الاشباح المتحركة والغبار الثائر فى ضوء الغروب الخافت .

ثم قال (جورج) القائد الأعلى للحصن « أيمكن أن يكون هؤلاء العرب قد غلبوا جنود الدولة التى أرسلت اليهم وبلغوا هذه الجهات فى شهر واحد ؟ وماذا فعل (إريطبون(١)) ؟ وماذا فعل تيودور(٢) ؟ » . فقال أحد القواد ، وكان أقربهم اليه : « لقد شهدت حرب هؤلاء فى مواطن كثيرة ، إنهم يخرجون اليك كأنهم سراب الصحراء لا تدرى من أين جاءوا ، ثم تراهم ينصرفون عنك حتى لا تسمع عنهم شيئا فكأنهم غاصوا فى رمال الصحراء . ثم ما يلبثون أن يعودوا اليك وأنت لا تتوقع عودتهم كأنهم أشباح لا تعوقهم مادة هذه الارض » .

ثم أرخى الليل سدوله ولم يأت بعد نبأ عن فعل تلك الاشباح المتحركة ، وطلع صباح اليوم التالى فاذا بالارض الشمالية على عهدها ليس فيها غبار ثائر ولا أشباح متحركة ، فكأنما كان منظر المساء الغابر من صور الخيال واختراع الوهم . الا أن زوال ذلك اليوم حمل الى الحصن بقية من جرحى قرية (أم دنين) التى على شاطىء النهر

(١) هى مدينة (عين شمس) أو هليو بوليس المعروفة قديما .

(١) اريطبون قائد من كبار قواد الروم

(٢) وتيودور القائد العام لجنود الروم بمصر عند غزوة العرب

ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » .

***

أما بعد فلقد وفق امير المؤمنين عمر بن الخطاب كل التوفيق عند ما اتخذ هجرة الرسول من مكة الى المدينة تاريخا يحسب منه المسلمون سنيهم وأيامهم ، ويؤرخون منه احداثهم ووقائعهم . انه لا شك قد لحظ فى الهجرة انها بدء رسوخ الأسلام ، ولكننا نلحظ فيها فوق ذلك أنها كانت مظهرا رائعا لعناصر الحياة القوية النبيلة : حياة الألم والتضحية والاخلاص ؟

عبد الحميد العبادى

وفلا من مسلحة الحصن التي هزمها الجيش البدوي المغير . غير أن ذلك الجيش لم يبق بعد ذلك طويلا على الشاطئ . بل عبر النهر واختفى في الأفق الغربي . فتعجب القائد (جورج) عندما بلغه هذا ، وعرف أن قائده الذي وصف له حرب العرب كان يصفهم عن خبرة وعلم . لقد ظهر جيش العرب في شمال الحصن كأنه شبح خيال ثم اختفى كذلك كأنه شبح خيال . ولكن متى يعود ؟ ومن أي جهة يطلع بعد عليهم ؟

تواردت الى الحصن بعد ذلك الامداد الكثيرة من جميع أنحاء مصر تعزيزاً لحصن الحصون الذي يدافع عن قلب البلاد مدينة (مصر) ، وأجاب قواد الاطراف على استصراخ (جورج) قائد الحصن بأن بعثوا اليه ما استطاعوا بعثه من الجنود المجهزة ليطردوا ذلك الجيش الذي لاح ثم اختفى . وتجهز المقوقس العظيم ليسير بنفسه من الاسكندرية الى مركز البلاد ، ليكون وجوده حافزا لهمة الجنود ، وليكون على مقربة من الاعداء لعله يستطيع بما أوتي من بلاغة ومكر أن يصرفهم عن البلاد .

ومرت الأيام سراعا وراجت الأخبار المتضاربة عن الغزاة ، وأتت بعض انباء تلك الكتيبة الصغيرة من فرسان الصحراء ، فاذا بالقائد الشجاع (حنا) الذي كان معبود جيش الروم بالفيوم يقتل في بعض المواقع منذ دفعته شجاعته للقاء جيش العرب . وترددت أنباء ذلك بين القواد والجنود فاذا هم في حصن بابليون حلقات يتهامسون عن هذا العدو المغير ويتساءلون عن كنهه وحقيقة أمره ، وكان بين جنود الروم وقوادهم من رأى حروب الآفار والبلغار والفرس ، وكان منهم من قرأ أخبار الامم الماضية ممن أغار على دولة الرومان في القرن الماضي من اللمبرديين والوندال والقوط . وما كان أفظع تلك الامم التي أغارت في تلك القرون على أراضي الدولة الرومانية فقد كانوا لا يعرفون في الحرب هوادة ولا رحمة ، ولا يخضعون لقانون خلقي أو ديني . فقد حكي عن (البوين) ملك اللمبرديين أنه هزم في بعض حروبه قبيلة الجيبدي وقتل رئيسهم والد (روزاموند) الجميلة ، ثم اتخذ تلك الابنة الجميلة زوجة له واحتفل بزواجه منها احتفالا وحشيا ، وجعل يشرب الخمر في كأس جميلة - وأي كأس أجمل من جمجمة عدوه والد عروسه الجميلة ؟ حقا ما كان أفظعه وأفظع قومه ! ولقد دخل الوندال بلاد غاله ثم بلاد افريقية ، وكان الروم يعرفون مقدم هؤلاء الوندال بما يرتفع من لهيب النيران فوق آفاقهم . فكان هؤلاء الوندال يجتاحون بلادهم كما تجتاح العواصف والحرائق السهول الفيحاء فتتركها قاعا صفصفا ، أيكون العرب كبعض هذه الامم ؟

مضى أشهر ثم عادت كتيبة العرب من الافق الغربي فعبرت نهر النيل مرة أخرى ، وظهرت لربيئة الروم من خلال البساتين والكروم التي بين الحصن ومدينة (أون) ، وكان الروم قد اجتمعوا في العدد والعدة في حصنهم العظيم (بابليون) ، فما أسرع أن تدفقت جموعهم نحو الشمال لتحيط بتلك الكتيبة وتهلكها . وهل كان هؤلاء العرب ليقووا على صدمة جيش عظيم كهذا ؟

وقع الاصطدام أخيرا عند مدينة (أون) . وماذا دهى القوم ؟ فانهي إلا الجولات ، فاذا بجيش الروم يتردد في سيره ، ثم إذا به يرتد نحو شاطئ النهر . ثم ها هي ذي كتيبة عربية تخرج اليه من شاطئ النهر كأنها تنقذف عليه من أعماقه . وها هو ذا الجيش العظيم يتردد مرة أخرى ثم يتفكك ثم تتدافع جموعه نحو الجنوب يحاول كل فرد منهم أن يبلغ الحصن قبل أن تأخذه سيوف العرب اللامعة . ومرت الايام بعد ذلك فاذا بالروم قد دخلوا حصنهم وأغلقوا أبوابه الضخمة ، واذا بالعرب حول الحصن العظيم يتطلعون اليه ولا يدرون كيف يسمون فوقه . واراد المقوقس العظيم أن يعرف حقيقة أمر هؤلاء المغيرين لعله يعطيهم بعض مال فيرتدوا عنه ، فقال له أحد القواد : « دع عنك هذا فما هم بمن يأتي من أجل الذهب حتى اذا مابذل لهم ذهبوا به عنا » وجعل يقص عليه قصته مع رجل (١) من هؤلاء العرب رآه يوما واقفا وحده يصلي ، فهبط اليه من الحصن مع جماعة من الروم ، فترك العربي الصلاة وأقبل اليهم كأنه الصخرة الثقيلة التي تنحدر من عل . لا يتردد ولا يلتفت الى شيء ، فهربوا منه حتى أنهم رموا اليه بمناطقهم الذهبية ليلهوه بها فلم يلو على شيء منها ، ولم ينجهم منه إلا أن بلغوا الحصن وأغلقوا بابه دونه ، ورموه بالحجارة من فوقه . فارتد ولم يلتفت الى تلك المناطق الذهبية ، بل عاد الى موضعه ليتم ما كان فيه من الصلاة وتركهم يخرجون من حصنهم لاسترجاع مناطقهم ثم يعودون على حذر

تعجب المقوقس العظيم ، وأراد أن يستطلع حقيقة الامر فبعث بجماعة من الروم رسلا الى قائد القوم فرأوا من هؤلاء المغيرين ما لا عهد للروم به من قبل . قال الرسل : « رأينا قوما ، الموت أحب اليهم من الحياة ، والتواضع أحب اليهم من الرفعة ، ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة . انما جلوسهم على التراب وأكلهم على

---

(١) هو عبادة بن الصامت البطل العربي المعروف

ركبهم ، واميرهم كواحد منهم . ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من العبد . واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد . يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم » .

لم يكن هذا شأن شعب من شعوب الهمج الذين افترسوا اطراف الدولة الرومانية . وهذه أول مرة يجتمع فيها الى الاستهانة بالحياة والشجاعة التى لاتعرف خوفا ، خلق متين ونظام لاينفك منه أحد . ومن ذا يستطيع أن يقاوم شعبا اجتمع له هذان الوصفان؟

كان أعظم مايخشاه الروم فى مصر أن يعرف شعب مصر حقيقة هؤلاء العرب، فلو أنهم عرفوا العرب لأمنوا اليهم، ولو أمنوا اليهم لأصبح الروم ولو كثر عديدهم غرباء عن الارض قدفقدوا الناصر والتابع . غير أن شعب مصر مالبث أن عرف الحق واتصل بهؤلاء المحاربين ، فلقد كانوا فى سيرهم لايسيرون سير الجيوش المغيرة المدلة المتكبرة المفسدة ، بل كان الطفل آمنا بينهم ، والمرأة لايلحقها أذى من نظرة أحدهم . إذ كانت عداوتهم لجيش الروم لا لأهل مصر، بل إن أهل مصر كانوا موضع وصية خليفتهم ووصية نبيهم الكريم، ومنذ رأى أهل مصر ذلك صاروا حلفاء لهم على أولئك الروم الذين طالما طغوا وبغوا وظلموا وعسفوا وأحرقوا وعذبوا ولم يرعوا فى رعيتهم ما كان فى اعناقهم من أمانة . وما هو إلا عام حتى كان العرب على انتظار تسليم الاسكندرية ذاتها بعد أن دان لهم داخل البلاد .

وكان الحاكم العربى عمرو بن العاص لايدع فرصة لتذكير جنوده بما عليهم من الواجب نحو أهل البلاد التى حلوا بها ، وكأنما به يتطلع بخياله القوى نحو ذلك اليوم الذى يمتزج فيه قومه الصحراويون بقبط مصر ، وينشأ من ذلك الامتزاج شعب جديد يقوم على انشاء مدنية جديدة . وقف عمرو يخطب فى قومه عند حلول الربيع وقت ذهاب العرب الى الريف ابتغاء أن يصيبوا من خيراته لأنفسهم ولخيولهم . وقال عند ذلك فى خطبته : « واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا ، واياكم والمسومات المعسولات . . . حدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا ، فان لكم منهم صهرا وذمة ، فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم . . . »

ولقد سار العرب على وصية قائدهم الحكيم فلم يشك أحد من أهل مصر اعتداء على شرفه ولا انتهاكا لحرمته .

ولقد كان عمرو عفيفا فى حكمه عن العسف والخبط حتى لقد وقف فى وجه عمر بن الخطاب نفسه دفاعا عن سياسته المالية الرحيمة ، ثم عزل عن مصر فى أيام عثمان دفاعا عن تلك السياسة عينها . وكانت سياسة العرب على تقلب الايام واختلاف الدول مدى القرنين الاولين من بعد الفتح سياسة اعتدال ورفق ، تسمع ذلك مترددا على لسان أساقفة القبط الذين تركوا لنا فى دواوينهم ذكرا من تلك الايام .

قال أحدهم عند ما عاد بنيامين بطريق القبط آمنا بعد أن هرب ثلاثة عشر عاما من اضطهاد الروم : « الحمد لله الذى أنجاك من الكفرة (الروم) ، وحفظك من الطاغية الاكبر الذى شردك فعدت الى ابنائك تراهم ملتفين حولك مرة أخرى » .

ونقل عن بنيامين البطريق الأعظم للقبط انه قال يصف عودته عند فتح العرب : « كنت فى بلدى وهو الاسكندرية فوجدت بها أمنا من الخوف ، واطمئنانا بعد البلاء ، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة (الروم) وبأسهم » « وقد فرح القبط كما يفرح الاسخال اذا ما حلت لهم قيودهم ، وأطلقوا ليرتشفوا من لبان أمهاتهم » .

وقال الاسقف حنا النقيوسى : « لقد تشدد عمرو فى جباية الضرائب التى وقع الاتفاق عليها ، ولكنه لم يضع يده على شىء من ملك الكنائس ، ولم يرتكب شيئا من النهب أو الغصب ، بل انه حفظ الكنائس وحماها الى آخر مدة حياته » .

وقد ورد فى كتاب الأستاذ بتلر (فتح العرب لمصر) فى وصف دخول المصريين فى دولة العرب : « فقد خرجوا من عهد ظلم وعسف تطاول ، وآل أمرهم بعد خروجهم منه إلى عهد من السلام والاطمئنان ، وكانوا من قبل تحت نير من ظلم حكام الدنيا واضطهاد أهل الدين ، فأصبحوا وقد فك من قيدهم فى أمور الدنيا ، وأرخى من عنانهم . وأما دينهم فقد صاروا فيه إلى تنفس حر وأمر طليق » .

واذا كان قبط مصر قد دخلوا فى الاسلام أفواجا حتى صار الاسلام دين الكثرة فى البلاد ، فما ذلك إلا ميل الطبيعة نحو وحدة قوم هم بطبيعة حياتهم ذاتها لا يستطيعون الا أن يكونوا شعبا واحدا متجانسا . ولقد بقيت من القبط بقية عظيمة فى دلالتها ، عظيمة بما يجرى فى عروقها من دم مصر القديمة ، واذا كان دينها دين المسيح ، ودين سائر أهل مصر الاسلام ، فان ذلك لا يفرق بين طائفتين تجمع بينهما أسباب الحياة وأواصر الاخوة . وأن الاسماء إذا اختلفت ، والمظاهر إذا لاح عليها شىء من التباين ، فان الدماء التى تجرى فى العروق ترجع الى منبع واحد وجرثومة قديمة شهدت عصور ما قبل التاريخ ؟

محمد فريد أبو حديد

الهجـــرة

رواية فى فصـــل واحد وسبعة مناظر

للأستاذ توفيق الحكيم

إني أشهد أن محمداً نبي كريم
إني أشهد أن محمداً بشر عظيم
إني أسجد للعظمة والنور
وما صفحاتي إلا إشهاد وسجود..
توفيق الحكيم

المنظر الأول

كان النبي (ص) جالساً وحده فى المسجد وأشراف قريش يجتمعون عن كثب يتهامسون .....

قريش — ما الرأى فى محمد ؟ إن عمه أبا طالب يمنعه وينصره علينا

عتبة بن ربيعة — أجل ، ولا قِبل لنا بأبى طالب

أبو جهل — إنى لأخشى أن يتابع محمداً بعض رؤوس القوم فيعز ويمتنع ويفشو أمره فى القبائل

أبو سفيان — ما أحسبه يا أبا الحكم إلا نائلا منا إن تركناه فيما هو فيه

قريش — وما الرأى ؟

عتبة « تبدو له فكرة »

يا معشر قريش ! ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟

قريش — بلى يا أبا الوليد ، قم اليه فكلمه

« يقوم عتبة الى رسول الله ويجلس اليه ......»

عتبة « للنبي »

يا ابن أخى ، إنك منا حيث قد علمت من السلطة فى العشيرة والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم : فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ؛ فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

محمد — قل يا أبا الوليد ، أسمع

عتبة — يا ابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد به شرفا ، سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ، ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الوحى الذى يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

« يسكت عتبة وينظر الى النبى »

محمد — أقد فرغت يا أبا الوليد ؟

عتبة — نعم

محمد — فاستمع منى

عتبة — أفعلُ

محمد « يتلو »

بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنّة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل إننا عاملون . قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ، أنما إلهكم إله واحد ، فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . . . .

؟

عتبة « ينصت ويلقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ... »

محمد « يمضى فيها يقرؤها عليه »

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون . قل
أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون
له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من
فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء
للسائلين. ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض
ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع
سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء
الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم . فان
أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ،
إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا
إلا الله ، قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم
به كافرون ، فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق
وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم يروا أن الله الذى خلقهم
هو أشد منهم قوة وكانو بآياتنا يجحدون . فأرسلنا عليهم
ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى
الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون .
وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم
صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون . . .

« ينتهى رسول الله الى السجدة منها فيسجد ... »

عتبة — « مأخوذا كأنما على رأسه طائر واقع ... ... »

؟

محمد — قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فانت وذاك

عتبه — « يقوم الى أصحابه صامتا »

؟

أبو جهل « لقريش ناظرا الى عتبة مقبلا عليهم »

أحلف لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به

عتبة — « يجلس اليهم ساكنا »

أبو جهل — ما وراءك يا أبا الوليد ؟

عتبة — « فى صوت متغير »

ورائى انى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط . والله
ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ،
أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه

« قريش يعروها دهش ويصمت الجميع »

أبو جهل — « ينتبه ويرفع رأسه ملتفتا الى عتبة ... ... »

سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه

عتبة — والله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ

قريش — أهذا رأيك فيه ؟

عتبة — هذا رأيى فيه ؛ فاصنعوا ما بدا لكم . . .

المنظر الثانى

« بعد غروب الشمس ... ...
أشراف قريش عند ظهر الكعبة »

أمية بن خلف — هل بعثتم اليه ؟

أبو سفيان — نعم ، لقد بعثنا اليه أن أشراف قومك قد
اجتمعوا لك ليكلموك

أمية بن خلف — أجل ، ابعثوا اليه فكلموه وخاصموه حتى
تعذروا فيه

أبو جهل — لن يستطيع اليوم أن يسحرنا بحديثه كما سحر
أبا الوليد

أبو سفيان « ينظر »

ها هو ذا مقبلا سريعا

أمية — « ينظر »

أرى فى وجهه المستبشر أنه يظن أن قد بدا لنا فيه بداء

« رسول الله يحضر ويجلس اليهم مستبشرا طامعا فى اسلامهم »

أبو سفيان — « لأبى جهل »

كلمه أنت يا أبا الحكم

أبو جهل — « لرسول الله »

يا محمد ! انا قد بعثنا اليك لنكلمك ، وانا والله ما نعلم رجلا
من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ،
لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ،

وسفهت الأحلام . فان كنت انما جئت بهذا الحدث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك

« يسكت وينظر الى النبى »

محمد — ما بى ما تقولون . ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم

قريش «تهامس»

انه غير قابل

أبو جهل — يا محمد ان كنت غير قابل شيئا مما عرضناه عليك فانك تعلم أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كانهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا فنسالهم عما تقول أحق هو أم باطل ، فان صدقوك وصنعت ماسألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول

محمد — مابهذا بعثت اليكم ، انما جئتكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ماأرسلت به اليكم ، فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم

قريش « تهامس »

انه والله غير فاعل

أبو جهل — فاذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك

أبو سفيان — وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة ، يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فانك تقوم بالأسواق كما نقوم ، تلتمس المعاش كما نلتمسه

أمية — نعم ، فليجعل لك قصورا وكنوزا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم

محمد — ماأنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا ، فان تقبلوا ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وأن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم

قريش « تهامس »

فليرنا مايتوعد

أبو جهل — أسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ، فان ربك ان شاء فعل ، فانا لا نؤمن لك الا أن تفعل

محمد — ذلك الى الله ان شاء أن يفعله بكم فعل

أبو سفيان — يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك مانطلب فيتقدم اليك فيعلمك ماتراجعنا به ويخبرك ماهو صانع فى ذلك بنا اذا لم نقبل منك ماجئتنا به ؟

أبو جهل — يامحمد ، أنه قد بلغنا أنك انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ، وانا والله لانؤمن بالرحمن أبدا ، فقد أعذرنا اليك ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا

أمية — نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله

أبو سفيان — لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا

محمد «يقوم عنهم يائسا» «ويقوم معه عبد الله بن أبى أمية»

؟

عبد الله — يامحمد ، عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم

سألوك أن أخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل ، فوالله لا أو آمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتى بصك ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وايم الله أن لو فعلت ذلك ماظننت أنى أصدقك

محمد — « ينصرف حزينا آسفا »

؟

أبو جهل — يامعشر قريش ، إن محمدا قد أبى الا ماترون من عيب ديننا وشتم آلهتنا ، وأنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أوامنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم

الجميع — والله لا نسلمك لشىء أبدا ، فامض لما تريد

المنظر الثالث

أبو طالب « وقد حضره الموت .... »

أبو طالب — شربةَ ماء !

العباس « على رأسه يسقيه »

؟

أبو طالب « يلتفت »

من هذا ؟

العباس — أين ؟

أبو طالب « يشير الى الباب »

؟

العباس « يتوجه الى الباب ينظر ثم يعود »

هو أبو جهل فى رجال من أشراف قومه ، ما أحسبهم الا يمشون اليك فى أمر محمد ابن أخيك

أبو طالب — أدخلهم على

العباس « يدخلهم »

؟

أبو جهل — يا أباطالب ، انك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه نخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننا وندعه ودينه

أبو طالب « يشير الى العباس أن يبعث الى محمد »

؟

العباس « يخرج فى طلبه ثم يعود »

لقد جاء محمد

« يدخل رسول الله »

أبو طالب « للنبي »

يا ابن أخى ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك

محمد — نعم ياعم ، كلمة واحدة يعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم

أبو جهل — نعم وأبيك وعشر كلمات

محمد — تقولون ، لا إله الا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه

« يصفق القوم بأيديهم »

أبو جهل — أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة الها واحدا ؟ ان أمرك لعجب

أبو سفيان « يتهيأ للانصراف مع بعض القوم » والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه

« يتفرقون ويخرجون »

أبو طالب « للنبي بعد خروج قريش » والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا

محمد « ناظرا اليه طامعا فى اسلامه »

أى عم ، فأنت فقلها ، أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة

أبو طالب — يا ابن أخى ، والله لولا مخافة السبة عليك وعلى

بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى انما قلتها جزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها الا لأسرك بها ....

« يقترب منه الموت »

العباس أخى . . .

أبو طالب — من هذا ؟

العباس — أين ؟

أبو طالب — « يغمض عينيه ويحرك شفتيه »

؟

العباس « ينحني عليه ، ويصغى اليه بأذنه ثم يهمس الى رسول الله ....»

يا ابن أخى ، والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها

محمد — لم أسمع

المنظر الرابع

« بيت النبي فى مكة »

بلال — « يدخل باكيا »

؟

جارية — ويحك يابلال . ما بك ؟

بلال — قاتلهم الله

الجارية — ما يبكيك يابلال ؟

بلال — قاتلهم الله

الجارية — من هم ؟

بلال — أغروا أحد سفهائهم فاعترض رسول الله وحثا على رأسه التراب

الجارية — التراب ؟

بلال — نعم

الجارية — قريش ؟

بلال — نعم . هى قريش صنعت هذا

الجارية — نعم ، اليوم

بلال — واحزناه عليك يا أبا طالب . من ذا يمنع اليوم النبى وينصره ؟

الجارية — « ترى احدى بنات النبى مقبلة »

صه ودع البكاء عنك يابلال

بلال — « يرى النبي مقبلا »

رسول الله . . .

« ثم يكفكف دمعه سريعا »

محمد — « يدخل والتراب على رأسه »

ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب

ابنته — « تبكى »

؟

« ثم تأتى بماء وتغسل عن النبي التراب ...... »

محمد — لا تبكى يا بنية ، فان الله مانع أباك

المنظر الخامس

« فى الطائف . النبي فى نفر من سادة ثقيف وأشرافهم على مقربة من حائط لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وهما فيه ينظران »

عتبة — « يهمس »

ما جاء به الى الطائف ؟

شيبة — ما أحسبه الا جاء يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه

عتبة — قريش ؟

شيبة — نعم ، ماكان أحد يمنعه وينصره على قريش الا عمه أبو طالب ، فلما هلك عمه نالته قريش من الأذى بما لم تكن تطمع به فى حياة عمه

عتبة — وهل تحسب ثقيفا ناصرة اياه ؟

شيبة — ان لم تنصره ثقيف فلا ناصر له

عتبة — « يلتفت الى ناحية القوم »

انظر يا شيبة . انه جلس الى أشراف ثقيف يدعوهم الى ربه الذى يحدث عنه . وما أرى فى وجوه القوم الا استهزاء به وبما يقول

شيبة — « ينظر »

سمع . هذا مسعود بن عمرو يدنو منه

مسعود — « يدنو حقيقة من النبي »

اني أمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك

عتبة — « لشيبة همسا »

أسمعت ؟

شيبة — « هامسا »

سمعت

عتبة — « همسا »

أري وجهه قد تغير

شيبة — هذا أيضاً عبد ياليل بن عمر يدنو منه

عبد ياليل « يدنو من النبي »

أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟

عتبة — « هامسا »

انهم يغلظون له

شيبة — صه . هذا حبيب بن عمرو يدنو منه كذلك ليقول له شيئا

حبيب — « للنبي »

والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لى أن أكلمك

محمد — « يقوم وقد يئس منهم »

عتبة — انظر ياشيبة ، انه قد قام

شيبة — ما أراه الا بائسا حزينا

عتبة — انه يريد أن يقول لهم شيئا ، اسمع

محمد — « للقوم »

اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني

عتبة — « هامسا »

ماذا يريد بهذا ؟

شيبة — لعله يكره أن يبلغ قومه عنه خذلان ثقيف له فيذئرهم ذلك عليه

« صياح واصوات » .

عتبة — ما هذا الصباح ؟

« ينظر »

انظر هؤلاء ناس وعبيد تصيح به

شيبه — « ينظر »

ما أحسب الا أن القوم قد أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به .

عتبة — انظر لقد اجتمع عليه الناس وهو لا يستطيع منهم فرارا

شيبة — ما أرى الا أنه سيلقى منهم أذى كثيرا

عتبة — أنه مقبل علينا

شيبة — أنهم يسدون عليه السبيل

« الصياح يقترب »

عتبة — لقد ألجأوه الى حائطنا

شيبة — ، أجل ، ها هو ذا يسقط إعياء

« النبي قد عمد حقيقة الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وقد رجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف ...... »

عتبة — أى هوان يلقى هذا الرجل من أهل الطائف !

شيبة — أتحركت له رحمتك يا عتبة ؟

عتبة — « ينظر اليه »

اسمع . اصغ . انه يقول شيئا

محمد — « وقد اطمأن قليلا بعد ذهاب الناس عنه .... »

اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي . الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ أن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي . ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك

عتبة — « همسا لاخيه شيبة »

أسمعت ؟

شيبة « مأخوذا »

نعم !

عتبة — أيمكن أن يكون مثل ذلك الرجل كذابا ؟

شيبة — ويحك يا عتبة !

عتبة « ينادي غلامه همسا »

يا عداس !

عداس — لبيك !

عتبة — خذ قطفا من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه

عداس « يسرع الى ما أمر به »

شيبة « ينظر الى وجه أخيه »

ما حملك على هذا ؟

عتبة « ينظر الى النبي »

انظر ياشيبة ، ان عداسا قد أقبل بالطبق ووضعه بين يديه

عداس « للنبى »

كلْ !

محمد « يضع يده فى الطبق »

بسم الله !

« ثم يأكل »

عداس « ينظر فى وجه النبي »

والله ان هذا لكلام ما يقوله أهل هذه البلاد

محمد — ومن أهل أى البلاد أنت ؟ وما دينك ؟

عداس — نصرانى . وأنا رجل من أهل نينوى

محمد — من قرية الرجل الصالح يونس بن متى

عداس — وما يدريك ما يونس بن متى ؟

محمد — ذاك أخى . كان نبيا وأنا نبي

عداس — « يكب على رسول الله يقبل رأسه ويديه وقدميه ... ... »

؟

عتبة — « هامسا لشيبة »

أرأيت ؟

شيبة — نعم

عتبة — وما تقول فى هذا ؟

شيبة — أما غلامك فقد أفسده عليك

عداس « يقبل عليهما »

؟

عتبة — ويلك يا عداس ، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟

عداس — يا سيدى ما فى الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرنى بامر مايعلمه إلا نبي

شيبة — ويحك ياعداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فان دينك خير من دينه

عداس — ان مثل هذا لا يمكن أن يحتمل مالقى إلا فى سبيل الحق ، ولا ان يثبت على دينه بعد كل هذا إلا أن يكون دينه دين الحق

المنظر السادس

« دار الندوة التي تجتمع فيها قريش للمشاورة . ابليس فى ثياب شيخ نجدي جليل يدخل الدار وهى خالية فتلقاه حية تظهر في الحائط »

الحية — «تصيح به»

ابليس فى لبوس شيخ من نجد ؟

ابليس — لا تصيحى أيتها الضئيلة

الحية — ماذا جئت تصنع فى دار الندوة ؟

ابليس — أريد محمدا

الحية — تريد به الهلاك

ابليس — أريد لنفسى الحياة

الحية — ماذا صنع بك ؟

ابليس — سيغير وجه الأرض !

الحية — كيف ؟

ابليس — نور يخرج من قلبه يضيء الأرض

الحية — وما يضيرك هذا ؟
ابليس — يعمى بصرى هذا النور
الحية — أطفئه من قلبه
ابليس — لا سلطان لى على مثل هذه القلوب
الحية — قلب لا ككل القلوب ، انى لأذكر أمره ،لقد أتاه الملكان وهو صغير بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاه فشقا بطنه واستخرجا قلبه ، فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبه وبطنه بذلك الثلج حتى أنقياه . . .
ابليس — العلقة السوداء !
الحية — تلك رسولك فى كل قلب
ابليس — تبا له ، تبا له
الحية — كما كنت أنا رسولك الى أول قلب
ابليس — حواء ؟
الحية — ذاك يوم ملعون الى أبد الآبدين
ابليس — أتندمين ؟
الحية — ماذا جنيت من كل هذا ؟
ابليس — قلت لك : تلك حياتى
الحية — حياة ملعونة فى كل زمان
ابليس — ويل للنفاق ! ويل للنفاق !
الحية — نفاقك
ابليس — بل نفاق من يلعننا
الحية — كنت أود أن تفتن غيرى
ابليس — أود أن أفتن هذا الرجل
الحية — انك تقول أن لا سبيل لك عليه
ابليس — تبًا لى !
الحية — أنه ليس كغيره من الناس
ابليس — تبا له !
الحية — لقد وزنه الملكان وهو صغير بعشرة من أمته فوزنهم ، ثم وزناه بمائة من أمته فوزنهم ، ثم وزناه بالف من أمته فوزنهم : فقالا والله لو وزناه بأمته كلها لوزنها

ابليس — صه . انهم قادمون
الحية — من هم ؟
ابليس — ادخلى جحرك . ولا تخذن لغة القوم
« الحية تختفى ويقف ابليس بباب الدار ويدخل أشراف قريش »
أبو سفيان « لابليس »
من الشيخ ؟
ابليس — شيخ من أهل نجد ، سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، عسى ألا يعدمكم منه رأى ونصح
أبو جهل — أجل فادخل
« ابليس يدخل معهم ويجتمعون فى دائرة .... »
أبو سفيان — تكلم يا أبا الحكم
أبو جهل — ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا
أمية بن خلف — احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله : زهير أو النابغة ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم
ابليس — لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا فى غيره
أبو سفيان « يتفكر قليلا »
نخرجه من بين أظهرنا فتنفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، اذا غاب عنا وفرغنا منه ، أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت
ابليس — لا والله ما هذا لكم برأى . ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ،

ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم فى بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . دبروا فيه رأيا غير هذا

أبو جهل «بعد تفكير»

والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد

أبو سفيان — وماهو يا أبا الحكم ؟

أبو جهل — أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم

ابليس « مبتهجا »

القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره

«يتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له .....»

المنظر السابع

(ليلة الهجرة ... النبى فى داره ..)

جبريل «للنبي»

لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه

(يرتفع الملك)

على بن ابى طالب (يدخل هامسا)

ألمح فى عتمة الليل رجالا قد اجتمعوا على بابك ، ما أحسبهم الا يرصدونك حتى تنام فيثبون عليك

محمد — نم على فراشي والتف ببردى هذا الحضرمى الأخضر فنم فيه ، فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم

« على يفعل ما أمره به النبي »

أبو جهل « يهمس بين الرجال على باب النبى »

أكره أن يفلت منا الليلة كما أفلت منى يوم احتملت الحجر أريد فضخ رأسه فى المسجد

أمية « هامسا »

وكيف أفلت منك يومئذ ؟

أبو جهل « هامسا »

ما أدرى والله . لقد أقبلت نحوه حتى اذا دنوت منه رجعت مرعوبا وقد يبست يداى على حجرى حتى قذفته من يدى ، فقد عرض لى دونه فحل من الابل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بى أن يأكلنى

أمية — سحرك والله يا أبا الحكم

أبو جهل — ان كان قد سحرنى يومئذ فما أحسبه يستطيع ذلك الليلة معكم جميعا

أمية — أرى أنه قد نام

أبو سفيان (يتطلع الى مكان النبى)

انه نائم فى برده الأخضر الذى ينام فيه

أبو جهل — ان محمداً يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن ، وان لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نارا تحرقون فيها

«رسول الله يخرج عليهم آخذا حفنة من تراب فى يده ......»

محمد — نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم

«ينثر عليه الصلاه والسلام التراب على رؤسهم حتى لم يبق منهم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وهو يتلو :»

يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم ، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون .

« ينصرف النبى وهم كالنائمين لا يبصرون ... ... »

؟

راع « يمر بهم »

؟

قريش « لا تراه »

الراعى « لقريش »

ما تنتظرون ههنا ؟

السفارات النبوية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

مضت خمسة أعوام على هجرة النبي العربي (عليه السلام) الى المدينة قبل أن تهدأ ثائرة قريش أو تفتر عن مخاصمته ومهاجته ؛ وأنفق النبي هذه الأعوام الخمسة على أهبة الدفاع يرد محاولات قريش لغزو معقله وملاذ دعوته ، أولا في بدر ثم في أحد ثم في موقعة الخندق . فلما وهنت قوى قريش بعد الخندق ، استطاع النبي أن يعنى بالتفكير في العمل الايجابي لمغالبة خصومه وبث دعوته . ولم تكن الدعوة الاسلامية قد تجاوزت يومئذ وديان مكة والمدينة ؛ ولم تثبت دعائمها الا في المدينة بين عصبة المهاجرين والانصار ؛ ولم يك ثمة ماينبىء بأن هذه البداية الضئيلة إنما هي الحجر الأول في صرح الدولة الاسلامية العظيمة التي قامت بعد ذلك بعشرين عاما فقط على أنقاض دولتين من أعظم دول التاريخ هما الدولة الفارسية والدولة الرومانية الشرقية . وكان فشل قريش في موقعة الخندق حاسما في تطور هذه الخصومة التي أضرمت قريش لظاها مذ أذاع النبي رسالته . ومنذ الخندق استطاع الاسلام أن يفتتح غزواته للامم والاديان القديمة ؛ ففي أواخر العام الخامس وأوائل العام السادس للهجرة قام النبي بعدة غزوات محلية لبعض القبائل والبطون المعادية وفي أواخر العام السادس نظم النبي بعوثه أو سفاراته لأكابر الملوك والامراء المعاصرين . وفي العام السابع كانت موقعة خيبر التي سحق فيها اليهود المخالفون . وفي العام الثامن كان فتح مكة وخضوع قريش ؛ وكان ظفر الاسلام حيثما استهل رسالته وانبعثت أشعته الأولى

وكانت السفارات النبوية بين حوادث هذا العهد حادثا فريدا ؛ وكانت دليلا جديدا على ما تجيش به نفس الرسول العربي من سمو في الشجاعة وقوة في الايمان برسالته . ولم يكن الاسلام يومئذ قوة يخشى بأسها فيدعو قيصر وكسرى الى اعتناق دعوته ؛ ولكن محمدا أرسل للبشر كافة بشيرا ونذيرا . وكما كانت الغزوات النبوية المتواضعة سبيلا للذود عن الاسلام ووسيلة لتأييد كلمة ، فكذلك كانت السفارات النبوية سبيلا لأداء رسالته وابلاغ صوته الى الملوك والامراء الذين يحكمون العالم القديم يومئذ . ففي شهر ذي الحجة سنة ست من الهجرة (ابريل سنة ٦٢٨ م) (١) بعث النبي كتبه وسفراءه الى ثمانية من أولئك الملوك والامراء هم قيصر قسطنطينية ، وقيروس حاكم مصر الروماني ، والحارث بن ابي شمر الغساني النصراني عامل قيصر على الشام ، وكسرى (خسرو) ملك فارس ونجاشي الحبشة ، وثلاثة من امراء الجزيرة المحليين هم هوذة بن علي صاحب اليمامة ، والمنذر بن ساوى صاحب البحرين ، وجيفر بن جلندا واخوه صاحبا عمان . وقد كان هؤلاء «ملوك العرب والعجم » الذين يسودون الجزيرة العربية يومئذ او يتصلون بها بأوثق الصلات . وكان اهمهم واعظمهم

(١) هذه هي رواية ابن اسحاق اقدم رواة السيرة ؛ وكذا ابن عبد الحكم والطبري (راجع فتوح مصر واخبارها ص ٤٤ — والطبري ج ٣ ص ٨٤) . وهي أوثق رواية فيما نعتقد وخصوصا لاتفاقها مع ترتيب الحوادث والتواريخ التي تقدمها الرواية البزنطية عن هذه الفترة من حكم هرقل (راجع بتلر — فتح العرب لمصر — ص ١٢٤ والهامش — وراجع (Milne - Egypt under Roman Rule. P. 115) وأيضا (Muir - The Life of Mohamed IV P. 50)

ويقول الواقدي انها كانت في المحرم سنة ٧ (الطبري ج ٣ ص ٩١ ويأخذ المستشرق الالماني شبرنجر بهذه الروايه ويرجح بالاعتماد على بعض المقارنات التاريخية ان البعوث كانت في المحرم سنة ٧ (مايو - يونيه سنة ٦٢٨ م) . وهو خلاف يسير . راجع : (Sprenger : Das Leben und die Lehre Mohamed I P. 261)

الجميع « كأنما افاقوا . يهمسون »

محمـــدا

الراعي — خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك
منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ،
أفما ترون ما بكم ؟

الجميع « يضع كل منهم يده على رأسه »

حقا هذا تراب ، ما هذا التراب ؟

« يتطلعون الى فراش النبي وفيه علي في برد رسول الله »

أبو جهل « متطلعا »

والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده

الراعي « كالمخاطب لنفسه »

ان محمدا قد هاجر أيها الغافلون .... !!

« جميع الحقوق محفوظة لتوفيق الحكيم »

بلا ريب قيصر الروم وملك فارس ، وقد كانا يقتسمان سواد العالم القديم يومئذ ؛ ويبسط اولهما حكمه على الشام وما اليها جنوبا حتى شمال الحجاز ، ويبسط الثانى حكمه على شمال شرق الجزيرة ، ويدين له كثير من امراء العرب بالولاء والطاعة . وكان الاول زعيم الامم النصرانية ، والثانى زعيم الامم الوثنية

نظمت هذه السفارات وارسلت الى مختلف الانحاء ، لكل ملك وفد أو رسول ولكل كتاب نبوى . وكانت مهمتها جميعا واحدة . وتقدم الرواية الاسلامية الينا صور الكتب المرسلة ، وهى جميعا فى صيغ واحدة او متماثلة ؛ وفيها جميعا يدعو النبى ملوك عصره الى الاسلام والايمان برسالته . وكان سفير النبى الى هرقل قيصر الدولة الرومانية الشرقية دحية بن خليفة الكلبى ؛ واليك نص الكتاب النبوى الى قيصر حسبما ورد فى السيرة وفى الصحيحين : « من رسول الله الى هرقل عظيم الروم ؛ سلام على من اتبع الهدى ـ اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم : أسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فان عليك إثم الاريسيين (١) ؛ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (٢) . وكان هرقل (الاول) قد تسنم عرش قسطنطينية قبل ذلك بثمانية عشر عاما بعد حوادث وخطوب جمة ، وقضى معظم عهده فى حروب طاحنة مع الفرس . وكان الفرس قد غلبوا على مصر وسوريا وآسيا الصغرى ، وهددوا قسطنطينية نفسها ، فاستطاع هرقل ان يردهم عن اقطار الدولة ، وان يطاردهم حتى قلب بلادهم ، وان يسحق قواتهم فى موقعة نينفة الحاسمة (ديسمبر سنة ٦٢٧) . وفر كسرى الثانى ملك الفرس المعروف بكسرى ابرويز

(١) وفى رواية أخرى « فان عليك اثم الاكاريين » وفى صورة اوردها ابو عبيدة لكتاب النبي الى هرقل يختم الكتاب بما يأتي : « والا فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام ان يدخلوا فيه او يعطوا الجزية » (راجع صبح الاعشى ج ٦ ص ٣٧٦) والاريسيين ليست عربية وكذلك الاكاريين . ولعلها تعني على ضوء عبارة ابي عبيدة . الفلاحين او الرعايا العاديين .

(٢) اورد ابو عبيدة فى كتاب الاموال نصا آخر لكتاب النبي الى هرقل يدعوه فيه الى الاسلام او دفع الجزية (راجع صبح الاعشى ج ٦ ص ٣٧٦ حيث يورد نصوص باقى الكتب النبوية) . ويورد ابن عبد الحكم نفس هذا النص ، ولكن على انه نص الكتاب الذي وجه الى المقوقس (حاكم مصر الروماني) — (راجع فتوح مصر ص ٤٦) .

من عاصمته المدائن ، ثم قبض عليه ولده شيرويه (سيروس) وقتله وجلس على العرش مكانه ، وعقد الصلح مع هرقل . وعاد قيصر الى قسطنطينية ظافرا يحمل صندوق « الصليب المقدس » الذى كان الفرس قد انتزعوه من بيت المقدس . ثم سار فى خريف هذا العام (سنة ٦٢٨) حاجا الى بيت المقدس سيرا على الاقدام ومعه الصليب ليرده الى موضعه بالقبر المقدس ؛ فبينا هو ببيت المقدس يؤدى مراسم الحج ، اذ وفد عليه حاكم بصرى (بوسترا) ومعه دحية الكلبى ؛ فقدم اليه كتاب النبى ، واخبره بمضمون سفارته (١) . وتقول الرواية الاسلامية ان هرقل استقبل سفير النبى بأدب وحفاوة ، وسأله عن بعض احوال النبى واحوال رسالته ؛ بل تذهب الى القول بأن هرقل هم باعتناق الاسلام لولا أن خشى نقمة البطارقة ، وانه صارح دحية برغبته وخشيته . وهذه مبالغة بلا ريب . ونستطيع ان نتصور ما اثارته سفارة النبى فى نفس قيصر من بواعث الانكار والدهشة ؛ ولعله لم يكن قد سمع عن محمد ورسالته من قبل قط ؛ بيد انه رد السفير النبوى ببعض المجاملات والاقوال الودية . ولما عاد هرقل الى عاصمته وصلته رسالة أخرى تلقاها عامله على الشام المنذر بن الحارث الغسانى من النبى على يد رسوله شجاع بن وهب يدعوه فيها الى الاسلام ، ويحذره عواقب المخالفة (٢) فبعث بها المنذر توا الى هرقل وسأله ان يسير لمحاربة ذلك الذى اجترأ على هذا الوعيد فلم يوافقه هرقل على ذلك ، ورد شجاع كما رد دحية ببعض المجاملات والتحيات

ووصلت سفارة النبى الى مصر فى الوقت نفسه يحملها حاطب ابن بلتعة اللخمى . وتجمع الرواية الاسلامية على أن هذه السفارة كانت موجهة الى « المقوقس عظيم القبط » وتقدم الينا صورة الكتاب النبوى الذى أرسل اليه مستهلا بهذه العبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط » (٣) وهو فى نص الكتاب الذى وجه الى هرقل وفى نفس عباراته مع تغيير يسير فى بعض الروايات (٤) ؛ وفيه يدعى المقوقس كما دعى

(١) الطبرى (ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦ ، وفى رواية أخرى أن الذى قدم كتاب النبى الى هرقل هو حاكم بصرى بعد أن تلقاه من دحية . وفى بعض الروايات أيضا أن الرسالة وصلت الى هرقل أثناء رحلته قبل أن يصل الى بيت المقدس Muir; Ibid; p. 61

(٢) يورد الواقدي نص هذه الرسالة (الطبرى ج ٣ ص ٨٨)

(٣) راجع نص الكتاب كله فى ابن عبد الحكم ـ ص ٤٦

(٤) راجع صبح الاعشى ، فهو يورد نصا آخر لهذا الكتاب (ج ٦ ص ٣٧٧)

هرقل الى اعتناق الاسلام . وهنا يجب أن نقف قليلا عند شخصية المقوقس هذا الذى تعرفه الرواية الاسلامية دائما بأنه عظيم القبط .
فقد كانت مصر يومئذ ولاية رومانية استردها هرقل من الفرس بعد أن لبثوا فيها عدة اعوام (١) ورد البهاسلطة قسطنطينية ، وعاد يحكمها الولاة الرومانيون كما كانت من قبل ؛ ولم يكن لاهلها القبط أى نوع من الاستقلال . والظاهر أن هذه الحقائق لم تكن مجهولة فى المدينة حيث تدل رسالات النبى وكتبه على ان الاحداث والاوضاع السياسية التى كانت تسود الجزيرة العربية وما يجاورها من الممالك كانت معروفة من النبى وصحبه . وقد كان حاكم مصر الرومانى فى نحو الوقت الذى نتحدث عنه هو الحبر « كيروس » وهو فى نفس الوقت حاكم مصر وبطريقها الأكبر . وقد استطاع البحث الحديث أن يلق كثيرا من الضياء على شخصية « المقوقس » وأن يتعرف فيه شخصية « كيروس » نفسه ؛ واذا فالمرجح أن المقوقس الذى تردد الرواية العربية اسمه انما هو « كيروس » حاكم مصر الرومانى(٢) بيد أن هناك نقطة ما تزال غامضة هى أن « كيروس » لم يعين حاكما لمصر إلا فى سنة ٦٣١ م أعنى بعد ارسال السفارات النبوية باكثر من عامين ؛ ولا يمكن أن تفسر هذه الثغرة فى التواريخ الا بأن السفير النبوى قد انفق الوقت فى قطع الطريق ثم فى الانتظار أو أن « كيروس » كان معينا قبل ذلك لحكم مصر بصفة غير رسمية ثم عين بصفة رسمية . بيد أن الواقدى يقدم الينا حلا لهذا المشكل ، فيقول ان سفارة النبى الى « المقوقس » كانت فى السنة الثامنة من الهجرة لا فى أواخر السنة السادسة (٣) . وأواخر السنة الثامنة من الهجرة توافق أواسط سنة ٦٣٠ م ، فاذا اضفنا الى ذلك موعد المسافة من المدينة الى مصر استطعنا أن نضع مقدم السفير النبوى فى اوئل سنة ٦٣١ م . وعلى اى حال فالمرجح والمعقول هو أن السفارة النبوية لم توجه فى مصر لاحد غير الحاكم العام ، وقد كان هذا الحاكم العام هو « كيروس » . ومما يؤيد هذ الحقيقة هو أن السفير النبوى قصد الى الأسكندرية ليؤدى مهمته وقد كانت الاسكندرية يومئذ مقر الحاكم العام الرومانى

اخترق حاطب بن بلتعة اللخمى مصر من شرقها الى غربها وقصد الى الاسكندرية ليؤدى سفارة النبى ورسالته ، واخذ الى « كيروس » فى مجلسه المشرف على البحر ؛ فاستقبله بترحاب وحفاوة ، وتلقى منه الكتاب النبوى وناقشه فى مضمونه ، وسأله عن النبى ودعوته . وهنا تقول الرواية الاسلامية أيضا كما قالت فى شأن هرقل ، ان المقوقس (كيروس) أفضى الى حاطب بأنه مؤمن بصدق رسالة النبى ، وانه يود لو تبعه لولا خشيته من القبط ؛ ثم صرف حاطبا بكتاب منه الى النبى وهدية يذكرها فى الكتاب . واليك نصه كما يورده ابن عبد الحكم اقدم مؤرخ لمصر الاسلامية : « لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط . سلام ، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت وماتدعو اليه . وقد علمت ان نبيا قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام . وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وبكسوة ؛ وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام » (١) . وفى بعض الروايات ان الهدية تضمنت فوق ذلك حمارا وشيئا من العسل والمال (٢) . والجاريتان هما مارية القبطية وأختها شيرين . وقد أسلمتا على يد النبى ؛ وتزوج النبى بمارية ورزق منها بولده ابراهيم الذى توفى طفلا ؛ ووهب أختها شيرين لأحد أصحابه المقربين اليه . وفى زواج النبى بمارية ، وفى مولد ولده ابراهيم ، دليل مادى قاطع على انه كانت ثمة مخاطبات وعلائق حقيقية بين النبى وعظيم مصر يومئذ ، أعنى « كيروس » الحاكم الرومانى

٭٭٭

هكذا كانت النتائج التى انتهت اليها الكتب والسفارات النبوية الى قيصر وعامليه على مصر والشام ، وقد كانت نتائج سلبية ، ولم تكن حاسمة فى شىء . بيد أنها كانت بلاريب ذات أثر معنوى عميق فى البلاط الرومانى وفى الكنيسة

وأما الكتب والسفارات النبوية الى الناحية الشرقية من الجزيرة فقد لقيت مصاير أخرى . وكانت ثلاثا أهمها سفارة فارس ، وكان سفير النبى الى ملك فارس عبدالله بن حذافة السهمى ، فقصد الى المدائن ومعه الكتاب النبوى . وتقدم الرواية الاسلاميه ايضا نص هذا

(١) يراد بالفتح الفارسى لمصر هنا ، الفتح الثانى الذى تم فى عهد كسرى سنة ٦١٦ م حيث فتح الفرس آسيا الصغرى وفلسطين ومصر ولبثوا فى مصر زهاء عشرة اعوام حتى اجلاهم هرقل عن مصر وباقى املاك الدولة (سنة ٦٢٧ م)

(٢) راجع بتلر ـ ص ١٢٦ و ص ٤٤٤ وما بعدها Lane Poole; Milne ; ibid, 115 Egypt in tha Middle ages p. 5. 7

(٣) راجع الطبرى ـ ج ٣ ص ٩٠

(١) فتوح مصر ص ـ ٤٧

(٢) فتوح مصر ص ـ ٤٨

الكتاب فيما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس – سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ، ورسوله وشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وادعو بدعاء الله ، فانى انا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ؛ فاسلم تسلم ، فان ابيت فان اثم المجوس عليك » (١) . وكان ملك الفرس يومئذ كسرى الثانى (أو كسرى ابرويز) ؛ فلما قرىء عليه كتاب النبي مزقه ، وأهان السفير وطرده ؛ وبعث إلى عامله على اليمن باذان الفارسى أن يبعث إلى محمد من يتحقق خبره أو يأتيه به ؛ فصدع بالأمر . بيد أنه حدثت فى تلك الاثناء بالمدائن حوادث خطيرة ، فان شيرويه (سيروس) ولد كسرى ثار عليه وقتله وانتزع الملك لنفسه . ويضع الواقدى تاريخ هذا الانقلاب فى العاشر من جمادى الأولى سنة سبع (٢) (سبتمبر سنة ٦٢٨ م) . فاذا صح هذا التعيين فان الرواية الاسلامية تكون معقولة متناسقة فيما تقوله من أن الذى استقبل سفير النبي وتلق كتابه هو كسرى إبرويز ، ولكن أغلب الروايات على أن مقتل كسرى كان فى فبراير سنة ٦٢٨ (ذى القعدة سنة ست) أعنى قبل قيام البعوث النبوية بنحو شهر ؛ وإذاً فالمرجح أن الذى استقبل السفير النبوى هو شيرويه ولد كسرى . أما حادث ارسال كسرى لعامله على اليمن أن يتحقق خبر محمد أو يأتيه به فالمرجح أنه وقع قبل البعوث النبوية وقبل مصرع كسرى ببضعة أشهر لما نمى الى كسرى من ظهور الدعوة الاسلامية وتقدمها (٣)

وفى السنة الثامنة من الهجرة (٦٣٠ م) قصد الى البحرين سفير آخر هو العلاء الحضرمى ، ومعه كتاب نبوى الى أميرها المنذر ابن ساوى ؛ وقصد الى عمان ، عمرو بن العاص الذى أسلم قبل ذلك بأشهر قلائل ، ومعه أيضا كتاب نبوى الى أميريها جيفر وعباد ابنى الجلندى زعيمى بنى الأزد . وفى الكتابين يطلب النبي الى هؤلاء الأمراء اعتناق الاسلام أو أداء الجزية . بيد أنهما حسبما تنقل الرواية الاسلامية قد صيغا فى أسلوب يخالف أسلوب الكتب السابقة . فمثلا تنقل الينا كتاب النبي الى أمير البحرين فيما يأتى : « من محمد النبي رسول الله الى المنذر بن ساوى – سلام عليك – فانى أحمد اليك الله الذى لا إله الا هو – أما بعد فان كتابك جاءنى به رسلك ، وأن من صلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فانه مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ؛ ومن أبى فعليه اداء الجزية . (١) » ، ففى الكتاب خيار بين الاسلام ودفع الجزية لم يرد فى الكتب السابقة ، وهو بهذه الصفة ذو صبغة عملية ؛ ثم هو يدل على أمر آخر هو أنه رد على استفهام وجهه أمير البحرين إلى النبي عن أحكام الاسلام . وقد تضمن الكتاب الذى أرسل إلى أميرى عمان شرح بعض أحكام الاسلام أيضا (٢) . وكان لهاتين السفارتين نتيجة عملية ، فان أمير البحرين ، وأميرى عمان آمنوا برسالة النبي واعتنقوا الاسلام ، وأدوا الجزية عن رعاياهم غير المسلمين . وأرسلت سفارة ودعوة اخريان على يد سليط بن عمرو الى امير آخر من أمراء هذه الانحاء هو هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة (٣) ؛ وكان نصرانيا ، فرد على النبي بكتاب خشن يطلب فيه مشاركة النبي فى أمره وسلطانه شرطا لدخوله فى دعوته .

* **

بقى أن نتحدث عن سفارة النبي الى الحبشة ، وهى السفارة الوحيدة التى أرسلت الى ماوراء البحر . وقد كان ارسالها فى ختام السنة السادسة او فاتحة السنة السابعة فى نفس الوقت الذى ارسلت فيه سفارتا قيصر وكسرى . وكان بين الحبشة والنبي وانصاره قبل ذلك علائق ودية منتظمة · والى الحبشة لجأ كثير من انصار النبي ايام الهجرة فرارا من اضطهاد قريش ، واقاموا بها تحت حماية النجاشى ورعايته ، ومنهم جعفر بن أبى طالب عم النبي ، فلما نظمت السفارات النبوية الى « ملوك العرب والعجم » ، ارسلت سفارة الى ملك الحبشة (النجاشى) على يد عمرو بن أمية الضمرى فى ذى الحجة سنة ست اعنى فى نفس الوقت الذى ارسلت فيه سفارة قيصر ؛ ووجه النبي الى النجاشى كتابين ، يدعوه فى أولهما الى الاسلام ؛ ويطلب اليه فى ثانيهما ان يرسل الى المدينة من عنده من المسلمين اللاجئين . وقد صيغت دعوة النبي الى النجاشى فى اسلوب خاص يخالف فى روحه والفاظه ما تقدم من الدعوات . واليك نص هذه

---

(١) يورد الطبرى صورة أخرى لكتاب النبى الى كسرى (ج ٣ ص ٩٠)

(٢) الطبري — ج ٣ ص ٩١

(٣) راجع Mueller : Der Islam I-149 وكذلك Muir, ibid, IV-58

---

(١) الطبري — ج ٣ ص ١٠٢ — ونقل صاحب صبح الاعشى عن السهيلى صورة أخرى لهذا الكتاب (ج ٦ ص ٣٦٨)

(٢) راجع صورة هذا الكتاب فى صبح الاعشى — ج ٦ ص ٣٨٠

(٣) من ارض نجد الشرقية مما يلى عمان

الدعوة حسبما يقدمها الينا ابن اسحاق فى السيرة : « بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله الى النجاشى الاصحم ملك الحبشة ، سلم انت ؛ فانى أحمد الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، واشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، لحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وانى ادعوك الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته ، وان تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله ؛ وقد بعثت اليك ابن عمى جعفرا ونفرا معه من المسلمين ، فاذا جاءوك فاحترمهم ودع التجبر ، فانى أدعوك وجنودك الى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع الهدى » . وقد كان النجاشى نصرانيا ، وكانت النصرانية تسود الحبشة منذ القرن الرابع . وفى الكتاب النبوى شرح لموقف الاسلام نحو النصرانية ونظريته فى خلق المسيح ؛ وهو موقف ليس فيه انكار ولا خصومة جوهرية الامن حيث الوحدة والتوحيد ؛ والكتاب النبوى ينوه بهذه الوحدة . وبعث النبى الى النجاشى أيضا يكلفه بأن يعقد زواجه من ام حبيبة بنت ابى سفيان ، وكانت من المسلمين اللاجئين ، وكانت زوجة لصحابى يدعى عبيد الله هاجر بها الى الحبشة ثم ارتد هنالك عن الاسلام وتنصر ، وتوفى مرتدا . وتقول الرواية الاسلامية ان النجاشى لبى دعوة النبى وأسلم ، وبعث اليه بكتاب يؤكد فيه اسلامه ، وانه حقق رغبته فى تزويجه من أم حبيبة نيابة عنه ، وبعثها اليه مع من كان عنده من المسلمين فى سفينتين كبيرتين . بيد أنه يلوح لنا أن القول باسلام النجاشى مبالغة يمكن أن تحمل على ما أبداه النجاشى من أدب ومجاملة فى استقبال السفارة النبوية ؛ والمرجح أن النجاشى لم يسلم ؛ ولو أسلم النجاشى يومئذ لكان الاسلام قد غمر الحبشة كلها ولكانت النصرانية قد غاضت منها . بيد أن الاسلام لم ينتشر فى الحبشة الا بعد ذلك بعصر ، وكان انتشاره فى الجهات الشرقية والجنوبية فقط (١)

ونلاحظ أخير ان البعوث والسفارات النبوية لم تقتصر على من تقدم من الملوك والأمراء . فقد أوفد النبى بعوثا وكتبا أخرى الى عدة من زعماء الجزيرة المحليين ، لتحقيق نفس الغاية فى ظروف وتواريخ مختلفة ، اسفر بعضها عن نتائج عملية مرضية ، ودخل بعض هؤلاء الزعماء فى الاسلام (١)

***

كانت هذه السفارات والكتب النبوية عملا بديعا من أعمال الدبلوماسية ، بل كانت أول عمل قام به الاسلام فى هذا الميدان . وليس أسطع من هذه السفارات دليلا على ما كانت تجيش به نفس النبى العربى من فيض فى الايمان والشجاعة ؛ ذلك النبى الذى لم يكن قد نجا بعد من اضطهاد قومه ، ولم يكن له سلطان يعتد به أو قوى يخشى بأسها ، يقدم فى ثقة وشجاعة على دعوة قيصر الدولة الرومانية وعاهل الدولة الفارسية ، وباقى الملوك والامراء المعاصرين على اعتناق دعوة لم تكتمل بعد فى مهدها ، على أن هذه الدبلوماسية الفطنة التى لجأ اليها النبى فى مخاطبة ملوك عصره لم تذهب كلها عبثا كما رأينا . ولا ريب أن النبى لم يكن يتوقع أن يلبى أولئك الملوك الاقوياء دعوته ، وهو مايزال يكافح فى بثها بين عشيرته وقومه . بيد أن إيفاد هذه البعوث كان عملا متمما للرسالة النبوية . وكان العالم القديم الذى يتوجه اليه النبى العربى بدعوته يقوم يومئذ على أسس واهية تنذر بالانهيار من وقت الى آخر ؛ وكانت الاديان القديمة قد أدركها الانحلال والوهن وفسدت مثلها العليا ؛ فكانت الدعوة الاسلامية تبدو فى جدتها وبساطتها وقوتها ظاهرة تستحق البحث والدرس . ولم يكن عسيراً أن يستشف أولو النظر البعيد ، ماوراء هذه الدعوة الجديدة من قوى معنوية تنذر بالانفجار فى كل وقت . وقد كان الانفجار فى الواقع سريعا جدا ، فلم تمض اعوام قلائل على ايفاد هذه البعوث حتى كان الاسلام قد غمر قلب الجزيرة العربية ، وانساب تيار الفتح الاسلامى الى قلب الدولتين الرومانية والفارسية ، واخذ العرب ابناء الدين الجديد وحملة الرسالة المحمدية يعملون بسرعة خارقة على انشاء الدولة الاسلامية الكبرى

وقد تناول البحث الغربى حوادث السفارات النبوية فيما تناول من حياة النبى العربى ، وكان جل اعتماده فى شأنها على الرواية الاسلامية ؛ وهنالك من كتاب السيرة الغربيين من يبدى ريبا فى أمر هذه السفارات ، أو يبدى بالاخص ريبا فى صحة الكتب والرسائل النبوية . ومن هؤلاء الكتاب المستشرقان الالمانيان فايل وميلر ؛ فان فايل يلاحظ مثلا أن فى بعض الكتب النبوية (كتاب النبى الى كيروس)

---

(١) راجع رواية الطبري عن ابن اسحاق والواقدى (ج ٣ ص ٨٩ و ٩٠) وراجع أيضا بتلر ص ١٢٥ وكذلك Mujr ; ibid IV 58 والهوامش

(١) راجع فى صبح الاعشى بعض هذه الكتب واسماء من ارسلت اليهم (ج ٦ ص ٣٦٨ و ٣٧١ و ٣٨١ و ٣٨٢

آيات قرآنية لم تكن قد نزلت وقت ارسالها مما يدل على انها قد وضعت فيما بعد (١) ، ويرتاب ميلر فى أن رسالة قد وجهت من النبى الى هرقل ، ولكنه مع ذلك يقدم ملخصا لحوادث السفارات النبوية كما وردت فى السيرة (٢)

أما نحن فلسنا نرى من الوجهة التاريخية ما يبعث على الشك فى صحة هذه السفارات النبوية ، بل نلمس بالعكس كثيرا من الادلة والقرائن على صحة معظم الوقائع التى اقترنت بها . وقد تبالغ الروايه الاسلامية فى بعض الوقائع حسبما اشرنا اليه فيما تقدم ولكن فى تعيين الرواية الاسلامية للتواريخ والاشخاص والامكنة ، وفى اتفاقها على كثير من الوقائع ، وفى موافقة الرواية الكنسية والبيزنطية لكثير منها خصوصا فيما يتعلق برسالة النبى الى قيصر وكيروس ـ فى ذلك كله ما يؤيد صحة كثير من هذه الاحداث الدبلوماسية الاسلامية الاولى . وانما يتطرق الشك فى نظرنا الى النصوص والصيغ التى تقدمها الرواية الاسلامية للكتب النبوية . ذلك انها لم ترد جميعا فى رواية ابن اسحاق اقدم مؤرخى السيرة ؛ وقد ورد بعضها بعد ذلك فى كتاب الواقدى الذى لم يصلنا منه سوى شذور قليلة ، وفى كتاب ابن عبد الحكم المصرى ، ثم فى الصحيحين (صحيح البخارى وصحيح مسلم) وفى الطبرى وغيره من الروايات المتقدمة (٣) ولكنها ترد بصيغ وألفاظ مختلفة مما يحمل الشك فى صحة هذه النصوص . وأكبر الظن أن هذه النصوص قد وضعت ، ورويت فيما بعد باعتبارانها تمثل أقرب الصور التى صيغت فيها الكتب النبوية ، وقدمها كتاب السيرة على انها أرجح النصوص المحتملة . بيد أن هذا الشك فى صيغ الكتب النبوية لا يتعدى الحقائق التاريخية التى تنهض الادلة والقرائن على صحة الكثير منها

لقد كانت السفارات النبوية حادثا سياسيا عظيما فى حياة النبى العربى ؟

محمد عبد الله عنان

المحامى

---

(١) G. Weil : Mohamed der prophet p. 198

(٢) Mueller : Der Islam - I - 148

(٣) توفى ابن اسحق سنة ١٥١ هـ — والواقدي ٢٠٧ هـ ، وابن عبد الحكم ٢٥٧ هـ ، والبخاري ٢٦٥ هـ ، ومسلم ٢٦١ هـ والطبري ٣١٠ هـ

خالد بن الوليـــد

القائد الذى لم يهزم قط (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

كان شرف قريش قبل الاسلام لبنى عبد مناف وبنى مخزوم ، وكان شرف بنى مخزوم الى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم حتى آثر بعض ذريته اسم المغيرى على اسم المخزومى . وكان هشام بن المغيرة يسمى رب مكة ، ولما مات أرخت قريش بموته ، وكان ابنه ابو جهل زعيما من زعماء قريش . والوليد بن المغيرة أخو هشام كان أكبر رجل فى مكة .وكان يلقب الوحيد ، وريحانة قريش . ولما كلم زعماء قريش أبا طالب فى أمر النبى عرضوا عليه أن يأخذ عمارة بن الوليد ويسلم اليهم محمدا فقالوا كما روى ابن هشام : « ياأبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك » .

وقال المفسرون فى قوله تعالى : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » . ان المشركين عنوا الوليد بن المغيرة فى مكة وعروة بن مسعود الثقفى فى الطائف . وقالوا فى الآيات « ولا تطع كل حلاف مهين » ـ الى ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » والآيات : « ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا » . أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة ومن أجل التنافس بين بنى عبد مناف وبنى مخزوم كانت عداوة هؤلاء للاسلام . روى ابن هشام قول ابى جهل ، « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟ »

كان للوليد بن المغيرة عشرة بنين أو ثلاثة عشر ، أسلم منهم ثلاثة عمارة وهشام وخالد .

وأم خالد لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية اخت ميمونة

---

(١) أضطر فى ضيق المجال الى اقتضاب الحوادث فى هذه النبذة الخاطفة

أم المؤمنين ، ولبابة الكبرى زوج العباس ، وكانت لبابة الكبرى منجبة أنجبت سبعة من بنى العباس يقول فيهم الراجز :

ما ولدت حليلة من بعل   فى جبل نعلمه أو سهل
كسبعة من بطن أم الفضل   أكرم بها من كهلة وكهل!

وحسب أختها انجابا أنها ولدت خالدا .

انفق الرواة على أن خالدا مات سنة احدى وعشرين ، وقال القسطلانى : وكان له بضع وأربعون سنة . فمولده حول خمس وعشرين قبل الهجرة أو اثنتى عشرة قبل البعثة .

وكان خالد قائد فرسان قريش ، وذاع صيته بما فعل فى أحد إذ فجىء المسلمين من خلفهم حين ترك رماتهم مواقفهم فهزم المسلمون بيقظة خالد ومهارته . وهو يومئذ دون الثلاثين . وقد شارك فيما كان بين المسلمين وقريش من حرب الى غزوة الحديبية ، وكان يومئذ قائد الفرسان ، وتقدم بهم من مكة الى كراع الغميم ليرد المسلمين

اسلام خالد

روى ابن اسحاق عن عمرو بن العاص : « خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة مقبل فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ فقال والله قد استقام الميسم، وان الرجل لنبى، أذهب والله فأسلم، فحتى متى ؟ قلت والله ما جئت الا لأسلم . فقدمنا المدينة على رسول الله فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت يارسول الله انى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر . فقال رسول الله ياعمرو : بايع، فان الاسلام يجب ما كان قبله ، وان الهجرة تجب ما كان قبلها فبايعته ثم انصرفت » .

دخل خالد فى جند المسلمين يومئذ وسرعان ما شارك فى الغزوات وأبلى فيها . فلم يمض على اسلامه شهران حتى شهد غزوة (مؤتة) فى جمادى الأولى من السنة الثامنة . وكانت موقعة نائية نازل فيها المسلمون أضعافهم من العرب والروم . وتهافت القواد الثلاثة الذين ولاهم الرسول واحدا بعد الآخر : زيد بن ثابت ، فجعفر بن أبى طالب ، فعبد الله بن رواحة ، فاختار الناس خالدا فدافع العدو وانحاز بالمسلمين حتى نجا ، بهم وقفل الى المدينة فلقى الناس القافلين يعيرونهم : يقولون يا فرار ، فقال الرسول صلوات الله عليه ، بل هم الكرار ، وسمى فعل خالد فتحا، ولقبه سيف الله . فى البخارى أن رسول الله قال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب — وعيناه تذرفان — حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم » ولا ريب أن من الفتح أن يخلص خالد هذا الجيش القليل من سورة جيش عرمرم جمع الروم والعرب فلا يقتل منه الا اثنا عشر . ولا ريب أن بعضهم قتل قبل تولى خالد القيادة » وروى البخارى عن قيس بن أبى حازم قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف ، وصبرت فى يدى صفيحة لى يمانية » فانما أنقذ خالد جنده اذ دفع بنفسه فى نحر العدو حتى دقت فى يده تسعة أسياف وانها لبطولة .

وبعد قليل سار المسلمون لفتح مكة ، وكان خالد قائد المجنبة اليمنى وفيها جماعة من أسلم وغفار وسليم ومزينة وجهينة وغيرها من القبائل ، وأمره الرسول أن يدخل مكة من أسفلها ، فكان بينه وبين قريش قتال يسير قتل فيه نفر من الفريقين

وبعثه رسول الله بعد الفتح الى بنى جذيمة داعيا الى الاسلام ، فقتل جماعة منهم حين لقوه بالسلاح ، فلما نمى الخبر الى الرسول قال : « اللهم انى ابرأ اليك مما صنع خالد ، وودى القتلى . واعتذر خالد بأن عبد الله بن حذافة السهمى قال له : أن رسول الله أمرك بقتالهم لامتناعهم عن الاسلام . ومهما يكن فقد أخذ المسلمون على خالد تعجله فى قتال القوم . ولكن لم تذهب هذه الهفوة بحسن بلائه .

ثم بعثه الرسول فهدم العزى فى بطن نخلة ، وكانت فى سدانة بنى سليم ، (ولا نجد ذكر خالد فى موقعة حنين ، الا ما روى ابن اسحاق أن الرسول وجد امرأة مقتولة فأرسل الى خالد أن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة أو عسيفا .

ولما كانت غزوة تبوك بعث الرسول خالدا الى أكيدر بن عبد الملك أمير دومة الجندل فأسره وجاء به الى الرسول فصالحه

ولما وضعت الحرب أوزارها بين المسلمين والعرب وأرسل الرسول دعاته الى أرجاء الجزيرة بعث خالدا الى بنى الحارث بن كعب فى نجران فاستجابوا لدعوته وأقام فيهم يعلمهم الاسلام ، وكتب الى الرسول باسلامهم ، فكتب اليه الرسول أن يقدم مع وفدهم . وفى ابن هشام وصبح الأعشى نص الكتابين .

فى حروب الردة

ولما سير ابو بكر الجيوش لحرب المرتدين رمى بابن الوليد

أقرب الأعداء الى المدينة : طليحة بن خويلد الأسدى ومن شايعه ، ثم مالك ابن نويرة اليربوعى . فسار خالد الى متنبىء بنى أسد فأدار عليه فى (بزاخة) حربا أكذبت دعوته وأذابت غشه . ثم يمم مالك ابن نويرة وكان قد مالأ سجاح المتنبئة ، فلما جاء البطاح وجد القوم قد تفرقوا حيث سراياه ، فرجعت بأسارى منهم مالك ابن نويرة . ثم قتل الأسارى . ونقم الناس من خالد بعد أن شهد بعض الجند أنهم أجابوا أذان المسلمين بالأذان اعلاما باسلامهم . وروى بعض المؤرخين أن خالدا أمر بادفاء الاسارى فى ليلة باردة ، وادفاء الأسارى قتلهم فى لغة كنانة ، فسارع الجند الى قتلهم ، وما أراد خالد القتل . وزاد ارتياب الناس بخالد حين تزوج أم تميم بنت المنهال امرأة مالك . وجاء الى ابى بكر ابو قتادة الانصارى مفارقا خالدا ، ومتمم أخو مالك مستعديا عليه . ورأى عمر أن يقاد خالد بمن قتل . فقال ابو بكر : هيه ياعمر ، تأول خالد فأخطأ ! فارفع لسانك عن خالد . ثم كتب الى خالد يستقدمه فقدم وأبان عن عذره فقبل منه الخليفة . قال الطبرى : « وأقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجرا بعمامة له قد غرز فى عمامته أسهما ، فلما أن دخل المسجد قام اليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها . ثم قال أرئاء ؟ قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته . والله لأرجمنك بأحجارك . ولا يكلمه خالد بن الوليد ، ولا يظن الا أن رأى أبى بكر على مثل رأى عمر فيه ، حتى دخل على أبى بكر . فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر اليه فعذره أبو بكر وتجاوز عما كان فى حربه تلك . وان فى عفو أبى بكر عن خالد لبرهانا على أن فعلته لم تكن بحيث ظن عمر .

وكان أبو بكر وجه عكرمة بن أبى جهل ابن عم خالد الى بنى حنيفة قوم مسيلمة المتنبىء فى اليمامة وأتبعه شرحبيل بن حسنة فتعجل عكرمة الحرب قبل أن يؤازره شرحبيل فهزم ، وعنفه أبو بكر وبعثه مددا للمحاربين فى عمان ، فلما فرغ سيف الله من بنى أسد وتميم سيره أبو بكر الى اليمامة ، فرأى أن يؤمن طريق جيشه بابعاد القبائل الموالية لمسيلمة وسجاح ، فكتب الى بنى تميم فطردوهم من الجزيرة ، وتقدم خالد لطيته فاذا شرحبيل قد سبقه الى الحرب وباء بالهزيمة . وكانت بين خالد وبين مسيلمة موقعة عقرباء الطاحنة التى تهافت فيها أنجاد المسلمين . وكادت تقضى بالفلج لبنى حنيفة ، ولكن خالدا أمر الناس أن يمتازوا ليعرف بلاؤهم ، فتميز الناس وأحسنوا البلاء . وحمى الوطيس ، وماطل النصر بلاء الابطال حتى رأى خالد أن الحرب دائرة مادام مسيلمة قطبا لها ، فبرز ودعا الى المبارزة ، وارتجز ونادى بشعار المسلمين يومئذ : « يامحمداه ! » ، وصمد الى مسيلمة يحطم الصفوف اليه ، وآزره أبطال جنده فلم ينثن الا ومسيلمة قتيل . فقضى للمسلمين بالنصر وجاء بنو حنيفة مستسلمين فصالحهم خالد ، وجاءه أمر أبى بكر بقتلهم فأعلمه أن عهده قد سبق ، وحفظ للقوم ذمتهم .

فتح العراق

لم يكد يفرغ خالد من مسيلمة حتى وجهه أبو بكر لفتح العراق لحرب الفرس : الأسد الذى كانت القبائل تخشاه وتتحاماه ، وأمره الخليفة أن يبدأ بالأبلة ثم يفتح الى الشمال صوب الحيرة ، كما أمر عياض بن غنم أن يبدأ بالمضيح فى الشمال ثم يتجه الى الجنوب شطر الحيرة ، كذلك وأى القائدين سبق الى الحيرة فهو الأمير على صاحبه

كتب خالد الى هرمز والى الأبلة يدعوه الى الاسلام وينذره الحرب ، ثم التقى الجمعان قرب كاظمة فى موقعة ذات السلاسل ، فبارز خالد هرمز فقتله فحقت الهزيمة بقتله ، ثم سار خالد يقود جيشين من الجند والرعب ، فكانت مواقع المذار ، والولجة ، وأليس ، ومغيشيا ، وخالد يسير من نصر الى نصر ، ويوالى الكتب والاخماس الى أبى بكر ، فلما جاءته البشرى بفتح مغيشيا قال : « يا معشر قريش . عدا أسدكم على الأسد فقلبه على خراذيله ، عجزت النساء أن ينشئن مثل خالد ! » .

خالد فى الحيرة بعد شهرين من دخوله العراق ، وهاهو فى الثانى عشر من ربيع الاول سنة اثنتى عشرة يكتب كتاب الصلح لرؤساء الحيرة

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماعاهد عليه خالد بن الوليد عديا وعمرا ابنى عدى ، وعمرو بن عبد المسيح ، وأياس بن قبيصة وحيرى بن أكال ، وهم نقباء أهل الحيرة ، ورضى بذلك أهل الحيرة وأمروهم به — عاهدهم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل فى كل سنة جزاء عن أيديهم فى الدنيا رهبانهم وقسيسهم إلا من كان منهم على غير ذى يد حبيسا عن الدنيا تاركا لها ، وعلى المنعة . وإن لم يمنعهم فلا شىء عليهم حتى يمنعهم . وإن غدروا بفعل أو قول فالذمة بريئة منهم » .

تتابعت القرى على الصلح بعد الحيرة . ومن الحيرة وجه خالد

كتبه إلى أمراء الفرس ومرازبتهم يدعوهم الى الاسلام ، وينذرهم الحرب . وصار خالد أمير العراق كلها فتح الحيرة « لعهد أبى بكر فقد فتوجه الى الشمال فى الأرض التى عهد الى عياض فتحها ، طوى الأرض الى الانبار فاعتصم الناس بالحصون وخندقوا . فنحر اضعاف الابل وألقاها فى الخندق وعبر عليها ، فاضطر أهل المدينة الى المصالحة ، ثم سار الى عين التمر وقد اجتمع له بها العرب والفرس . وخرج للقائه عقبة ابن أبى عقبة فى جموع من تغلب وأياد والنمر فانقض خالد على عقبة وهو يسوى صفوفه فاحتضنه وأسره وكفاه عناء الصفوف والزحوف فانهزم جنده ، فهل عرفنا قبل خالد قائدا يخطف القواد ، ليكفى الجند عناء الجلاد ؟

ثم توجه تلقاء عين التمر فنزل من فيها على حكمه .

أين عياض بن غنم ؟ فى دومة الجندل تكالبت عليه الاعداء وأخذت عليه الطريق فاستغاث خالداً فأجابه : « من خالد الى عياض ، إياك أريد » .

لبث قليلا تأتك الجلائب   يحملن آسادا عليها القاشب
كتائب يتبعها كتائب

وسار الى دومة الجندل فاجتمعت لحربه كلب وغسان وبهراء وتنوخ، وعلى الناس رئيسان أكيدر بن عبد الملك الذى أسره خالد فى غزوة تبوك ، والجودى بن ربيعة ، قال الاكيدر :

« أنا أعلم الناس بخالد . لا أحد أيمن طائرا منه ولا اجد فى حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبدا قلوا أو كثروا الا انهزموا عنه ، فأطيعونى وصالحوا القوم ، فلما أبوا قال : لن أمالئكم على حرب خالد ، وتركهم لينجو بنفسه ، ولكنه طاف يبغى نجوة من هلاك فهلك .

أخذ خالد عليه الطريق وقتله جزاء غدره بما كان بينه وبين المسلمين من عهد ، ثم أتى دومة الجندل ففتحها وتألب أهل الفرس وأهل العراق على المسلمين حين علموا غيبة خالد ، فرجع وهزم أعداءه فى مواقع الحصيد والخنافس والمضيح والثنى والزميل .

ثم توجه الى الفراض وهى بلدة على الفرات عندها حدود العراق والشام والجزيرة ، وملتقى دولتى الفرس والروم . فلم يرهب خالد جموع الفرس والروم والعرب ومزقهم كل ممزق حتى روى الرواة أنه قتل فى المعركة والطلب مائة ألف .

كانت الموقعة منتصف ذى القعدة من السنة الثانية عشرة . فقد طوى خالد وادى الفرات ما بين الأبلة والفراض فى أقل من أحد عشر شهرا وانتصر فى خمس عشرة موقعة لم يهزم فى واحدة ، أبت ذلك شجاعته ، وكفايته واقتحامه الغمرات ، ويقينه القواد وصيته الذى ملأ جنده يقينا وعدوه رعبا .

من الفراض الى مكة فى اثنى عشر يوما

ورحل خالد قافلا الى الحيرة فى الخامس والعشرين من ذى القعدة . وولى على الجيش عاصم بن عمرو ، وأظهر للناس أنه سيسير فى الساقة وأسر الى خاصته أنه على عزيمة الحج ثم طوى الفيافى ما بين الفراض الى مكة فأدرك الحج ، فلا محالة قد قطع هذه الصحارى المترامية فى اثنى عشر يوما . قال الطبرى :

« وخرج خالد حاجا لخمس بقين من ذى القعدة مكتتما بحجه ومعه عدة من اصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت ، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ولا رئبال . فسار طريقا من طرق الجزيرة لم ير طريق أعجب منه ولا أشد على صعوبته منه . فكانت غيبته عن الجند يسيرة فما توافى الى الحيرة آخرهم حتى وافاهم مع صاحب الساقة الذى وضعه . فقدما معاً وخالد وأصحابه محلقون لم يعلم بحجه الا من أفضى اليه بذلك من الساقة . . .

وكتب أبو بكر الى خالد يأخذ عليه مسيره الى الحج وترك الجند بغير اذن ، ويأمره بالمسير الى الشام مددا لمن بها من الغزاة . وأن يترك نصف الجيش مع المثنى ويسير بنصفه ، فسار فى صفر من السنة الثالثة عشرة .

وكان رحيل خالد من العراق الى الشام معجزة من معجزات المسير ، وأعجوبة من أعاجيب المخاطرة ، فقد قطع بالجيش الجرار صحراء ليس بها ماء يقطعها الراكب المخف فى خمسة أيام قطعها فى خمس ليال ولا ماء الا ما فى أجواف الابل : أعطشها وسقاها وكظم افواهها ، فكان ينحرها فى مراحل الطريق فيرتوى الناس والخيل .

وقد خرج خالد من مفازته على بهراء فصبحهم بالقتال وهم لا يحسبون جيشا من الجن يسلك اليهم هذه المفازة ، وحارب قبائل من العرب فى طريقه حتى بلغ ثنية العقاب على مقربة من دمشق فنشر عليها راية سوداء من رايات الرسول صلوات الله عليه . ثم حارب غسان فى مرج راهط وسار الى بصرى ففتحها ثم أدرك المسلمين فى

معسكرهم على اليرموك أو أجنادين (١) . فما ظنك بهذا النصر السائر ، والفتح المسافر ، الذى يطوى البلاد والصحارى والقبائل فى عزمات الجند القليل ؟

خالد فى الشام

وافى خالد المسلمين معدين لمنازلة جحافل كثيفة من الروم والعرب ، ووجد الجيوش مقسمة بين القواد الأربعة الذين بعثهم أبو بكر الى الشام ، أبى عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، فأراد أن يلقى الروم بجيش مجتمع ورأى موحد فخطب الناس :

« إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى . أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فان هـذا يوم له ما بعده . ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية — على تساند وانتشار . فان ذلك لا يحل ولا ينبغى . وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأى من واليكم ومحبته . قالوا فهات ، فما الرأى ؟ فقال فيما قال . وهلموا فلنتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً ، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم . ودعونى اليكم اليوم » .

تأمر خالد على الجيش كله وفيه قواد أسن منه وأقدم اسلاما ، ولكن اعتداد خالد بنفسه وثقة الناس به ألقت اليه بالمقاليد ذلك اليوم ، فقسم الجيش كراديس ستة وثلاثين ، وجعل على كل كردوس قائداً ، ثم جعل قواداً على القلب والجناحين . ثم أدار المعركة طول النهار وبعض الليل ، وأصبح فى فسطاط قائد الروم قد ملك النصر كله وبلغ من العدو ما تمنى .

كتب كتاب الفتح باسم خالد . وبعـد قليل جاء المسلمين نعى أبى بكر وولاية عمر .

هل عزل عمر خالدا

لا ريب أن عمر كان ينقم من خالد هنات فى حروبه ، وانه أشار على أبى بكر بالاقتصاص منه لمالك بن نويرة ، وما كانت تعجبه جرأته واستبداده فى تقسيم الغنائم والأرزاق . وكان خالد معتداً برأيه كتب اليه أبو بكر يأمره ألا يعطى شيئا فأجابه خالد : « إما أن تدعنى وعملى والا فشأنك بعملك ، هذا وأشباهه أسخط عمر على خالد وما كان عمر ليداهن فى دينه وقد كثرت الاقوال فيما فعل عمر بخالد وينبغى أن نذكر أن خالدا لم يول على الشام من قبل أبى بكر ولا عمر ولكنه بعث مددا لغزاة الشام . فعمر ما عزل خالدا عن ولاية الشام أو قيادتها ولكن خالدا أمر نفسه يوم أجنادين وتيمن الناس به ، فكان حريا أن يكون أحد القواد . فلما جاء كتاب عمر بضم خالد الى أبى عبيدة قال الناس ما قالوا فى عزل خالد . وقد خطب عمر مرة فاعتذر عما فعل ، فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة « عزلت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضعت لواء رفعه . فقال إنك قريب القرابة حديث السن مغضب لابن عمك . »

ولكن خالدا لا يعزل نفسه العظيمة ، ولا كفايته التى لا تعوض فلما اجتمع القواد على دمشق يحاصرونها نزل خالد على الباب الشرقى فاقتحمه اقتحام الابطال ودخل المدينة عنوة فسارع الرؤساء الى أبى عبيدة يصالحونه فالتقى عنوة فى وسط المدينة خالد الفاتح والقواد الآخرون . فكتب كتاب الفتح باسم خالد . فلما جاءت عمر الانباء قال : أمر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى .

ولم يزل خالد مشاركا فى فتوح الشام كافيا لما يعهد اليه من حرب أو ولاية بقية حياته

هذه سنة أحدى وعشرين من الهجرة وخالد العظيم فى سن الخامسة والاربعين على فراش الموت فى حمص وأمامه مجد عشرين سنة مظفرة لم تنكس له راية ، ولا أعيا عليه فتح ، ولم يختلف عليه اثنان من جنده ، فاستمع البطل العظيم والقائد الباسل يقول :

« لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقـدر لى الا أن أموت على فراشى . وما من عملى شىء أرجى عندى بعد أن لا اله الا الله من ليلة بتها وأنا متترس . والسماء تهلنى بمطر الى صبح حتى نغير على الكفار — ثم قال : « اذا أنا مت فانظروا فى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله » .

ثم أوصى وصية ، فمن اختار أميناً على انفاذها ؟ عمر بن الخطاب ! ان النفوس العظيمة لتختلف الا فى العظمة التى تؤلف بينها ، والتى تأبى أن تصيخ إلى سفساف الأمور . اختلف الرجلان على أمور ، وجمعتهما همة عاليه ومطالب عظيمة .

لقد بكى خالدا الاسلام والمسلمون حتى عمر : سمع عمر البكاء على خالد فقال :

ما على نساء الوليد أن يسفحن على خالد دموعهن . . وسمع راجزا يذكر خالدا فقال والاسف ملء فؤاده : « رحم الله خالدا »

عبد الوهاب عزام

---

(١) فى روايات المؤرخين اختـلاف فى تاريخ موقعة اليرموك . ولا يتسع المجال هنا لتجلية الحقيقة .

من ذكرياتي

للاستاذ عبد العزيز البشرى

تفضلت (الرسالة) فدعتنى إلى أن اجرى بحديث فى العدد الذى ترصده لرأس السنة الهجرية . ولم يجدِ طول التعذر بالمرض ولقس النفس وحرج الصدر . لقد أمر أصحاب (الرسالة) وكيف لى بعصيان أصحاب (الرسالة) ؟ . إذن فلا أعص نفسى ولأنشز على وهنى فى طاعتهم والاستجابة لهم . وحسبي الله ونعم الوكيل ففيم أكتب وماذا أكتب إذن ؟

أقول فى الأدب ! سيقول فيه أصدقائى الدكتور طه ، والاستاذ أحمد امين ، والاستاذ الزيات ، وغيرهم من صفوة الأدباء . ولست احب لنفسى أن أكون فسكلا لا أبلغ السبق ، إن أنا بلغته ، إلا بعد جميع الجياد !

إذن أكتب فى السيرة النبوية الكريمة ، ونحن على شرف عام هجرى جديد ، يتجرد لذكراه هذا العدد العتيد ! لا والله ، ولن أخدع فى هذا أيضاً بعد الذى كتب هيكل فى (حياة محمد) وطه (على هامش السيرة)

لقد أصبح على ، بعد هذا ، أن أتقرى السبل فأختار أعبدها لى ، وأوعرها عليهم جميعا ، وهم ولاشك تاركى أجوز وحدى فأكون المجلى فى حلبتى على كل حال .

ساحدث القراء عن بعض ماشهدت بنفسى مما يرجع الى أكثر من خمس وثلاثين سنة . ولست أحسب أن أكثر أدباء العصر شهدوه لقصر اسنانهم . فمن قد علت به السن منهم فلعله ممن لم يكن هبط بعد القاهرة فى طلب أواسط العلم وأعاليه . فمن تهيأ له منهم أن يكون فى القاهرة ، وهؤلاء من القليل أقل ، فلعله كان فى شغل من تحصيل العلم والاكباب على الدرس عن شهود هذا والاحتفال له . فان كان قد وقع لبعضهم هذا عفواً فهو عنده دون ان يجمع له همه ويطوى عليه قلبه ، ويختزنه فى نفسه اختزان البعير الطعام فى جوفه ليجتر منه وقت حاجته .

لقد قدر لى ، والحمد لله ، ان اسمع من عظماء المغنين المرحومين عبده الحمولى ، والشيخ يوسف المنيلاوى ، ومحمد عثمان ، والشيخ محمد الشنتورى ، والسيد أحمد صابر ، وعبد الحى حلمى ، وابراهيم القبانى ، واحمد حسنين ، وأحمد فريد ، ومحمد سالم . ومن الهواة السيد عبدالسلام الدنف . وان أسمع من المنشدين ومن فى حكمهم الشيخ سلامة حجازى ، والشيخ احمد المحروقى ، والشيخ عبدالله الأودى ، ومن صدور القراء السيد الصواف ، والمشايخ حنفى برعى ، واحمد ندا ، وعلى الفلاحة ، واللبان ، وابا السعود ، وعلى يوسف ، وعلى الجنيد ، والمناخلى ، والعيسوى . والشيخة أسمهان ، كما سمعت هؤلاء المعاصرين الأحياء ، وصل الله فى أعمارهم يمتع بهم الأبناء والأحفاد ، كما متع بسلفهم الآباء والاجداد .

ولست أحاول فى كلمات ارتجلها للرسالة ارتجالا ، وأرسلها من عفو الحديث إرسالا ، أن أتحدث عن هؤلاء جميعاً . وما كان هذا المقام ليحتمل هذا كله ولا بعضا من بعضه . بل ولست أحاول أن أستغرق بالحديث واحداً من هؤلاء ، فأدل على منجمه ومنشئه وخلقه وسيرته ، ولون صوته ، ومأتى فنه ، وعمن أخذ ، وكيف ذهب ، وماذا أجد فى الفن بصنعته . فذلك مما يستهلك الكثير من الصحائف ومن الوقت والعزم معا ، ولكننى أكتفى بذكر اثنين من أحداث أربعة شهدتها بنفسى . ولو قد حدثنى بها محدث لاتهمته بالغلو إذا لم أعدل به الى التزيد . وأحدها ، كان من محمد عثمان ، وهذا أدخره للمحاضرة التى ألقيها فى شأنه ، والثانى من الشيخ أحمد ندا . وهو من أشياء أضيفها الى المقال الذى كتبته فيه عقب موته . أما الحادثان اللذان أطالع بهما قراء (الرسالة) اليوم فاحدهما يتصل بعبده افندى الحمولى ، والثانى بالشيخ على الجنيد ، عليهما رحمة الله

وقبل أن أسترسل بالحديث أرجو أن الفت الشباب الى شىء واقع دائر شديد الدوران بين الناس . ذلكم أن الانسان بطبعه أثر شديد الأثرة ، فهو لا يحب بل ولا يكاد يطيق أن يبرعه أحد فى سبب من أسباب الحياة . ومن هذه الخلة أصاب الحسد مدخله من نفوس الناس ، ولهذه الأثرة ، أو لهذا الحسد مظاهر شتى وآثار تختلف وتتفق وتلتقى وتفترق . ومن أغربها فى طباع المصريين ، بوجه خاص جحود فضل القائمين فى الحياة . فان لم يكن إلى هذا سبيل فهنالك الذرائع المختلفة لتهاون أقدارهم ، والحط من حظوظهم فى اقطار الفضائل والنعم . فاذا أعيا هذا على الناس أيضا راحوا يشيدون

بفضائل من تقدموا ، وينحلونهم من الأسباب ما يبرعون به القائمين فى مزاياهم ، ويجهرونهم به فى جمال خلق ، أو جمال فن ، أو جمال صوت ،

وكلما علت بالمرء السن تزيد فى هذا وأسرف لأحد المعاصريه من أهل الفضل ومن أصحاب الفنون وحدهم ، بل مكايدة أيضا لهؤلاء الناشئين الذين يستقبلون الحياة (وتحيسا) لهم بما ظفروا به من دونهم ، وايس الى عودتهم من سبيل . فكأنهم يقولون لهم : إننا لن نأسى على ادبارنا ، وانكم لن تفرحوا باقبالكم . لأنكم لن تصيبوا من الطيبات ما أصبنا ، ولن تظفروا من متع الحياة ببعض ما ظفرنا .

ولقد أدركنا طرفا من حياة ملك المغنين المرحوم عبده الحمولى ، فكان إذا أطرب وأفلق تبادر القعديون وقالوا : وأين هذا مما كان يصنع المقدم أو البيطار ؟ . وكانت الوردانية إذا جلجلت بصوتها الحنان قالوا : إن هذا إلا مزعة من صوت ألماس ! . كذلك أدركنا صدرا كبيرا من عهد حنفى برعى وأحمد ندا ، وسمعنا منهما العجب العاجب . ولكن يأبى القعد لنا إلا تكديرا وانطوا على الحسرة لما فاتنا من صوت القيسونى ، وكان صوته يقف الطير فى جو السماء ! . وغير هذا من فنون المبالغات تكدر صفو الناشئين ، وتبطرهم على ماأزل الله لهم من ألوان النعم !

وإننى قضاء لحق التاريخ أقرر أن من الأصوات القائمة الآن مالايقل فى قوته وحلاوته وصفاء جوهره عن خير ماسمعنا من ثلث قرن خلا . على انه إذا كان مما يوهن من تلذيذ الناس بسماع الغناء وشدة الطرب عليه تلك الخلة التى أسلفت عليها القول ، فقد جد على ذلك عنصران كان لهما ، فى هذا الباب ، خطر عظيم : أحدهما شدة اشتغال الجمهرة بالأحداث السياسية ونحوها ، فلم تعد تجتمع لهذا ببعض ما كان يجتمع له السلف ، إلى ماورثت هذه الأسباب من كدر فى النفوس هيهات أن يأذن لها بالخلوص للطرب على الغناء .

وأما الثانى فهذه الثورة العنيفة المشبوبة فى الفن نفسه بحكم التطور والتحول من القديم إلى جديد يراد . وهيهات أن تستريح الأذن إلى مالم يقر من بعد له قرار . ولعل الحال لو استقرت ، والنفوس لوصفت ، لخرج لنا من هم خير ممن تقدمت بهم الأيام .

ومهما يكن من شىء فقد حرم هذا الجيل من نعمة تلك الأثرة والتنغيص على من دونهم من النبت اذا صح أن يدعى ذلك نعمة ! والفضل كله للرجل العظيم (إديسون) مخترع الفونغراف ، فقد دون الأصوات ، وسجلها على وجه الزمان !

والآن وأنا مقبل على ماأنا بسبيله ، أشعر أننى قد تورطت فى اختيار هذا الموضوع أشنع التورط . ولعل ماهربت منه كان أرفق بنفسى مما استعصمت به ، وخاصة بعد هذا الذى قدمت من الكلام . ولقد قال أصحاب قواعد السلوك إن الرجل المربى خليق به ألا يروى مايقع له من نوادر الحوادث وغرائبها لئلا يسرع الناس إلى النيل من مروءته ، واحالة أمره الى التزيد والخلق طلبا للمكاثرة بشدة الاغراب . على ان مما يلين لى هذه الرواية ويشد من متنى فى قصتها ان لا يزال فى الاحياء آلاف ممن شهدوا أمثال ماشهدت ، بل وممن شاركونى فيه بالذات . فلنمض لحديثنا والله تعالى المستعان .

عبده الحمولى :

لم يكن يتهيأ لفتى حدث مثلى أن يسمع عبده الحمولى فى سهولة ويسر . فلقد كان ، فى العادة ، لايغنى إلا فى بيوت الطبقة (الأرستقراطية) . ودون أبوابها لزوم الحجاب وعصى الأحراس ، فما من سبيل الا فى الغفلة من أعينهم ، أو بالرشوة فى أيديهم ، أو فى أعجاز الليل بعد منصرف السادة المدعوين . وعلى بعض هذا أذن الله أن اسمع ملك المغنين بضع عشرة مرة .

وبعد فعبده ، وتاريخ عبده ، وفن عبده ، وصنعة عبده ، وبدع عبده ، كل اولئك غنى عن التعريف والتبيين . ولكننى أبادر فأقرر أن صوت هذا الرجل على جلالته ، وحلاوته ، ووفائه بكل مطالب النغم فى جميع الطبقات ، لم يكن بالموضع الذى يتمثل لأوهام من لم يسمعوه من أهل هذا الجيل . بل إن من القائمين من لعله يجهره فى هذا المعنى من الجمال . ولكن لا يذهب عنك أن وراء هذا الحس المرهف ، والذوق الدقيق ، والفن الواسع ، والكفاءة الكفيئة والقدرة القادرة على التصرف فى فنون النغم فى يسر ولباقة وقوة ابتكار ورعاية لوجوه المقامات المختلفة . والتوفيق الى كل مايغمز على الكبد . ألا لقد جمع الله أحسن هذا كله لعبده الحمولى . فلم يته أحد فيه ممن سمعنا منتهاه اذا استثنيت صاحبه المرحوم محمد عثمان على اختلاف غير قليل بين فنى الرجلين .

وانى لأذكر أنى سمعته مرة عند مطالع الفجر ، وكان ذلك فى دار المرحوم السبكى بك فى شارع الطرقة الشرقى . ولعله كان قد مسه طائف من الشجى ، فكاد يحيل العرس مناحة من كثرما تبادر لنغمه الشجى من دموع الناس .

أما الحادثة التى أوثرها بالرواية فلقد كانت فى دار رجل من خؤولتنا أولم لتزويج ابنه ، وداره تقع فى حى الناصرية ، وكان صديقا حميما للمرحومين عبده الحمولى والشيخ يوسف المنيلاوى ، وكان أثيرا عندهما كريم المحل منهما ، وقد دعاهما كليهما ليغنيا معا فى عرس ابنه ؛ فلبيا الدعوة خفيفين .

وأنت بعد خبير بأن (أفراح) أولاد البلد لا يحجب عنها الناس ، ولا يدفعهم من دونها شرط ولا أحراس . وكذلك اكتـــظ السرادق بالمئآت إن لم أقل بالآلاف من أصناف خلق الله .

ويستوى عبده الى (التخت) ، ويتدلى فى الميدان يحمى ظهره الشيخ يوسف وأحمد حسنين ، ونصر الحصاوى ؛ عليهم رحمة الله ، وشيخ المغنين الآن الأستاذ محمد أفندى السبع ، نعمه الله بأطيب الحياة ، ومعهم السيد أحمد الليثى بعوده ، (أو الجركشى ؟ لا أذكر) وأمين أفندى بزرى بنايه ، وابراهيم أفندى سهلون بكمانه ، ومحمد افندى العقاد بقانونه ، فغنوا وعزفوا ماشاء الله أن يغنوا ويعزفوا حتى تمموا مايدعى (بالوصلة) الأولى ، ولست أذكر ما تغنوا فيه من الاصوات . ثم استراحوا برهة من الزمن عادوا بعدها إلى شأنهم . وما برح عبده ، رحمة الله عليـه ، يضطرب بين الليل والعين . ثم ينقلب إلى المواليا فيرجع فواصله ترجيعا . حتى اذا فعل فى هذا كله الافاعيل ؛ وصنع مالا ترتقى إلى صفته الأقاويل ، أقبل يغنى ؛ والجماعة معه (الدور) المشهور وهو من نغمة العراق :(١)

« لسان الدمع أفصح من بيانى   وانت فى الفؤاد لابد تعلم
هويتك والهوى لجلك هوانى   ولكن كل دا ماكانش يلزم »

الى آخر ما يدعى فى عرف أصحاب الغناء (بالمذهب) . ثم أمسك القوم لحظة خرج بعدها عبده منفردا ، وقفى العقاد على أثره بقانونه . وقال الجبار : « أدينى صابر على نارى » !!!!

لست بمستطيع يامعشر القراء أن أقول لكم كيف قالها الرجل ولا كيف صنع . لأننى أنا نفسى لا أدرى ، ولا احسب أحداً من الخلق درى كيف قال الرجل ولا كيف صنع ! . ولكننى أستطيع أن أقول لكم إن طائفا عنيفا جداً من الكهرباء سرى فى هذا الحشد كله لم يسلم عليه أحد : جمد الناس جميعا ، وتعلقت أنفاسهم ، وشل كل مناط للحركة فيهم ، فما تحس منهم الا أبصارا شاخصة وأفواها مفغورة . لو اطلعت عليهم لخلتك فى متحف يجمع دمى منحوتة لا أناسى يترقرق فيهما ماء الحياة . . حتى القائمون بالخدمة ؛ لقد مسهم هذا الطائف فجمدوا وثبتوا : وحتى رداف عبده لقد جرى عليهم من هذا ماجرى على سائر الناس !!!

ولقد ظلت هذه الحال زهاء عشرين ثانية ؛ أعنى قرابة ثلث الدقيقة . وينفجر البركان الاعظم يتطاير عنه الحمم ، وترى الخلق يموج بعضهم فى بعض ، لايدرى والله أحد أين مذهبه . ولا تسل كيف قدت الحناجر من الشهيق ، ولا كيف بريت الأكف بالتصفيق . وخرج الأمر ساعة عن عرس مقام الى مستشفى مجانين . رفعت فيه الحوائل وفتحت الابواب ، ونحى عنه احراسه من الشرط والحجب

٭٭

والى هنا أرانى قد أطلت بما لم يدخل فى صدر حسابى . ولعلى بهذا أمل وأضجر . وعلى كل حال فقد تعبت وجهد بى فلأقف إذن عند عبده الحمولى . أما حديث الجنيد فأرجئه الى كرة أخرى ، وأرجو ألا أوفق الى مثل هذا أبدا ؟

عبد العزيز البشرى

الملاح التـــائه

ديوان الشاعر على محمود طه

يصـــدر

فى اول مايو

(١) ينسب هذا الدور الى اسماعيل باشا صبري ولكل من عبده ومحمد عثمان فيه لحن

شرقاً وغـــربا

للدكتور محمد عوض محمد

فى يوم قديم من أيام هذا الزمن السرمدى ، جلس يافث وسام إبنا نوح ، فى ظل شجرات من الأثل ، ليستريحا ساعة من النهار . وإلى جانبهما جدول يجرى ، له خرير هادىء وديع ، وانسياب معتدل ، ليس بالسريع ولا البطىء . ولأغصان الأثل حفيف دائم ، فيه رنة حزن بادية . كأنها انتحاب الثاكل أو أنين السقيم .

كان العالم حديث عهد بالطوفان الهائل الذى غمره ، ورحضه رحضا عنيفا قاسيا لكى يطهر مما به من رجس ، ويصفو مما به من كدر ، ويعود نقيا بريئا نظيفا . . .

يا للعجب ! أكلما تدنس وجه الأرض ، وغشيته الأقـذار ، انتابته هـذه الكارثة وأرسل اليه طوفان ليغمره ويطهره ، ؟ لقد عادت الأرض بعد هذا الطوفان طهرا ، كأنما خلقت خلقا جديداً ، وعاد ثغرها باسما ، وجبينها ناصعا ، ووجهها زاهراً . لكن ـ تباركت اللهم ـ ألم يكن الثمن غاليا ، والقربان جسيما ؟ أما من سبيل غير هـذه لكى تطهر الأوض مما تمتلىء به من الأدران وما قد يغشاها من الرجس ؟ وإلا فهل من سبيل لأن يسود هـذا العالم الصفاء والطهر ، فلا ينغمس فى الأقـذار ذلك الانغماس المروع ، الذى لا مفر معه من كارثة ماحقة ، تعيد اليه الصفاء والنقاء ؟

لا بد أن يكون هنالك سبيل غير هذه السبيل ، وطريق لاصلاح العالم غير تلك الطريق . . . فهل لهذه العيون الحائرة من قبس من النور القدسى يهديها تلك السبيل ؟

* * *

كانت هذه الخواطر تتردد فى فكر سام ويافث ، وهما جالسان : ينظران إلى تدفق الجدول ، أو يحدقان فى السحاب المنتشر فى السماء ، أو يصغيان لحفيف الأثل ، أو يرسلان الطرف بعيداً الى قمم عالية يغشاها الثلج الأبدى . وهما فى الحقيقة لا يريان ولا يسمعان من هـــذا كله شيئا ، إذ شغلهما ما أهمهما من هذه الأفكار المتدافعة تدافع الموج . فكان كل منهما يقطب جبينـه حينا ، ثم يقلب فى الفضاء نظرات حائرة ، لا تكاد تعرف لهـا قرارا . .

وأخيراً تكلم يافث :

أى سام ! لقد حم الفراق ، ولم يبق بد من أن يتخذ كل منا فى هذا العالم سبيله ، . فعلام عولت ؟ . . . إن هذا الطوفان الذى غمر الأرض ، وعم الغور والنجد ، قد طهر كل ركن من أركان البسيطة ، وأزال ما قد علق بها من رجس ، لكنه قد اكتسح أناساً ، وأهلك خلقا كثيراً . . ولقد أتى أمر الاله بأن ننتشر فى الأرض ، وأن نضرب فيها طولا وعرضا ، وأن نتناسل ونتكاثر وأن نملأ الارض بذرياتنا : وقد حم الفراق ، وستذهب فى ناحية وأذهب فى أخرى ، فعلام عولت ؟

قال سام :

إن الفراق أليم ، والضرب فى البيداء أليم ، وقطع السهول والحزون أليم ، ولكن أشد من هذا ألما ذلك الظلام الحالك الرهيب الذى يكتنف الأيام المقبلة والسنين ، ويتجاوزها الى الأجيال والقرون ، وانى كلما أرسلت بصرى باحثا مستطلعا ، أرتد الى البصر خاسئا حسيرا ، قد أجهده الضلال ، وسط ظلام دامس ، متراكم بعضه فوق بعض ، لا يعرف له آخر ولا يدرك له حد .

سوف نتكاثر ونتناسل ، ونملأ بذرارينا الارض ؛ حتى يعمر الخراب ، وتمتلىء الأقطار ؛ ثم ـــ من بعد هذا كله ـــ تنهمر السيول من السماء ، وتتفجر الانهار من جوف الثرى ، ويعم العالم طوفان مخرب مدمر ، يفتك بالناس ، ويهلك الحرث والنسل . . . أمن أجل هذا نلد ونتكاثر ، لكى نسلم ذرارينا إلى هـذا المصير الحزين ، كلما دارت الايام دورتها ؟

قال يافث

لقد استفحل خطب العالم ، وتكدست فوق البسيطة أدران أفسدت الثرى والهواء ، واستحالت معها الحياة . فلم يكن بد من أن يجتاح الارض هذا الطوفان ، فيملأ كل مكان ، ويغسل كل بقعة من البقاع مما علق بها من الدنس . . . فلماذا يحزنك الجزاء الحق ، والقضاء الذى لا مفر منه ؟ ونفسى تحدثنى أن هـذا الجزاء الصارم لا يكون إلا مرة . وأكبر ظنى أن العالم بعد أن رحض هذا الرحض العنيف ، لن ينغمس فى الحمأ ، ولن يغرق فى الموبقات بمثل تلك الصورة البشعة التى استوجبت ذلك الجزاء ، سيكون فى الناس أبداً من تدفعه نفسه الأمارة بالسوء الى مجاهل الشرور . لكن العالم فى أمان ما غلب خيره على شره ، وحقه على باطلة . وإن

على وعليك واجبا ألا نلدلعمارة هذا العالم غير الأنفس النقية والذرية الصالحة ، التى ترهب الأله وتلزم سننه ؛ ولئن صلح نسلى ونسلك ، فما أجدر العالم أن يغلب طهره على رجسه ، وصالحه على فساده . الأمر إذن راجع اليك والى فعلام عولت ؟

قال سام :

من هـذا العبء الباهظ أفرق ، ومن تأمل ذلك الواجب المضنى تملكنى رعدة الحائر ، وجزع العاجز .. . لست أدرى يا يافث كيف يولد الشر ، ومن أين ينبع الرجس ! لقد يكون العالم ومابه الا كل بر كريم ، ثم ينقلب فى عشية أوضحاها : فاذا الشر قد طغى وساد ، والبر أوشك أن يمحى من الارض !

أن الدم الذى يجرى فى عروقى — علم الله — لطهور . وأخلق بنسلى ألا يرث منى سوى الخير والهدى . ولكن من لى بان أضمن له ألا يحيد عما ورثه ، وألا تجمح به النفس الهوجاء . فينزل به السخط ويحل البلاء ويجتاحه طوفان كالذى شهدناه ؟

قال يافث :

لقد مالت الشمس نحو الأفق ، وتوشك أن تتوارى خلف تلك الجبال ، تاركة خلفها سحبا عسجدية صفراء . إن مغرب الشمس قد استهوانى ياسام ! وكأنما فيه قوة قوية تجذبنى أبدا إلى الغرب ! ولقد طالما جلست فى هذه الأثلات أتأمل الغروب ، وأفكر فى هذا الكون البديع الذى يميل نحو ذكاء ، وفى كل مرة كنت أحس دافعا شديداً يدفعنى إلى الغرب !

إلى الغرب اذن سأمضى ، وفى الغرب سأحيا ، وتحيا ذريتى ونسلى . وهنالك فلنحاول أن ننشر اليمن والعمران ..

أنا أيضا لست أدرى . كيف تولد الشرور ، والاصل فى العالم البر ، ولا أدرى كيف ينمو الرجس ، وأساس الكون الطهر . على أنى — وأن أجهدت فى هذا خاطرى — ليس بضائرى أن أعيا به ، وأن يقصر عن ادراكه فكرى . فسواء لدى أكان الشر مما يخرج من الأرض أم يهبط من السماء ، فان على وعلى ذريتى أن نعد العدة لسحقه ، وأن نهيء الأسباب لحربه . فلا تكاد شجرته أن تنبت حتى تجتث من أصولها ، ولا يكاد رأسه أن يرتفع حتى يلقى ضربة فاقرة . وأنى أحس أن فى وفى نسلى قوة كامنة ستسير بالناس حتما إلى الخير ، وتردهم — ولو بعدلأى — عن كل منكر . وما هذه القوة سوى قوة الفكر البشرى : الفكر الباحث الذى يتناول الأشياء بالنظر وبالتامل ، ولا يزال مسترسلا فى البحث وفى التحقيق حتى يسلمه الامعان فى التفكير إلى سبيل الرشاد . ويريه ما انطوى عليه العالم من أسرار ، وما خفى فيه من الحقائق . . . وسيخطو العالم خطوات بعيدة يوم يعلم الناس القوى التى تمسك الأجرام لتربط الأكوان ، وما كمن فى الارض من كنوز ، وما جرت به الأنهار من خيرات . هنالك تعم السعادة ، ويقضى على الشرور

إلى الغرب اذن سأمضى ، وهنالك سأغرس شجرة العلم ، لكى تؤتى زهرها يانعا ، وثمرها شهيا رائعا . وأنت ياسام ، علام عولت ؟

قال سام :

الآن يشرق القمر بدرا كاملا : وهو أحسن ما يكون حين يطلع فى المشرق ، اذ لا يرتفع فوق الافق إلا أذرعا . . لست أدرى هل تخدعنى عيناى . لكنى أراه وقت الشروق أكبر حجما ، وأملح وجها ، وألطف نورا . وما زلت منذ درجت يستهوينى الشروق ، وتعجبنى الشمس والنجوم ساعة تطلع على العـــالم . ولقد طالما جلست أرقبها الى جانب هذا الجدول الجارى . فتوحى إلى بما يطمئن له القلب الثائر ، والطرف الحائر . الشرق هو المبتدأ ، والغرب هو المنتهى ، فهنيئا لك الغرب يا يافث ! أما أنا ، فان هوى نفسى فى الشرق . لا أبغى به بديلا .

فى الشرق إذن سأحيا ، وتحيا ذريتى ونسلى ، وهنالك فلنأخذ فى نشر أسباب العمران .

ولست أدرى هل أقدر أن أسلك وذريتى السبيل التى رسمت ، والنهج الذى تريد أن تنهج . ولئن قدرت أن أسلك سبيلك تلك ، فما أدرى أمنجيتى وذريتى من الويل ، وهاديتى ونسلى الى الرشاد ، إن عهدى بالفكر البشرى أنه كثير الضلال ، كثير الخبط فى بيداء لاتفضى الى خير . وقلما يصيب الحق إلا بعـد أن يتيه فى الباطل دهرا طويلا . وما أشد خوفى يوم يطلع أبنائى على ما ثوى فى الطبيعة من قوة ، وما كمن فيها من كنوز . عند ذلك قد يلهيهم التكاثر أو يتملكهم الجشع ، ويتناحرون من أجل مادة قد لاتغنى عنهم شيئا . . . كلا ، ليس العلم أو الفكر بالذى ينقذ الناس ، فان طريقه طويلة وعرة . . .

الآن تنكشف الغشاوة عن عينى وأرى السبيل واضحة جلية . إن أبنائى سيولون وجوههم شطر الدين ، وبالدين سيبلغون بالعالم أقصى مراتب السعادة والطهر .

وسيبلغون حقائق الدين بالالهام ، وبالوحى ينزل من السماء ، لا بالبحث والحفر والتنقيب فى الأرض . فذلك هو الهدى الذى ليس بعده هدى ، والنجاة التى لا تعدلها نجاة . ولقد يتناحر الناس من أجل الدين ، ويكيد بعضهم لبعض ، ويصيبهم من هذا أذى كثير ، غير أنه دم طاهر يسفك من أجل مأرب طاهر ، لم تدنسه المادة ، ولم يلوثه الطمع . . .

أجل وإنى لأرى الساعة كيف ينبغ من ابنائى رسل مبشرون ومنذرون وكيف ينتشر أبنائى فى العالم ، فيرفعوا علم الدين ، وينشروا الهدى ، ويحطموا الأصنام ، ولقد أسمع الساعة صوتا ينبعث من أرض كنعان ، فيملأ الأرض حبا ورحمة ، ثم أسمع بعد فترة صوتا قويا رزينا ينبعث من الصحراء فيملأ الأرض عدلا وأمنا ، فيتردد صداه من المشرق الى المغرب فاذا الأوثان تتكسر ، والشرك يمحى ، والاغلال المذلة تحطم ، وصروح الباطل تندك .

لاخوف اذن على العالم من طوفان يمزقه ، أو لهيب يحرقه ، مادام فيه رسل تهدى ، ودين ينير الظلام .

الى الشرق اذن سأمضى ، وهنالك فلتغرس شجرة الدين . أصلها ثابت وفرعها فى السماء . وارفة الظلال ، طيبة الثمرة

° ° °

ثم سكت الاخوان ، وأطرقا زمنا ، ولبثا جالسين يحدثان فى الكون ، دون أن ينطقا بكلمة ، حتى دجى الليل ، ولمعت فى السماء النجوم ، وبرد الهواء ، فنهضا وجعلا يمشيان الهوينى صامتين . حتى اذا اقتربا من منازلهما مد الأخ الأكبر يده مصافحا :

— فليهنئك الشرق ياسام !

— وليهنئك الغرب يايافث !

محمد عرض محمد

النجاشى العادل

للآنسة سهير القلماوى

(كلا لاتطعهم واسجد واقترب) هكذا كان ينبعث الصوت خافتا واضحا عذبا حنونا ، وهكذا كان يتردد الصوت فى صدر الرسول وهو وسط الكفار والمشركين والمنافقين والمستهزئين من أهل مكة . فاذا ماتغامزوا عليه ، واذا ما تآمروا على قتله ، واذا ماستهزأوا بوحيه ، واذا ماسبوه ولعنوه وتهجموا عليه ، كان هذا الصوت الخافت الحنون يكرر ويعيد : (كلا لاتطعهم واسجد واقترب)

ولكن آل الرسول وآل عبد المطلب ، كانوا أعزاء فى قريش ، وكان الرسول محميا بعزتهم مطمئناً للوحى الذى ينزل على قلبه . أما المسلمون المستضعفون ، أما العبيد وأما الاماء ، فلم تكن لهم عزة ولم يكن لديهم وحى ، وإنما إيمان هو كل ما يملكون . ومتى درأ الايمان عن صاحبه العذاب ؟ بل متى لم يجلب الايمان لصاحبه عذابا ؟ ورأى الرسول عذاب هؤلاء المؤمنين المستضعفين فأمرهم بالهجرة من مكة ، ولم تكن هجرة فى الاسلام بعد . فقالوا له حائرين ؟ والى أين نهاجر يارسول الله ؟ قال إلى الجبشة ، فان بها ملكا عادلا لايظلم عنده أحد . وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا .

وفر قلة من المسلمين بدينهم لأول مرة ملتجئين الى النجاشى العادل ملك الحبشة ، فآواهم ونصرهم وأقاموا عنده فى خير جوار لم يؤذوا ولم يسمعوا شيئا يكرهونه ، ولكن قومهم بمكة عز عليهم هذا الفرار ، أو قل عز عليهم أن يتلقاهم النجاشى هذا اللقاء . فأرسلوا وراءهم عظيمين من عظمائهم مزودين بالهدايا الثمينة ليأتيا بهم من أرض النجاشى العادل .

وفد العظيمان على أرض الحبشة فوزعا هداياهم على أساقفة النجاشى العادل ، وفى الغد قدما عليه وهو جالس على عرشه فى أبهة الملك وعزته وسطوته وقدما له هداياهما وقالا له « أيها الملك أنه قد أوى الى بلدك مناغلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، بل جاءوا بدين جديد ابتدعوه لانعرفه نحن ولا انت . وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم لتردهم عليهم ، فهم اعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم »

لجنة التأليف والترجمة والنشر

اتفقت وزارة المعارف مع لجنة التأليف — رغبة فى نشر العلم — على تخفيض أثمان الكتب الآتية وجعل أسعارها كما يأتى :

كتاب النجوم فى مسالكها	١٢ قرش بدل من ١٦ قرش
« فتح العرب لمصر	٢٤ قرش بدل من ٤٠ قرش

أنصت النجاشي العادل الى قولهما وإذا أساقفته تصيح معهما : صدقا أيها الملك . قومهم اعلى بهم عينا . فاسلمهم اليهما ، وهاج النجاشي قولهما وثار لموافقه اساقفة لهما فقال غاضبا « لا اسلم اليهما قوما بادروني ونزلوا بلادي واختاروا جواري دون سواي حتى ادعوهم فاسألهم عما يقول هذان في امرهم »

وارسل النجاشي خلف المسلمين فأتوه وهو على عرشه واساقفته ناشرون مصاحفهم حوله ، وتكلم عن المسلمين جعفر بن أبي طالب قال ، أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش . . . حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا . . . وامرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكشف عن المحارم .. ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . . . . فصدقناه وآمنا به واتبعناه . . . . فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا . . . . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا . خرجنا الى بلادك . . . ورجونا الا نظلم عندك ايها الملك » قال النجاشي العادل وقد أثر فيه قول جعفر : هل معك مما جاء به من الله من شيء ؟ قال جعفر نعم ، قال له فاقرأه ، فقرأ جعفر (كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا : اذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) .

أنصت النجاشي لآيات الله يتلوها جعفر فلم يشعر الا والدموع تنهمر من عينيه وتبلل لحيته . النجاشي ملك الحبشة العظيم ، النجاشي الذي ذاق هول الدهر ، فقد غدر به قومه وقتلوا أباه وباعوه ليخلصوا منه ثم لجأوا اليه أخيرا حين احتاجوا اليه ، هذا النجاشي الذي بلا الدهر واستمرأ غلظته وجفاءه ، نعم هذا النجاشي يبكي لمجرد تلاوة آي الذكر الحكيم ، وكأنه صعب عليه أن يبكي لمجرد تلاوة آيات فالتفت الى أساقفته وفيهم الغليظ القلب ، وفيهم الجافي الطبع ، وفيهم البارد العاطفة ، فاذا بهم كلهم باكون وقد اخضلت لحاهم من الدمع . ولكن عظيمي مكة وقفا جامدين لقد الفا هذه التلاوة ولم تؤثر في أكبادهما الغليظة شيئا . (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) .

خرج العظيمان المكيان مخذولين ، ولكنهما لم ييأسا ، فجاءا النجاشي العادل في الغد يريدان الوقيعة بينه وبين من آووا اليه فقالا له أيها الملك : انهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما . فناداهم النجاشي وقال لهم وما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فرد عنهم جعفر ابن أبي طالب « نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول » وآمن النجاشي العادل بقولهم وإن لم يؤمن به أساقفته ، ورجع العظيمان إلى مكة خائبين وظل المسلمون في جوار النجاشي العادل آمنين مطمئنين

وجاء النجاشي منازع له على العرش يحاربه فلم ينس المسلمين في محنته . وإنما أعد لهم سفنا وقال لهم إذا هزمت فهذه سفنكم توصلكم الى أهلكم بمكة ، واذا انتصرت فانتم كما كنتم آمنون في جواري . وصلى المسلمون من أجل النجاشي فانتصر على عدوه ، وظلوا في جواره آمنين الى ان تهيأت لهم مكة فرجعوا اليها

وانشغل المسلمون بجهادهم عن الحبشة وملكها النجاشي العادل ، وبينما هم ملتفون حول رسولهم يجاهدون من أجله وفي سبيل تعاليمه ودينه ، اذا بهم ينعى اليهم النجاشي العادل . ولم ينس الرسول يده على المسلمين يوم كانوا مستضعفين فارين من وطنهم فاستغفر له وصلى من اجله .

كان المار قديما بارض الحبشة يرى على ضفاف النيل بقعة ينبعث منها النور فيظنها لاول الامر وهج الشمس ، فاذا مااقترب منها عرف انه نور ينبعث من الارض لا من السماء ، فاذا ماسأل أهل البقعة عن مبعثه قالوا هذا قبر النجاشي العادل ، هذا قبر أول من آوى المسلمين المهاجرين يوم كانوا مستضعفين في الارض !

سهير القلماوي

شركة مصوغات الجمل المصرية

تهنىء الأمة العربية برأس السنة الهجرية أعاده الله عليها بالخير والرفاهية

مِنْ طَرائف الشِّعر

الى الشواطئ المصرية

للشاعر الوجداني علي محمود طه

حيّاكِ أرضاً وازدهاكِ سماءُ ... بحرٌ شدا صخراً وصفّق ماءَ
يحبو شعابكِ في الضحى قبلاتِهِ ... ويرفُّ أنفاساً بهنَّ مساءَ
مُتجدِّدَ الصبَوات أودعَ حبَّهُ ... شتّى الأشعةِ فيكِ والأنداءَ
ولِعٌ بتخطيط الرمال كأنّهُ ... عرافةٌ تستطلعُ الانباءَ
ومُصوِّرٌ لبِقُ الخيالِ يصوغ من ... فنِّ الجمالِ السحرَ والأغراءَ
نَسقَ الشواطئَ زينةً وأدقَّها ... صُوَراً بريّا صفحتيهِ تراءى
يجلو بريشته السماءَ وإنما ... زادتْ بريشته السماءُ جلاءَ
لا الصبحُ أوضحُ من مطالعهِ بهِ ... شمساً ولا أزهى سناً وضياءَ
كلّا ولا الليلُ المكوكبُ أفقهُ ... بأغرَّ بدراً أو أرقَّ سماءَ
ولربَّ زاهيةِ الأصيلِ أحالها ... سيلاً أحمَّ ولجّةً حمراءَ
وكأنّما طوتِ النهارَ ونشّرتْ ... لهباً وجرّتِ الصخورَ دماءَ
ولربَّ عاطرةِ النسيمِ عليلةٍ ... طالعتُ فيها الليلةَ القمراءَ
رقصتْ بها الأمواجُ تحت شعاعها
وسرتْ تُجاذبُ للنسيمِ رداءَ
حتى إذا رانَ الكرى بجفونها ... ألقتْ إليكِ بسمعها إصغاءَ
تسمعُ النوتيَّ تحت شراعهِ ... يشدو فيبدعُ في النشيدِ غناءَ
هزّتْ ليالي الصيفِ ساحرَ صوتهِ
فشجا الشواطئَ واستخفَّ الماءَ
وأثارَ أجنحةَ الطيورِ فحوّمتْ ... في الليلِ حيرى تتبعُ الأصداءَ
وُرْقٌ فواتنُ ياشواطئُ صاغها
لكِ ذلك البحرُ الصَّناعُ رواءَ

فتنظّريهِ على شعابكِ مثلما ... رجعَ الغريبُ إلى حماهُ وفاءَ
كم ظلَّ يضربُ في صخوركِ موجُهُ
مما أجنَّ محبّةً ووفاءَ
حذراً إذا عيّتْ بمنطقهِ اللغى ... فهو العييُّ المفحمُ الفصحاءَ
فخذي الحديثَ عليهِ واستمعي لهُ
كم من جمادٍ حدّثَ الأحياءَ
وسليهِ كيف طوى الليالي ساهداً
وبلا الأحبّةَ فيكِ والاعداءَ
كم ليلةٍ لكِ ياشواطئُ خاضها ... والرعبُ يملأ حولكِ الأرجاءَ
والسفنُ مرهفةُ القلاعِ كأنّها ... تطأ السحابَ وتهبطُ الدأماءَ
حملتْ لمصرَ الفاتحينَ وطوّحتْ ... للنيلِ منهم جحفلاً ولواءَ
ولو استطاعَ لردَّ عنكِ بلاءهم ... وأطارَ كلَّ سفينةٍ أشلاءَ
أو كان يبلغُ للغيوبِ شفاعةً ... هزَّ الوجودَ ضراعةً وبكاءَ
أو كان يملكُ قدرةً حشدَ الدجى
ونضا الرجومَ وجنّدَ الأنواءَ
ودعا غواربهُ الثقالَ فأقبلتْ ... فرمى بها قدَراً وردَّ قضاءَ
فاستعرضي سِيَرَ الزمانِ ورددي ... ما سرَّ من أنبائهنَّ وساءَ
وخذي ليومكِ من قديمكِ سلوةً ... ومن الجديدِ تعلّةً ورجاءَ
إيهِ شواطئَ مصرَ والدنيا منىً ... تهفو إليكِ بنا صباحَ مساءَ
ناجيتِ أحلامَ الربيعِ فأقبلتْ ... وأشرتِ للصيفِ الوسيمِ فجاءَ
يحبوكِ من صفوِ الزمانِ وأنسهِ ... ماشئتِ من بهجِ الحياةِ وشاءَ
وغداً تضيءُ على جنبيكِ لمحةٌ ... طبعَ الخلودُ سماتها الغراءَ
وترفُّ منهُ على ثغوركِ بسمةٌ ... خفقَ العبابُ لها وغضَّ حياءَ
فاستقبلي الصيفَ الجميلَ وهيّئي ... للفنِّ فيكِ خميلةً غنّاءَ
واستعرضي حورَ الجنانِ وأطلقي
لغةَ السماءِ وألهمي الشعراءَ

اسلام عمر

أسلم سعيد بن زيد بن نفيل « ابن عم عمر » وزوجته فاطمة « أخت عمر » وكان خباب بن الارت يختلف الى فاطمة يقرئها القرآن

خباب — (يستحث فاطمة) :

رتلي ما شئت فيه رتلي — واقرئيه كل صبح ومساء
إنه خير كتاب منزل — فيه للمؤمن أمن وشفاء

فاطمة :

يا بياناً جل عن كل شبيه — وتعالى عن أساليب العرب
وكتاباً كلما رتلت فيه — خشع القلب لديه واقترب
هو إن رق نسيم نافح — بشذا الخلد وأنفاس النعيم
وإذا ثار فجمر لافح — يستمد الوقد من نار الجحيم
أعرضوا عنه ولو أصغوا اليه — لهداهم وضح الحق المبين
ولخروا سجداً بين يديه — وغدوا لله خير المخلصين

يعود عمر غاضبا إلى أخته وقد علم باسلامها مع زوجها

خباب — إن بالباب طارقا

فاطمة — من لدى بابنا ؟

عمر — عمر

فاطمة إلى خباب —

إختبئ منه إنه — ملك الموت قد حضر

خباب وهو مسرع :

نجني رب واكفني — شر ما يخبئ القدر

تفتح فاطمة فيدخل عمر ويظهر سعيد

عمر الى فاطمة : لم أبطأت فى لقائى ؟

فاطمة — عذراً

عمر — (هائجا) — أى عذر يصدكم عن لقائى ؟

وعلام اتبعت رأى سعيد — وهو غر مسفه الآراء
فعصيتم مناة واللات والعزى — ودين الأبوة القدماء
واتبعتم محمداً فى هواه — وغدوتم من صحبه الاوفياء

سعيد — (فى رفق) يا ابن عمى

عمر — (ثائرا)

لست ابن عمك حتى — تتعرى من لبس هذا الرداء

سعيد — (مستنكراً)

أو أعصى محمدا سيد الخلق جميعا وصفوة الأنبياء
والرسول الذى هدانا إلى الحق — بتلك الشريعة الغراء

عمر — (يهم بضربه)

فيم هذا العناد يايها الوغد وذاك العقوق للآباء ؟

فاطمة فى وجه عمر —

أنت أسرفت فى إساءة زوجى — وهو ثبت الجنان جم الحياء
فامض لا ترتفع يداك عليه — وكفى ما أتيت من أيذاء

فيشج رأسها قائلا :

اتركينى لا جاد ربعك غيث — ودعينى أجزيه شر الجزاء

تشعر فاطمة بدمها يسيل فتبكى

أماه قد شج رأسى — أخى وأجرى دمائى
ولم يلن لأنينى — ولم يرع لبكائى
كم كنت أرجوه عونى — فى النكبة الهوجاء
فكان مبعث همى — وكان كل شقائى
ياويح ماأنا فيه — من محنة وبلاء
أكل من أصطفيه — يخيب فيه رجائى ؟

فيثوب عمر الى رشده وهو يضمد جرح اخته

ثورة ثبت بعدها لرشادى — فاصفحا عن قساوتى واضطهادى
وتناسى يا أخت ماكان منى — من أذى صبه عليك عنادى
لا تظنى بى الظنون فأنى — لك عند الخطوب أكرم فاد
أنا مهما قسوت عونك فى الكرب وحصن يحميك من كل عاد
فاطمئنى الى سريرة نفسى — واستريحى الى حنان فؤادى

فيهدأ الجميع ثم يسألها :

وأرينى صحائف الدين أقرأ — بعض ماهاج سائر الحساد

فاطمة — بل لتمحو سطورها

عمر — لا ورب — ولو انى لها من الاضداد

فيقول بعد ماملكت عليه قلبه

صحف كلها جلال رهيب   وبيان يسمو عن الانداد
وكتاب يعنو لروعة مافيه   قساة القلوب والأكباد
وضياء يشع فى حالك الشك   فيجلوه بالشعاع الهادى
فيقبل خباب متهللا :

هيه يا ابن الخطاب
عمر — (مشدوهاً)   من ذاك ؟
ثم يراه فيقول   خبّاب ؟ ومن أى موضع أنت غادى
خباب : —
كنت فى صحبة ابن عمك أتلو   صحف الوحى والهدى والرشاد
ثم أقبلت فاختفيت مروعاً   من حسام لديك غرثان صادى
وها قـد أتيتك لما هدأ   ت وثبت إلى نفسك الراضيه
عساك تصيخ إلى ما أقو   ل وتنحنى أذنك الصاغيه
تحدث عنك النبى الكر   يم وأعينه ثرة هاميه
ونادى إله الورى أن يعز   بك الدين فى مكة العاصيه
فهلا تمزق ثوب الضلا   ل وهلا تفيق من الغاشيه
فتتبع دين الرسول القو   يم وتنبو عن الفئة الباغيه
عمر إلى من حوله :
بلى سوف أهجر هذا الضلا   ل وأنزع أسماله الباليـه
وألبس يا قوم ثوب الهدى   وحلة دينكم الزاهيـه
فيتهلل الجميع ويقول سعيد :
أجاب الاله دعاء الرسـو   ل وحقق دعوته الغاليـه
فقم فاعتنق دينه المرتضى   لتكبت أعـداءه ثانيه
(فى نفسه)
لسوف يذوقون منك العذا   ب ويلقون فى نارك الحاميه
يخرج عمر ميمما مجلس الرسول مع صحبه فيطرق الباب :
صحابى — طارق جاء
آخر — (وهو يسعى الى الباب)   من يدق علينا ؟
عمر —   عمر
فيعود مذعورا —   ما على لقائك أقدم
ثم يهيب بصحبه :
إيذعروا فقـد أتى مارد القـو   م وفى سيفـه المنيـة تجثم

فيهربون ويخاطبهم حمزة غاضبـا
أدخلوه فان أراد اهتداء   بعد ما لج فى الضلالة أكرم
واذا جاء بيننا يشهر السيف   ويسعى الى النكاية حطم
فيمنعهم النبى
بل دعونى ألاقه أنا وحدى   فهو أحنى مما ترون وأرحم
يفتح له وينتحى به —
فيم يا ابن الخطاب جئت الينا
عمر — (خاشعاً)   جئت أسعى الى الرسـول لأسلم
فيكبر النبى ويهتف أحد الصحابة —
الله أكبر عز الدين وانتصرت
جماعة صمدوا للذل واصطبروا
فيعلم الصحابة باسلام عمر ويقبلون فرحين مهنئين
أحدهم —
يامرحبا بحـسام الله يمنعنا
من بعد مافت فينا الخسف والصغر
آخر —
يرجو بك الدين أن تسعى لنصرته
فحقق اليوم ما يرجوه يا عمر
وانصر رجالا أباح الاهل حرمتهم
فلم يصبهمو فى دينهم خور
عمر —
سـيروا بمكة أنى شاء رائدكم
واستكثروا فى بقاع الارض وانتشروا
وأطلعوا راية الاسلام خافقة
فدون من رامها الصمصامة الذكر
من صدكم بالأذى مزقت أضلعه
ولو يكون له فى أهله خطر
فليزدجر بخطابى كل ذى رشـد
وليمتثل للردى من ليس يزدجر

فريد عين شوكه

الحركة الادبية فى المانيا بعد الحرب

للاستاذ ران

مدرس اللغة الالمانية بالجامعة المصرية

— ١ —

فى سنة ١٩١٨ انهارت دعائم المانيا على اثر حرب اضطلعت بضرامها ضد عصبة متحالفة تفوقها قوة ومنعة. ومنذ سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٤ جازت المانيا غمار أعوام تفيض بالازمات الداخلية والخارجية، فمن حروب اهلية، الى صنوف من الذلة فى السياسة الخارجية، الى تدهور العملة، الى جوع وقحط؛ وفعلت هذه كل شئ لتدفع الشعب المنكود الى وهاد اليأس. وفى سنة ١٩٢٤ استحالت شئون السياسة الخارجية الى شئ من التحسن، وثبتت العملة، واندفعت المانيا فى دهشة الصديق والعدو، الى تقدم اقتصادى سريع، ولبثت حالتها المادية والمعنوية حتى وقوع الأزمة الاقتصادية الكبرى ظاهرة الثبات والاستقرار.

يقابل هذين العهدين من تاريخ المانيا السياسى، عهدان أدبيان مما بعد الحرب. فالى سنة ١٩٢٣، كانت تسود الثورة الأدبية والفوضى. وفى سنة ١٩٢٤ بدأ عهد من الاستجمام والدعة والرجعة. واذا كنا نلخص احوال هذين العهدين - مما يلى الحرب - فانا سنقتصر طبعا على ذكر الاسماء والحركات التى ظهرت فى هذه الحقبة ذاتها؛ وسنغضى عن ذكر كثير من الشعراء والكتاب الأحياء المعروفين، اذ قد ظهر معظمهم قبل الحرب؛ وما صنع عهد ما بعد الحرب سوى أن ثبتهم فى مراكزهم، ومن هؤلاء ريكاردا هوخ، وجرهارد هاوبتمان، وتوماس وهينريخ مان، وغيرهم.

— ٢ —

تعرف الحركة الادبية الثورية فى العهد الاول مما يلى الحرب عادة بانها حركة « التعبير » Excpressionismns. وكان « التعبير » فى الاصل اساسا لبرنامج جماعة من الرسامين ثاروا على فكرة « التأثير » فى الرسم Impressionismus. فاستعار الأدب من الرسم هذه الكلمة علما له. وهى فى الادب كما فى الرسم علم للثورة. وقد كانت بادئ بدء برنامج عصبة صغيرة من الشعراء والأدباء الذين حاولوا - شأن كل جيل - أن يمكنوا لطابعهم الخاص وآرائهم الخاصة، وان ينحرفوا فى عنف أو هوادة عما للجيل المنصرم من مظاهر الطموح الى الجمال. ومن هؤلاء بعض الشعراء الشبان الغنائيين الموهوبين (مثل الزه لاسكارشيلر، وارنست شتادلر، وجود فريد بن، وفرانتس فرفل، وبخر وغيرهم) والى جانبهم بعض النقدة المنتجين الاقوياء مثل كارل اينيشتين ولودفج روبينر، وفردينانْد هارديكوبف. وظهر الى جانب هؤلاء خلال هذه الحقبة ايضا جماعة من القصصيين وكتاب المسرح مثل جستاف ما يرنك مؤلف قصة « جولم »، وماكس برود مؤلف «طريق تيشو براه الى الله»، وكارل شترنهايم، وليونهارد فرنك، وجورج كايزر، وارنست تولر، وفالتر هازنكلفر. بيد أن أهم ظاهرة فى الحركة هو انها كانت وما زالت غنائية فى اتجاهها. بل إن « التعبير » كان يعنى شهر النضال فى سبيل الهام حر وطابع مطلق من كل قيد، أو بعبارة اخرى كان يعنى ثورة العواطف والغرائز على أغلال عالم آلى مسير، وعلى الاتجاهات الفنية التى تصفدها قواعد العقل: تلك هى المبادئ التى دفعت بالحركة الادبية سريعا الى الفوضى فى الشكل والموضوع

كان الكاتب « المعبر » كأنه « فرتر » (١) مبعوث، ولكن هؤلاء الثوار الجدد كانوا بالأخص يخالفون « فرتر » القديم فى ميولهم الفنية كل المخالفة، على ان الميول الثورية ايام « فرتر » كما هى فى ظل « التعبير » لم تكن تقف عند الفن. فقد كان البحث يتجه الى طابع فنى جديد، وكان يطمح الى حق التدخل فى أعمق ظروف الحياة الخاصة، ولكن الحركة كانت تتجه بعواملها الثورية بالأخص الى تحطيم النظم الحكومية والاجتماعية والاخلاقية القائمة؛ كان هذا هو الجيل الذى ازدهر فى معركة الطوائف قبل الحرب، وفى جحيم الحرب؛ وفى أحياء العمال، وفى ميدان الحرب؛ وما يكاد يعرف عالما غير عالم البطش والروعة؛ عالما يهوى الضعيف فيه الى حضيض البؤس، ويبدو القوى عنيفا مطلق الهوى. وعلى هذا المنوال نشأت العواطف الاساسية لهذا الجيل، وهى عواطف رأفة ورثاء لضحايا هذا العالم، وعواطف طفولة، وعدم مسئولية نحو نظام اقتصادى عنيف ونظام سياسى قاهر أكثر عنفا، وبالاختصار عواطف ثورة واستهتار. كذلك كان هذا الجيل يؤمن بالعاطفة الانسانية التى شوهتها التقاليد والعرف. وبالخير المحض الذى غاض فى غمر من الكسل والخبث. وكانوا ككل الثوار الخياليين لا يرون فى الحاضر ولا فى التاريخ شيئا غير بطش الدولة الجهنمية، وظلم الضعفاء، واضطهاد العقل والروح من طبقات سيدة لاضمير لها ولا وازع.

وقد بدا لهم كما بدا لفرتر، ان الدين والعلم والفن قد زيفت لصالح الطبقات الغالبة. بيد أن هنالك فرقا بين تكييف آلام الحياة فى الماضى وبين تكييفه الجديد، وهى آلام تهم حركة « التعبير »

(١) فرتر بطل رواية جيته: (آلام الفتى فرتر)

فقد كان فرتر القرن الثامن عشر أيضا يقطع علاقته مع مجتمع العصر وثقافته ، ولكن بقيت له اللغة القومية ، وكان يقيس خمول المجتمع بمقدار مايضطرم في صدره من فيض البيان وعنفه ، ذلك البيان الذى تلقاه من جيل الى جيل . وكان يتلقى صلات الماضى البعيد المجيد ، كما يتلقى من حاضره مالم يغشه الفساد . وكان فرتر يرى نفسه فى مرآة اللغة القومية النقية المخصبة ، فاذا أخرسه الالم ، أمدته بما يقول فيما يعانى . وقد بدت هذه اللغة القومية للشاعر الفتى الذى ظهر فى نهاية الحرب مهيضة منهوبة ، والفاها طعمة للسادة الخاملين والطبقات الوسطى الراضية المسترقة ، فقد استحالت على يدهم الى اداة خاملة خالية من المعانى

ولسنا نجد مانقوله عن الطابع الشعرى ، فقد بدا شكله لهذا الجيل الفتى عليه العفاء مثلما بدت ظروف الدولة والمجتمع ، وبدا له الجد والوقار كأنهما وضع مجرد منافق. والجمال كأنه امتياز وضيع لرفاهة التجار الاغنياء ، وان رنين العواطف قد غدا رنين لغط مجرد ، أو غدا بلسما مخدرا

وقد اندفع الشعراء الغنائيون الجدد ، بعوامل ترجع الى الاحقاد الاجتماعية و الى بعض مثل الجمال ، سراعا الى معترك من الفوضى اللفظية والفنية ، ونشأ فى ذلك المعترك رغم تناقضه مذهب لعبادة القبيح

وبدأ أولئك الغنائيون « المعبرون » بالخروج على كل قواعد النظم والروى وتنسيق العبارات ، بل على قواعد اللفظ ذاته ، وانتحلوا لانفسهم لغة خاصة لم تكن اكثر من سلسلة طويلة من الزفرات المتقطعة والغمغمة والصياح ، قد ضحى فيها اختيارا بكل منطق خارجي ، وكل جمال ونبل فى اللفظ ، ويستحيل علينا أن نقدم هنا أمثلة ، مثلما يستحيل علينا ان نترجم كتابات الفرنسيين انصار الحقيقه المغرقة ، او شعراء إكسفورد المحدثين . ونضطر ان نحيل القارىء الى الشعراء والكتاب الذين سبق ذكرهم . ففى هذا الضرب من الشعر كله فى هذه اللغات ، ينعدم كل تنسيق منطقى أوصوغ للجمال . بيد أن لهذا الاسلوب مزاياه فى التأثير بما يقوم عليه من العناصر اللفظية الخاصة بكل لغة ؛ وهى مؤثرات يفهمها كل انسان يعرف هذه اللغة ، دون ان يعنى بشرحها او ترجمتها

وقد ذهبت الثورة على المبادىء والقواعد المرعية الى حد القصد الى معالجة القبيح الشاذ . نعم استعمل اولئك الشعراء الروى والقافية ولكن دون شكل ولا قاعدة ، بل حولوا الوزن والتناسق الى خلل وتنافر . ولم يكن شعر هذا العصر يمتاز فقط بالتحلل والغموض ، ولكن يمتاز أيضا بنوع من الضيق والقبح والشناعة . وليس هذا فقط فيما يتعلق بحرية التعبير ، بل هو كذلك يتعلق بالميل الى ذلك التبسط العنيف القبيح ، و الى ذلك اللفظ الضعيف المغصوب ، فقد كان هذا الميل هو طابع الانشاء

ويرد انصار « التعبير » على ذلك بأسباب يرجع بعضها الى الطموح الى الجمال ، فيقولون إن الامر يتعلق بتجاوب لفظية وصور فية للأشياء أهملت ولم تطرق من قبل ، ويرجع البعض الآخر الى العاطفة وفلسفة التاريخ حيث يقولون ان البيان الذى اتى به عصر محطم ممزق يجب ان يقوم على شىء من الخلل والقبح والهوس ، وان ميلاد عصر جديد ، أو انسان جديد كامل يقع دائما فى غمار الألم والقبح . ثم يقولون ان عين العصر الحاضر كعين ساكن جهنم فى اسطورة افلاطون لابد أن ترى اليوم قبيحا ، ما يراه عصر جديد ، أنقى الانطباع والجمال

— ٣ —

وما كان ذلك كله ليرضى غير طائفة قليلة من المفكرين الخبثاء أو الذين لاخلاق لهم . ولولم تكن الحرب ومابعد الحرب لبقيت الحركة محصورة فى هؤلاء . ولكن هذه المحاولات التى كانت تقصد الى عدم المساس بالأذواق والمظاهر الشعبية فى الفن والادب بل تقصد إلى اثارتها ، استطاعت بسبب انحلال العصر واضطرابه ان تغزو اوساطا عظيمة

ذلك ان الرجل العادى الذى فقد صوته فى جحيم الخنادق وذعر الهزيمة ؛ الفى فى هذه الموسيقى الثورية المضطربة بيانه الطبيعى وبدا الاسلوب الجديد الذى صيغ سراعا فى صوت الملاك ، أوصوت الحيوان ، ولكن لم يصغ قط فى صوت الانسان الامثل ، فى نظر الجموع ، أنشودة أولئك المساكين الذين كانوا يرقدون نصف عراة فى الخنادق لايفكرون فى غير حياتهم ، أوأنشودة اولئك المشردين المنبوذين الذين كانوا ايام الجوع يبتهجون بافتراش الغبراء وأكل الأعشاب . وقد كانت الجماهير الزاخرة ، ولاسيما جمهرة المتعلمين تعتقد أن الزمن سيدور دورته . وكان الاعتقاد عميقا سائدا بأن البراءة(١) ستأتى أوسيأتى عصر تنهض فيه الاحوال الاخلاقية والاقتصادية . وهكذا حظيت هذه العوامل التى بعثت الخيال الجديد بظلامه وخفائه وحماقته بتأييد الجمهور . ولعل الرسالة كانت أقوى من فهم الشعراء أنفسهم وأقوى من ثروتهم اللفظية ؛ وكان ثمة اعتقاد بانها رسالة رسل أو انبياء . ألم يكن ثمة دليل على عمق الرسالة حين

(١) لعله يقصد هنا « البراءة » من مسئولية الحرب

تحطم الأنا تحت ثقل ما فيه ؟

— ٤ —

ولقد كان ذلك الخيال الذى أقامته حركة « التعبير » ضد « التأثير » والذى كان يعمل من الوجهة النظرية لصوغ الحالة النفسية من جديد ، وينكر كل استقلال خارجى ، بل كل شرعية خارجية وكل شكل وضعى ، يلتقى مع ذلك بحاجة للوسط الذى يعنى بالفلسفة ، هذا الى تلك الحساسية الدقيقة التى أذاعتها فى الطبقة الوسطى فلسفة «فرويد»(١) النفسية والتى اتجهت نحو تصوير الغرائز المضطربة والمثل النفسية

وكانت الفلسفة الالمانية الرسمية ، منذ فاتحة هذا القرن تتجه بلاريب الى معارضة الفكرة الواقعية ، اولا على يد الاشكال المعتدلة للفلسفة الكانتية (٢) ومنذ سنة ١٩١٠ ظهرت حركة واضحة تميل نحو فلسفة واقعية روحية (وقوامها فلاسفة مثل ، مينونج وهوسرل ، وبعض تلاميذ مدرسة ديكرت ، وحركة الأحياء الهجلية ، وهنز دريش وغيرهم) بيد انه قلما كان يفرق أحد بين الواقعية والآلية ، فكانت كل هذه الميول تتجه الى انكار الشكل والمقدار سواء فى الطبيعة أو البيولوجيا أو الاجتماع .

وكانت الحركة الوطنية قبل الحرب بل واثناء الحرب أيضا ، تعضد هذا الاتجاه ، وكانت ترى فى تراث أجست كونت وجون ستوارت ميل . ثقافة خصيمة تجب محاربتها . ولكن بتقدم الميول الروحية ارتد المفكرون الى الفلاسفة الالمان القدماء : ايكهارت ، بيمى ، ونفتى ، وشلنج ، وهجل

ومن اليسير أن نبرهن على أن دعاة نظرية « التعبير » قد استقوا من هذه الميول ، سواء من الوجهة الشخصية . أو الوجهة المادية . بيد أن الحركتين كانتا تسيران جنبا إلى جنب فى محاربة الآراء الغربية كما وضعت غالبا ، وكانتا تطاردان نفس العدو فى مواطن كثيرة . فمثلا نعرف جميعا أن حركة « التأثير » التى تقاومها حركة « التعبير » كانت تتصل أوثق صلة « بالواقعية » الفرنسية وكانت الرواية والقطع المسرحية الالمانية التى أثار عليها « التعبير » أيضاً حربه العوان ، فى العشرة أعوام الاولى من القرن الحالى ، تستقى الى حد كبير من التعاليم الطبيعية الجبرية والاجتماعية

بيد أن الفلسفة والفن الجديد كانا يلتقيان فى تمثيل « الواقعية » أما حركة « التعبير » فكانت تجعل من « الوضعية » وصوغ العبارة محور فنها ، وكان الفلاسفة الجدد من جانبهم يمثلون الميل الى تصوير العالم فى صورة تفيض فيها الجوانب المادية ، وتتأثل فيها العناصر المعنوية : أعنى الفكرة والروح والحياة ، أو تكون لها قواما

— ٥ —

ثم إن هذه الرجعية الروحية فى الفلسفة قد اتخذت صورا ومناحى شتى فبدت أحيانا فى الاشكال الصارمة لنظرية المعرفة والمنطق . وأحيانا فى ميدان الاجتماع ، وطورا فى ميدان النظريات الفنية ، وأحيانا فى مباحث الخفاء . وهكذا استطاعت أن تمد الفن الجديد لا بنظرياته العلمية فقط ، بل استطاعت أيضا أن تمده بالصورة العالمية التى ينشدها

ولقد ظهرت هذه الآثار واضحة فى الرواية والقطعة المسرحية اللتين أخرجتهما حركة « التعبير » فكلتاهما انحدرت الى غمار الخيال المغرق . وفى عوالم محطمة أو ممزقة مهلهلة يبدو فيها الشغف بما وراء الطبيعة ، وما وراء النفس والعناصر الشيطانية الخبيثة . فأما الرواية ، فقد عالجت الحوادث الخارقة ، وقصص الاشباح ، وأشخاص الهائمين فى العالم . والعلم بالاتصال بالله ؛ وكذا تشبعت الرواية بالادب الروسى فى معالجة قصص المجرمين الذين يتصفون بالصلابة الخارقة أو يزعمون الالهام من الله ، والقضاة ذوى الكبر والقلوب الغليظة ، والمذنبين التائبين الذين هم أصفى قلوبا ونفوسا . وأما الرواية المسرحية فقد رسمت صور الشقاء للمعدمين الاطهار ، ورسمت على العموم صورة الكفاح المتناقض بين الفكرة المستنيرة والمادة المظلمة ، وشرحت الاسباب القديمة المعادة لعقوق الابناء ، ومعركة الضمير التى تضطرم فى صدور الشبيبة الديموقراطية السلبية التى تتنبأ للعالم بمستقبل عظيم زاهر فى ظل النظام الجديد ، وصورت المناظر المغرقة لمدنية عظيمة ذات معترك من الحقيقة والظاهر ، والغنى ، والفقر والتسول ، والمال ، والرذيلة ، والعالم الخفى ، والعالم الأنيق ، كذلك عادت الرواية المسرحية الى معالجة موضوع القصص الدينية القديمة . ومن الصعب أن نقول الى أى حد ترجع هذه الصور والمسائل الى أثر الفلسفة والتيوسوفية ، والى أى حد تمثل فقط الحقيقة المروعة لأيام الحرب وما بعد الحرب ، وعلى أى حال فقد كانت الحقيقة هى أعظم غذاء لهذه الآثار كلها . فلما تغيرت هذه الحقيقة فى سنة ١٩٢٤ غاضت هذه الآثار كما يغيض الطيف . أما فى دوائر الأدب الرفيع فقد اضمحلت الحركة منذ سنة ١٩٢٢ ، وكانت

(١) فيلسوف وعالم اجتماعى نمسوي معاصر

(٢) نسبة إلى كانت

فى الواقع ظاهرة الفراغ . ذلك أن الدأب على تصوير ضعف الاخيار وبؤسهم ، وكونهم يكافحون فى عالم قاس أضحى نغمة قديمة مضحكة بغيضة وغدا الاشتقاق من العالم الخفى ومجتمع الفقر والرذيلة فنا سهلا و وغدا يشف فى ثمرات كل عام عن ضعف ذهنى سىء . أما الرجال الذى عنوا بمعالجة مشاكل هذا العصر فقد توفروا على دراسة الاقتصاد والتاريخ والفلسفة . ومن ثم فقد أنهارت دعائم هذه الحركة التى قامت فطيرة مغرقة . وكان اسلوبها الذى غفل عن الصقل والغاية أحب الأساليب الى العاجزين . وهكذا سرعان ماغدت حركة « التعبير » لاتعنى شيئا سوى « الفقر الأدبى » .

— ٦ —

بيد أن العصر الجديد (منذ سنة ١٨٢٤) عاد فأخذ يتلمس طريقه إلى التقاليد القديمة فى حذر بل فى روعة . ولما توطدت دعائم الظروف الاقتصادية عاد العمل والحياة فاستقاما ببطء ، وعادت الارزاق الدنيوية تسترد مكانتها وقوتها بعد أن غدا الحصول عليها ممكنا . وغاض الشعور بأن كل شىء يضطرب ويهتز ؛ وأخذ الانسان ينظم شأنه فى العالم ، وكان لذلك أثره فى تقدم الآداب ما بين سنتى ١٩٢٤ و ١٩٣٠ .

عاف الانسان الاحلام ، وأخذ يقدر الحقائق ويقدر أساتذة الكتاب . وسئم الانسان الاتهامات الخطيرة وكذلك الوعود التى ليست أقل منها خطورة وعاد يروض نفسه على تذوق العواطف الطبيعية وعلى تقديم المجهود المحدودة ولكن السليمة . أجل ، سئم الانسان إغراق العصر الذاهب وقبحه ، وأخذ يقدر احتشام العاطفة وقيمة البيان ، وقضى على ذوى العى والقصور . وعاد الانسان يطلب الصقل والتهذيب .

وإن الانسان ليشعر فى هذه الاعوام الاخيرة الى أى حد كان أولئك الناس يغرقون فى استعمال العبارات الجريئة ؛ ولقد غاضت الرغبة كما غاضت الجرأة فى تحرى الصور الجديدة أو العنيفة أجل ، كان عصر الرجعة ، وعصر استرداد التقاليد الادبية التى خلفتها القرون ولم يكن عصراً ضعيفا ولكنه أيضا لم يكن مضطرباً ولم يكن يتلمس طريقه فى الظلام .

ولم يكن هذا الجيل أيضا من الوجهة الخارجية جيلا جديداً حل مكان الجيل القديم ، ولكنه كان طائفة من عمر الجيل المنصرم نضجت فى سكينة أو كانت أقدم وأطول عمراً . ونحن نمثل لتلك الطائفة بقصصيين مثل هانز كاروسا ، والبرخت سيفر ، ويوسف بونتن ، ويوسف روت وأرنولد تسفايج . . فهؤلاء فياضون بالرجولة ، بل انهم يبدون أحيانا شخصيات هائمة : وهم قديرون على أن ينسجوا من حوادث الحياة اليومية صوراً ينفذون إلى أعماقها ويصوغون منها اللآلىء التى توجد فى كل حقيقة وفى أصغر حقيقة . وهم كتاب حقيقة ، ولكن جردوا من كل النظريات الفلسفية والاجتماعية . هم كتاب قصص ، وكتاب قصص فقط ، لا يتجنبون المدهش الخارق ولكن ليس لديهم ما يحول دون قصده وتحريه . فاذا قصدوه تناولوه بحذر ، بل باحجام كشىء تتأثر له حقا ، ولكنه ليس مما يجب أن يكون لنا . فمثلا كتب كاروسا مذكرات عن الحرب ، ولكن كل ما يورده فيها من خطوب الحرب لا يكاد يبدو بين ثنايا القصص ووصف الحوادث اليومية

كذلك كان حال الشعر فى هذه الفترة ؛ ونستطيع أن نمثل لها برتشارد بلنجر أو بفيلكس براون . وقد عيب على هؤلاء أنهم يغرقون فى التعلق بالطبيعة ، بيد أنهم لجأوا فى التعبير الى ذلك البيان الفنى الذى ازدهر جيلا بعد جيل ، وفيهم يشعر الانسان بأثر شعراء المدرسة القديمة مثل جورج ، وهوفانشتال ، وريلكه . ولقد كان لأولئك الشعراء القدماء شىء من لون النبوة ، ولكن الشعراء الجدد تنقصهم الصياغة الفنية وكذلك كل مايدخل فى عالم التصوف أو الدين . وشعرهم صور قصيرة ؛ ولكنهم يجانبون ذلك العى الواضح ، ويبدو فى شعرهم هوى الفن والعناية بصقل العاطفة ، والحرص على صوغ البيان .

وإن هولاء لأنبل من يمثل هذه الفترة . ولكن يوجد الى جانبهم من يمثل الحقيقة ، الخشنة ، فمثلا توجد طائفة من القصصيين مثل برنو فرنك والفريد نويمان ، ترعى قصص المخاطرات والعجائب ، وهؤلاء يهتمون بالوقائع قبل الشكل . بيد أنهم رغم التعلق بالخوارق والمدهشات ، كتاب حقيقة ، لأنهم ليسوا ككتاب القصص « المعبرين » يبحثون عن المدهش فى عالم من الخفاء ، بل يلتزمون جانب الواقع ، ويستمدون المدهش من شغف خالص بالواقع ، ويستخرجون من الواقع قصصهم وغالبا أشخاصهم العنيفة المدهشة

ونستطيع أن نضع بين هؤلاء اميل لدفيج ، فهو يميل الى الخوارق والمدهشات ، ولكنه يصوغها فى أسلوب عادى ، بل أحيانا فى أسلوب ركيك مبتذل .

وينتمى الى هذه الحقيقة الخشنة ، أيضا كتاب قصص الحرب المتأخرين ، الذين نالوا حوالى سنة ١٩٣٠ شهرة عالمية ، ونذكر من هؤلاء رين ، وجليزر ، وريمارك . فان كتبهم انما هى وثائق ولكنها ليست رفيعة من ناحية الفن الأدبى

ويجدر بنا أن نشير أيضا الى كاتب مستقل اللون ولكن يتصل بحركة التعبير ، وهو الفرد ديلن ، وهو طبيب اجتماعى فى برلين ، ففى كتابه المسمى « برلين ميدان اسكندر » يصور وقائع حياة عامل نشأ فى بيئة المدينة على نمط سينمائى ، متأثراً فى ذلك بأسلوب جيمس جويس

— ٧ —

وانا لنصارح القارئ بأن ما أوردناه عن الحياة الادبية الالمانية بعد الحرب لا يكفى الا لشرحها بصوره موجزة جدا . فاذا كانت حركة التعبير قد اضمحلت وعفت بسرعة ، واذا كانت النزعة الجديدة الى الحقيقة برغم ما انتجت من مواهب قليلة لم ترتفع الى اكثر من مستوى متوسط ، فليس علينا أن نعتقد ان الحياة الادبية فى هذه الفترة كانت ضئيلة . ولقد تحدثنا فيما قبل عما وجه من الاهتمام ولا سيما من جانب الطبقات الوسطى الى مسائل هذا العصر الفلسفية والسياسية ، وقلنا ان حركة التعبير لم تصمد لأن مناهجها لم ترق فى عين المفكرين الحقيقيين ، وأنها اتخذت للتعبير عن الازمة الفكرية التى هزت اركان بلاد العالم كلها بلا استثناء ، وهزت الرأى العام الالمانى حتى بعد سنة ١٩٢٤ بما اقترن بها من الضغط السياسى والاقتصادى

ولقد كانت المصائب المادية التى ترتبت على الهزيمة سببا فى أن هذه الأزمة العقلية وقعت فى المانيا قبل ان تقع فى غيرها من امم اواسط اوربا وغربها وفى انها ربما كانت اعم واعمق اثرا . اجل لقد حولت هذه الهزيمة المانيا فى بضعة أشهر من أقوى دولة فى اوربا واحسنها نظاما الى بلد يمزقه الجوع والحرب الاهلية ، وقد بينا ان حركة التعبير انما كانت ثمرة لما وقع بالمانيا من تحطم جميع الملكيات والضمانات وانهيار الطبقات ، وتحطم جميع مثلها الوطيدة ، وهى ريح لم يقف عصفها بالجندى المحارب ، ولكنها شملت جميع السكان قاطبة . كذلك كانت هذه المصائب سببا فى حمل جميع الطبقات خلال هذه الاعوام ، على الاهتمام بالدين والفلسفة والسياسة . ولما ان ثقلت هموم الحياة ، لم يبق للفن سوى القليل ، وهذا هو السر فى كون هذه الصورة التى قدمناها من قبل تبدو ضئيلة عجفاء ، كذلك الحركة العلمية عانت من هذه الظروف ، فقد كانت من قبل تجد فى المانيا تحت تصرفها احسن القوى ، ولكن أولئك الرجال الفوا انفسهم عندئذ يواجهون تلك المسائل الفكرية والسياسية التى لاتدع بعد مجالا للعمل الهادئ المنظم ، وغدا من الضرورى قبل ان يستأنفوا عمل الجيل القديم ويسيروا به أن ينظموا أراءهم العلمية وأن يجربوها من جديد . كذلك تطور كثير عما يتلقاه الطالب فى الجامعة من العلم الوضعى ولم يبق ذا اهمية علمية فقط ، بل غدا أيضا ضروريا لمعالجة المسائل الماسة التى أتى بها الحاضر . صحيح أن الالمانى الفتى كان يهضم العلم كما كان يهضمه من قبل ، ولكن لا ليسير فى البناء بادئ بدء ، بل ليجد لنفسه مكانه الخاص فى ذلك المعترك الفكرى

كانت تقوم فى كل مكان جماعات عاملة تضطرم جميعا بهذه المسائل التى لانهاية لها ؛ واقترنت بقيامها حركة أدبية معينة ؛ كذلك لايكاد يوجد اليوم فى فرنسا أو انكلترا كاتب كبير لم يشترك بكتاب وضع أو أكثر فى معالجة المسائل التى شغلت ذلك العصر . كذلك اشترك جميع الكتاب الالمان الذين ظهروا قبل الحرب بهذه الوسيلة فى معالجة مسائل مابعد الحرب ؛ وكان ذلك نذير التجدد والفتوة . كذلك تحول كثير من هؤلاء الكتاب من روائيين متشككين الى نوع من العطف والاشتراك فى الشعور مع معاصريهم ونذكر بعض هؤلاء ؛ فقد عنى « هرمان هيسه » مثلا بمشكلة الشباب وعنى « يعقوب فاسرمان » بجموح الطبقات الوسطى الجديدة وغطرستها وعنى « اوتوفلاكه » بأزمة الزواج ، وعنيت « ريكاردا هوخ » بشرح صور الاخلاص والتصوف الالمانى بطريقة جديدة . واخرج توماس مان ، القصصى الشهير ماقبل الحرب ، عددا من القصص الصغيرة التى لاموضع للكلام عنها هنا ، وهى فى مستوى إنتاجه قبل الحرب . بيد انه الى جانب ذلك تحدث الى امته حديث المربى ، وقد عرفته من قبل وصافا للأسر الذاهبة والشخصيات الضعيفة . وتحدث بشجاعة ولكن بتحيز دائما عن « ضرورات العصر » مشيرا بذلك الى المسائل الشائكة الخاصة بنظام الدولة والمسائل الخارجية و كذلك معنى النفسية الجديدة ؛ وتحدث بالاخص عن تقاليد الفن والحياة ؛ عن تراث القرن التاسع عشر كله من جيته الى فاجنر ونيتشه ثم الى الروس . وفى سنة ١٩٢٤ ظهرت روايته التهذيبية الكبيرة « جبل الساحر » وهى رواية فى الظاهر فقط ، ولكنها فى الاصل صورة لاوربا فى احوال صحتها ومرضها ونقاهتها ، وضعت فى شكل مناقشة بين جماعة من الشخصيات الاوربية ذهبت بسبب المرض اوغيره الى آكام دافوس (فى سويسرا)

— ٨ —

كذلك اشترك فى هذا الجدل علماء مثل ماكس فيبر وماكس ترلتش . بيد أنه قد اضطلع باعظم قسط من هذا الجدل طائفة من الشخصيات ليست من رجال العلم ولا من رجال الفن ، ولكنهم كفلاسفة مستقلين استخلصوا جميع التقاليد ، وتحدثوا عن طوالع العصر على نحو ما فعل تاين فى فرنسا عقب كارثة سنة ١٨٧٠ . ومن الحيف

أن نصف هؤلاء الرجال بأنهم فنانون أوعلماء ، فقدفسروا العلوم الطبيعية والتاريخية فى عصرهم بطريقة فلسفية سياسية . ومثل هذه الجهود لايمكن أن تخلو من العيب ، فهى تتطلب كثيرا من المعارف الشخصية وقوة التناسق ، والنظر الى الحقائق ومقدرة كبيرة على التنبؤ : بيد أنه اذاكان الشخص المستقل يبالغ فى تقدير كفايته فى هذا الميدان ، فكذلك يجب الا ننسى أن مرحلة التطور لا يمكن أن تحل دون ان تبذل هذه الجهود للتطلع الى كل شىء

ونستطيع أن نذكر ماكس شيلر ، ولدفيج كلاجى ، بين الذين أسسوا فلسفة جديدة فى علم طبائع الانسان

وقد كان كتاب أزوالد شبنجلر «انحلال الغرب» أشد مايمثل هذه الطائفة . وهو كتاب أسوأ مافيه عنوانه . وقد اعتبر مع ما فيه من العيوب أعظم حادث أدبى فى الحركة الأدبية الالمانية بعد الحرب

وفى هذا الكتاب يدرس شبنجلر قوانين النمو والانحلال فى التاريخ ، ويشرح بصفة عامة الاشكال التاريخية باسلوب الدرس المقارن فى العلوم الطبيعية فى أصول الاصطلاحات الخاصة بالنبات والحيوان ، ويتناول فى بحثه كل مايتصل بمصير الانسان وطالعه ، سواء من ناحية الدولة أو من ناحية المجتمع ، وكذامن ناحية الفنون والعلوم الرياضية بنوع خاص . ويعتقد شبنجلر أنه قد استطاع بهذا العرض أن يطلع مواطنيه على المكان الذى يستأنف من التاريخ سيره ، وعلى واجبات العصر الذى سيلى ، ومصاير القرن الآتى . بيدأن شبنجلر لم يكن بالطبع استاذاً فى جميع العلوم التى تناولها بحثه ، ويستطيع الانسان دون جهد أن يحصى عليه الخطأ فى كل خطوة . وقدأنكر العلم والفلسفة كتابه ، ولكنه يعتبر مع ذلك انجيلا لعصره وفيه مزايا لاتنكر . واذا كانت روحه ثقيلة الوطأة ، فأنه فى ذاته مسهل الآراء ، مبسط العلم ، ذو بيان سلس قوى . كذلك يعتبر الكتاب من الناحية المعنوية قوى الحجة ينم عن ابدع الخواص الالمانية . وقلما أنكر على الالمان انهم يعرفون كيف يواجهون القدر المحتوم مواجهة الابطال ، فكتاب شبنجلر ينفس من اوله الى آخره هذا الرضوخ الرفيع الرائع للقدر

والى جانب شبنجلر نجد الكونت كايزرلنج مؤسس اكاديمية الحكمة فى « دارم شتات » وهومحلل قدير لحضارات العالم وادبانه وفى مذكرات سياحاته : وفى دراساته عن امريكا وعن الشعوب الاوربية نجد نوعا من دائرة معارف تتناول كل المسائل التى تهم الالمان بنوع خاص والاوربيين بنوع عام ، منذ ان قربت السياسة الحديثة والاقتصاد الحديث بين تقاليد القارات العظيمة ورسالاتها وهذه الدراسات صورة قوية لكفاح الشباب الالمانى ضد مؤثرات العالم الخارجى . ففى مئات الكتب وفى آلاف الجماعات ، يتجه البحث الى بيان أصل الانسان ، وماله من ماضيه الخاص ، وما كسبه من الامم الأخرى . وقد ظهر أثر هذه البحوث فى المسائل السياسية وكان يشتد كلما تقادم العهد على الحرب ، وذلك فى نفس الوقت الذى تطورت فيه الحركة الادبية من التعبير الى الحقيقة ، وأخذ الاهتمام يتجه من التحليل والمباحث الدينية والمثل الخيالية الى ناحية الماضى القومى والى ناحية الشئون السياسية والعملية

ولايسمح المقام بأن نصف هذه الحركة فى دقائقها ولا أن نتتبعها الى يومنا ، ذلك انا لانستطيع ان نغضى عن العنصر السياسى تمام الاغضاء . فمن الواجب ان نبين مثلا أى قوى غنمتها المثل الخصيمة للديموقراطية ، وكيف ان التقاليد الأدبية ، والتصوف الأدبى الجديد ، مالت الى جانب الاحزاب غير الديموقراطية . وقد كان مما له أهمية سياسية ان الطوائف الحرة ذاتها كانت تتلقى المؤثرات الأدبية الرفيعة القوية التى تهيئها لانشاء مجتمع جديد غير ديموقراطى متدرج فى الطبقات . والى نظم جديدة للدولة .

ولا يسعنا قبل كل شىء أن نغضى عن الاثر الذى خلفه شتيفان جورج ، وهو شاعر كبير ذو مكانة هامة نبغ قبل الحرب ، ولكنه لم يرتفع إلى ذروة التأثير فى الطبقة الرفيعة إلا منذ الحرب ، ولو شئنا أن نصف آثاره المنظورة وغير المنظورة لا قتضى ذلك فصلا بأسره ، وآثاره فنية وأخلاقية وسياسية ، فلنتصور شاعراً مضطرم الشاعرية ذا أسلوب صارم فى نفس الوقت ، كأنه فى دائرة فنه نوع من القسس يعمل بروح القس . أجل لنتصور قساً كأولئك القسس الذين عاشوا منذ أربعة آلاف عام فى مصر ، وكان لهم إلى جانب التأثير الكهنوتى ، أثر سياسى . ولقد لبث أثر شتيفان جورج السياسى خفيا غير منظور . أما أثره الفنى والاخلاقى فيبدو بالعكس منذ عشرة أعوام فى كتب تلاميذه . ونذكر على سبيل التمثيل كتاب جوندولف عن جيته وكتاب برترام عن نيتشة

— ٨ —

ولا يدرك سوى أولئك الذين عاشوا خلال هذه الحركات المتباينة وعملوا معها . كيف أن العصر لم يكن خاملا ولا مندثراً ، وليس من الحق أن نصر على أن العصر كان خلوا من الآثار الأدبية الرفيعة . واذا كان هذا العصر ينقصه التناسق وتنقصه العبقريات الادبية الممتازة ، فذلك يرجع الى أنه عصر جدل شاق بين المثل القديمة والمثل الجديدة . وفى غمار هذا الجدل الذى اشترك فيه كل انسان سر طرافته ، بل وسر عظمته ، وسنرى فى المرحلة المقبلة . اذا كان عصر تعليم وغرس لجنى جديد .

كتبت للرسالة خاصة ، ترجمها ، ع ،

الموسيقى عند العرب

للاستاذ قدرى حافظ طوقان

مقدمة :

قد يعجب البعض وقد يؤدى هذا العجب الى القول : ما علاقة صاحب هذا المقال بالموسيقى ؟ وهل هذا الفن يقع فى دائرة اختصاصه حتى يتمكن من الكتابة فيه ؟ وما هى الفائدة التى ستعود على القراء اذا عرفوا أن للعرب أو للمسلمين فضلا فيه ؟ ولماذا كل هذا الاهتمام بتراث السلف الذين مضوا بخيرهم وشرهم ؟ أما آن الأوان للاهتمام والانعكاف على شىء جديد حاضرا لنفع ممتع ؟ أجوبتى على هذه الأسئلة ستكون بالجملة ! فاجابة على السؤالين الأولين أقول إن الموسيقى هى من بحوث الصوت ، والصوت فرع من فروع علم الطبيعة ، وعلم الطبيعة هذا من العلوم التى نشتغل بها ونهتم بماضيها وحاضرها ، بتطورها ونموها . واما الجواب على الاسئلة الباقية فيمكن أن يتلخص فى أن الأمة التى تريد أن تصل الى ما تصبو اليه من تقدم وسؤدد يجب ان تهتم بماضيها ، وان تربطه بحاضرها ، وان تأخذ من الحضارة الحالية ما فيها من عناصر صالحة وبالقدر الذى يتلاءم ونفسيتها وتقاليدها بحيث لا يضيع شىء من مميزاتها ، وان تضيف هذا الى ما فى حضارتها من عناصر خالدة ، بذلك تستطيع أن تخرج حضارة جديدة تمد سلسلة التاريخ الفكرى للعالم ، وبذلك تكون قد قامت بواجبها نحو تاريخها وتراثها ونحو المدنية والبشرية

نبذة فى أطوار الموسيقى

الموسيقى من الفنون الجميلة ومن أهم العوامل التى تترجم عن نفسية الامة وطباعها ، وهذا الفن طبيعى فى البشر ، فالانسان يرغب فى الموسيقى يطرب منها وترتاح نفسه لها ، وهى لغة العواطف ، وقد تكون هى الوحيدة من بين الفنون التى يطرب لها الحيوان . هذا الميل الغريزى فى الانسان دفعه الى الاعتناء بها فاهتم لها المصريون من قديم الزمن وبلغوا فيها شأوا بعيداً ، وابدع فيها اليونانيون وأحلوها محلها من الاعتناء والاهتمام ، وكذلك الرومان فانهم اعتنوا بها فاخذوها عن اليونان وزادوا عليها : وفى الشرق اهتم لها الصينيون واليابانيون وبرعوا فيها واخترعوا آلات كثيرة من ذوات الاوتار ، وظهر منهم من انتقد الموسيقى الاوروبية ، هذا فى الشرق الاقصى ، اما الفرس فاحتقروها فى بادىء الامر وترفع اعيانهم عن تعاطيها ، ولكن لم يلبث هذا الاحتقار وهذا الترفع ان حل محلهما العناية والاعتبار ، فالفوا انغاما بديعة التوقيع واخذ عنهم العرب كثيراً ، يدلنا على ذلك تسمية الالحان العربية باسماء فارسية كما أخذوا ايضاً عن البيزنطيين ، وهؤلاء (البيزنطيون) واهل فارس بدورهم أخذوا عن الموسيقى العربية . ولم يكتف العرب بذلك بل ترجموا كتب الموسيقى لليونان والهند ودرسوها ، وبعد أن نقحوها هى وغيرها زادوا عليها ، فالفوا فى ذلك المؤلفات القيمة ، وجمعوا بين الحانهم والحان اليونان والفرس والهنود ، واستنبطوا الحانا جديدة لم تكن معروفة فضلا عما اخترعوه من الآلات . ولا يظنن القارىء أن فى وسعى أن اسرد تفصيلا تاريخ الموسيقى العربية والادوار التى مرت عليها فهذا ما لا طاقة لى به ، وساعمل جهدى فى هذا المقال ان أعطى فكرة بسيطة عن الموسيقى العربية من حيث قواعد انغامها وترتيب الحانها ومن حيث وزنها الموسيقى وآلاتها القديمة والكتب المؤلفة فيها . . . .

الانغام والالحان والوزن الموسيقى :

إن كلمة موسيقى ماخوذة عن اليونانية ، ومعناها تأليف الالحان ، والموسيقى ، علم يعلم به النغم والايقاع واحوالها وكيفية تأليف اللحون وايجاد الآلات الموسيقية (١)

إن الاصوات الموسيقية درجات او ابراج متتابعة ، الواحدة فوق الاخرى الى عدد غير متناه ، والابراج الاصلية عند العرب تبتدىء باليكاه ، فعشيران ، فعراق ، فرست ، فدوكاه ، فسيكار ، فجهاركاه ، ويقال لها ديوان ، وفوق هذا الديوان ديوان آخر له ابراج النوى ؛ فالحسينى ، فالاوج ، فالماهور ، فالحير ، فالبزرق ، فالماهوران ، وما ارتفع عن ذلك فهو جواب لما يقابله فى الديوان الذى تحته وهكذا .

وبين هذه الابراج فسحات يختلف بعضها عن بعض فى الكبر ؛ وقد قسمها العرب الى كبيرة ، وتتالف من أربعة ارباع ، وصغيرة مؤلفة من ثلاثة ارباع ، ويحتوى الديوان على اربعة وعشرين ربعاً ، وتختلف الالحان العربية واختلافها يرجع لأسباب ، منها طبقة النغم واختلاف الايقاع وتعويض الابراج وتضعيف الالحان ، وبعض هذه يحتاج الى قليل من الشرح ، فطبقة النغم هى الانتقال فى سلم برج من الابراج صعوداً

(١) الانصاري ـ ارشاد القاصد ـ ص ١٢٧

ونزولا مع حفظ المساحات التي يتغير النغم بتغيرها ، وتعويض الابراج هي تعويض بالابراج بارباع ، وتضعيف الالحان هو الايقاع على برج يكون جواباً لما تحته ، والصعود والنزول على سلمه بحيث يبقى الجواب طبقة للنغم ، ولهذا يتضاعف الصوت . وكان للعرب عشرة انغام يبتدىء كل منها على برج من أبراج الديوان فتفرع منه أنغام فرعية ، هذا من جهة الانغام والالحان ، وأما من جهة الوزن الموسيقى فاكتفي بالقطعة الآتية ، وقد اخذتها من المجلد التاسع عشر من مجلة المقتطف . « الوزن الموسيقى هو مجموع ضربات منفصلات بعضها عن بعض باوقات محدودة في القياس ، وطبقاً للنسبة والمكان فيمكن الانسان أن يوقع مقطعين بسيطين بضربتين فقط ، لكن الوقت يختلف بين أجزائها فرادفة المقاطع تكون اما متساوية أو غير متساوية ، فالمتساوية هي مراجعة الضربات بطريقة لانشعر بها مراجعة الأوتار بشرط أن يطول الوقت عند نهاية كل مجموع من الضربات أكثر من غيره ، فلو حدث اختلاف بين المجموعات ولو بضربة واحدة شذ القياس وفسدت المساواة ، ومجموع الضربات المتساوية الاوقات يسمى الوزن المجموع ، وغير المتساوية المقسوم . واذا قصر الوقت بين الضربات المتساوية حتى لا يمكن قسمتها بعد ذلك يسميها الفارابي (الهزج السريع) ، واذا تضاعف الوقت بين الضربات يسميه (الهزج الخفيف) ، او كان ثلاثة أضعاف (فالهزج الثقيل الخفيف) وهو يقابل الوتد المجموع ، أو أربعة أضعاف ، (فالهزج الثقيل) وما زاد على ذلك من الاوقات فنضع له الاسماء التي نختارها بشرط ان تختص بالوزن المجموع . وهذا كله يقابل تقسيم الاوقات في الموسيقى الافرنجية . . . »

العرب عمليون

وقد طبق العرب مبادىء علم الطبيعة على الموسيقى ، وكانوا دائماً في نظرياتهم الموسيقية عمليين ، فلا يقبلون نظرية الا بعد التثبت منها عملياً ، ويعترف فارمر (Farmer) أن علماء العرب لم يأخذوا بآراء الذين سبقوهم (حتى ولو كان نجم السابقين مضيئاً وعالياً) الا بعد أن يتثبتوا منها عملياً ، والمعترف به عند علماء الفرنجة أن ابن سينا والفارابي وغيرهما من علماء المسلمين زادوا على الموسيقى اليونانية وادخلوا عليها تحسينات جمة ، وان كتاب الفارابي لا يقل عن (ان لم يفق) ، الكتب اليونانية الموسيقية . وثبت أن العرب أجادوا في بحوث التموجات الكرية للصوت .

وفوق ذلك فقد زاد زرياب « وتراً خامساً بالاندلس وكان للعود أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الأربع فزاد عليها وتراً خامسا أحمر متوسطا ، ولون الاوتار وطبقها على الطبائع (١) وهو الذي اخترع مضراب العود من قوادم النسر فكانوا قبله يضربون بالخشب .

الآلات الموسيقية :

لانستطيع أن نسرد كل الآلات الموسيقية التي كانت معروفة عند العرب ، ولهذا نذكر أهمها ، ولكن قبل ذلك نود أن نلفت النظر الى أن العرب اعتنوا بصناعة آلات الموسيقى ، وكانوا ينظرون لهذه الصناعة نظرهم الى الفن الجميل ، وقد كتبت عدة رسائل في ذلك واشتهرت مدينة أشبيلية بها . وقد جمع المسلمون آلات غناء كثير من الامم كالفرس والانباط والروم والهند واستخرجوا من ذلك آلات تلائم أذواقهم وميولهم ، اضف الى ذلك ما أضافوه واخترعوه من شتى الآلات ، فمن الآلات التي كانت معروفة عندهم : الارغانون ، والبزق ، والطبلة ، والدف ، والشلياق ، والقيثارة ، والطنبور والعنق والرباب والمعزفة والشهروذ (وقد اخترع الاخيرة حكيم بن أحوص السفدى ببغداد) والعود ، وله خمسة أوتار أعلاها البم والثاني المثلث والثالث المثنى والرابع الزير والخامس الحد ، وتترتب هذه الاوتار بصورة مخصوصة بحيث يعادل كل وتر ثلاثة أرباع ما فوقه ، والمسافة التي بينهما تعدل ربعاً ، ويقال ان الفارابي اخترع الآلة المعروفة بالقانون ، فهو اول من ركبها هذا التركيب ، ولا تزال عليه الى الآن ، وهو الذي اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها وتختلف انغامها باختلاف تركيبها ، يحكى انه كان مرة في مجلس سيف الدولة فسأله هل تحسن صنعة الغناء ؟ فقال نعم « ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها واخرج منها عيداناً وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ، ثم فكها وركبها تركيباً آخر ثم ضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس ، ثم فكها وغير تركيبها وضرب عليها ضربا آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج . . . » (٢) . واصطنع الزلام آلة

(١) ابن خلكان — وفيات الاعيان — ج ٢ ص ٧٧

(٢) ابن خلكان — وفيات الاعيان — ج ٢ ص ٧٧

. موسيقية من الخشب تعرف بالناى او المزمار الزلامى ، وأدخل زلزل عود الشبوط كما ادخل الحكم الثانى تحسيناً على تركيب البوق

كتب العرب فى الموسيقى

للعرب مؤلفات قيمة فى الموسيقى بلغ بعضها الذروة ، وكانت (ولا تزال) من المصادر المعتبرة جدا فى تاريخ الموسيقى وتطورها ، وقد يكون كتاب مروج الذهب للمسعودى وكتاب الأغانى للاصفهانى من أكثر الكتب بحثا وكتابة فى اشتغال المسلمين والعرب فى الموسيقى ، وفى أشهر موسيقيهم وما يتصل بهؤلاء من طريف الحوادث ولذيذ الاخبار . ويرجح أن الكندى أول من كتب فى نظرية الموسيقى ، وكتبه فيها هى : الرسالة الكبرى فى التأليف ، كتاب ترتيب الأنغام ، كتاب المدخل الى الموسيقى ، رسالة فى الأيقاع ، رسالة فى الاخبار عن صناعة الموسيقى . وكتب فى ذلك أيضا منصور ابن طلحة بن ظاهر والرازى وقسطا بن لوقا البعلبكى والسرخسى ، وللاخير كتاب الموسيقى الكبير ، وكتاب الموسيقى الصغير ، وكتاب المدخل الى علم الموسيقى ، وللفارابى كتاب الايقاعات ، وكتاب آخر اسمه كتاب الموسيقى ، وهو من أشهر الكتب ، ويقول عنه سارطون « إنه أهم كتاب ظهر فى الشرق يبحث فى نظرية الموسيقى » ولثابت بن قرة رسالة فى فن النغم ، ولأبى الوفاء مختصر فى فن الايقاع ، وابدع ابن سيناء فى الكتابة عن الموسيقى وله فيها مؤلفات منها : الفن الثامن من كتاب الشفاء ، وهو الموسيقى ، وفيه ست مقالات ولكل منها فصول ، والفن الثالث من الجملة الثالثة من كتاب الشفاء ، وكتاب الموسيقى . وهذا الكتاب يدور على مواضيع الاصوات والابعاد والاجناس والجموع والايقاع والانتقال والصنج والشاهرورد والطنبور والمزمار ودساتين البربط وتأليف الالحان . وللشيخ شمس الدين الصيداوى كتاب فى الموسيقى تستخرج منه الانغام ، اكثره شعر ، وفيه كلام على بحور الشعر والاوزان ودوائر البحور ، ولصفى الدين عبد المؤمن البغدادى كتاب الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية ، وهو مقسوم الى مقالات وفصول . ولصفى الدين الأموى كتاب الادوار فى الموسيقى وينقسم الى خمسة عشر فصلا ، وفيه صورة عود وصورة آلة قائمة الزوايا تسمى نزهة ، واشتهر هذا الكتاب كثيراً وبقى قروناً كثيرة المعين الذى استقى منه المؤلفون فى الموسيقى . ولمحمد بن محمد بن احمد الذهبى الجزرى ابن الصباح شرح على كتاب فى علم الموسيقى ومعرفة الانغام ، وكذلك لابن زيلا وابن الهيثم وابى الصلت أمية ، والنقاش والباهلى وابى المجد وعلم الدين قيصر ونصير الدين الطوسي مؤلفات قيمة ، بعضها عديم المثال . وظهر فى الاندلس عدد لا يستهان به ممن كتبوا فى الموسيقى وأجادوا فى ذلك إجادة أوصلت هذا الفن إلى درجة عالية ، فمن الذين اشتغلوا وكتبوا فيها : ابن فرناس والمجريطى والكرمانى وابو الفضل ومحمد بن الحداد وابن رشد وابن السبعين والرقواطى وغيرهم ، وأنشأ صفى الدين عبد المؤمن الأموى مدرسة لتعليم الموسيقى وتخرج منها عدد غير قليل من العلماء الذين استطاعوا ان يتقدموا خطوات بعلم الموسيقى ، اشتهر منهم شمس الدين بن مرحوم ومحمد بن عيسى ابن كرا ، وهناك كتب عديدة لم يذكر فيها اسم مؤلفيها ككتاب الميزان وعلم الادوار والاوزان وهو مبنى على كتاب الادوار المار ذكره ومقسوم الى ستة ابواب فى ماهية الموسيقى وماهية النغم المطلق والاوتار والمواجب ومعرفة الشدود والاوزان واسماء الدساتين والأيقاع . وفى كتاب رسائل اخوان الصفا بحث فى الموسيقى موجود فى الرسالة الخامسة من القسم الرياضى ، وهذه الرسالة مقسمة الى أربعة عشر باباً وهى تبدأ بصفحة ١٣٢ وتنتهى بصفحة ١٨٠ ، ومن يرغب فى الاطلاع على ما كتب فى كل باب فليرجع الى الكتاب المذكور ففيه تفصيل وكفاية ، واذا اردنا أن نعدد الذين نبغوا فى فن الموسيقى وكتبوا فيه حتى القرن الرابع عشر للميلاد يطول بنا المطال وقد يخرج مقالنا هذا عن القصد .

نابلس — قدرى حافظ طوقان

فرصة لمحبى الثقافة الحديثة

اشتراك سنة ونصف

بقيمة اشتراك سنة واحدة

قررت ادارة المجلة الجديدة لصاحبها ومحررها سلامه موسى مد هذه الفرصة الى ١٥ مايو فى مصر والسودان والى اول يونيه فى الخارج خدمة للقراء . والاشتراك ٤٠ قرشا فى مصر والسودان و١٢ شلنا خارجهما . ارسل الاشتراك فنبعث لك بأعداد السنة الماضية والاثنى عشر عددا القادمة وثلاثة كتب هدية

الادارة : المجلة الجديدة ١٢ شارع نوبار بمصر (مكتب بريد الدواوين)

العلوم

ويسألونك عن الأهلة

للدكتور احمد زكى

الأهلة مواقيت :

كذلك ارتآها العرب ، وكذلك ارتآها الأقوام من قبل ومن بعد . دارت الأرض فاختلف الليل والنهار ، وانتظم دورانها فثبت يومها فكان وحدة الزمن الطبيعية الأولى . ودار القمر حول الأرض نصغر فى ظلمات الليالى مرآه حتى انعدم ، وكبر حتى استكمل فاستدار ، وعرف الناس ثباته على ذلك ، وثبات ما يمضى بين انعدامة وانعدامة ، أو استدارة واستدارة ، فاتخذوا من ذلك وحدة زمنهم الطبيعية الثانية فأسموها شهرا . ثم طلعت الشمس عليهم من المشرق ، وأخذ يشمل مطلعها حتى بلغ الغاية فى الاشمال ، ثم أخذ يجنب حتى بلغ الغاية فى الاجناب ، واختلفت بذلك الفصول فاحترت حتى بلغت غاية الحر ، ثم ابردت حتى بلغت غاية البرد ، ودام هذا الاختلاف وثبت وانتظم ، فوجد الناس فيه وحدة زمنهم الطبيعية الثالثة الكبرى فأسموها العام

وكان لابد لوحدات القياس ان تتناسب ، وكان لا بد أن تقسم بعضها بعضا ، وان تنقسم بعضها ببعض ، فلما تلمسوا ذلك عند اليوم والشهر والعام ، وجدوها لا تتقسم انقساما صحيحا ، وحاولوا التأليف بينها فاستطاعوه بين اليوم والعام بالبسط والكبس ، فكانت السنة البسيطة ، وكانت السنة الكبيسة ، واستعصى عليهم تاليف مابين الشهر والعام ، مابين القمر والشمس ، فانفردا كل بتقويم ، فكان التقويم القمرى ، وكان التقويم الشمسى ، وتنافس التقويمان ، وكانت الشمس أصل الحياة فاتفق تقويمها وحوائج العيش فشاع وذاع ، واستقر التقويم القمرى حيث كان لا بد أن يستقر ، فكان لتوقيت الصوم والحج وصنوف العبادات

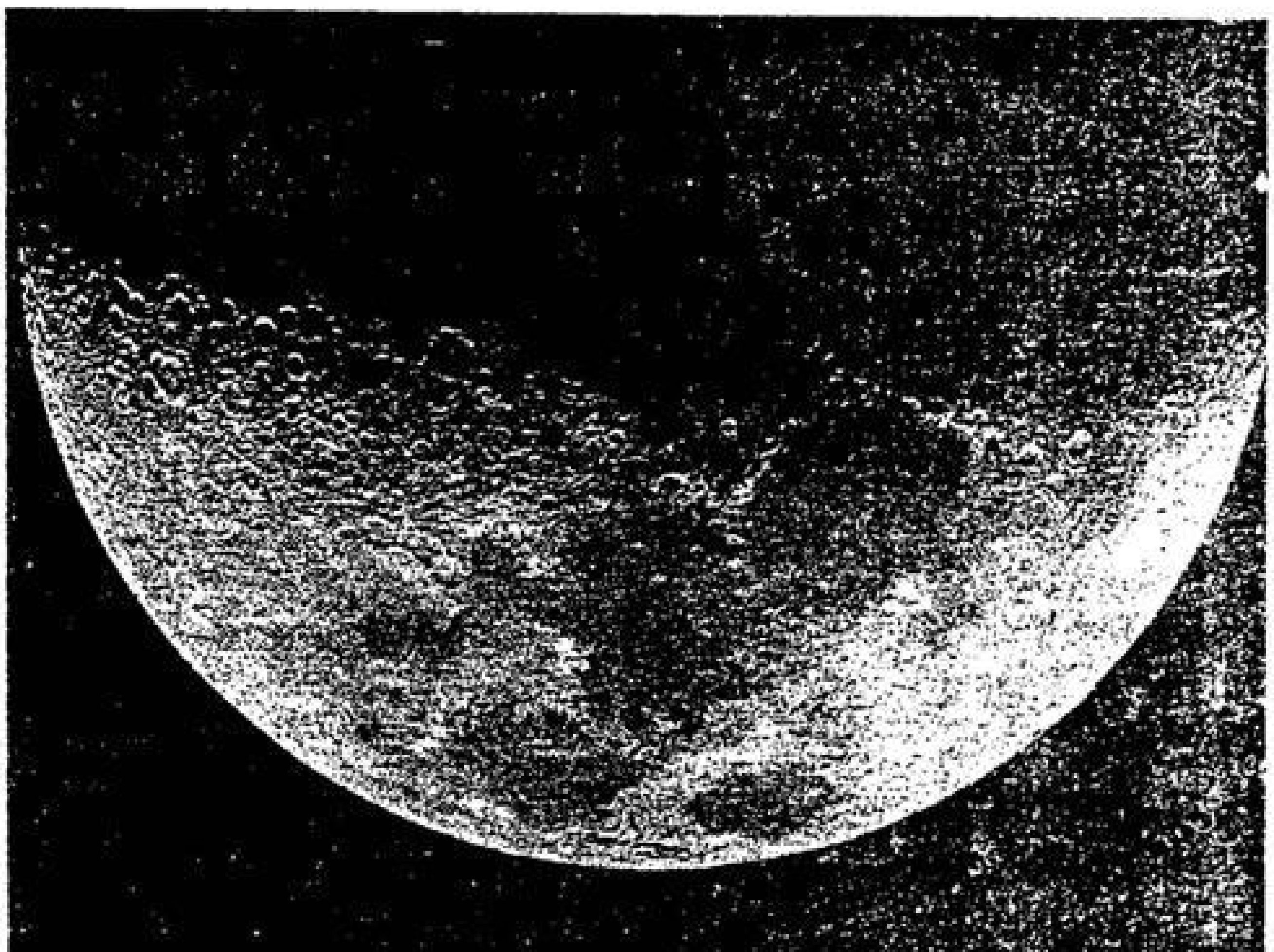

صورة الهلال مأخوذة من مرصد باريس

وبالرغم من أن التقويم الشمسى يعتمد على اليوم والعام فحسب ، فانه لم يستطع ان يغفل الوحدة الثانية المتوسطة التى خلقها القمر ، أعنى الشهر ، أرغمه عليها ألفة الناس لها وحاجتهم الى وحدة تقع من حيث طولها بين اليوم القصير والعام الطويل .

كذلك خلّف القمر فى لغات الأمم أثرا من معنى ما استُخدم فيه من قياس الزمن . فقد أسماه الانجليز (مون Moon) واسماه الارلنديون (ماى Mi) والألمان (مُند Mund) والغوطيون (مينا Mena) والاغريق (مينى Mene) والهنود القدماء (ماس Mas) ؛ واسم الشهر فى الانجليزية (منث Month) وفى الألمانية (مونات Monat) وفى الفرنسية (موا Mois) وفى الغوطية (مينوبس Menops) وفى اللاتينية (منسيس Mensis) وفى الاغريقية (مين Men) وفى الهندية القديمة (ماس .Mas) فبين اسم القمر واسم الشهر فى اللغات تطابق تام أو تشابه كبير . ويظهر ان هذه الاسماء جميعها مشتقة من اللغة الهندية « ما » ومعناها «يقيس» وذلك ان القمر به يقاس الزمن ، من هذه اللفظة نفسها لاشك يرجع اشتقاق الكلمات الافرنجية التى معناها « مقاس » وهى بالانجليزية Measure وبالفرنسية Mesure وبالألمانية Mass وباللاتينية Mensura وبالاغريقية Metron . ومن اللفظة الأخيرة « المتر » المعروف

دوران القمر :

ومن المشهور المعروف ان القمر يدور حول الارض ، فاذا هو وقع بينها وبين الشمس ، أضاءت الشمس منه النصف الذى يليها ، فأظلم بذلك النصف الذى يلى الأرض فلا يرى الانسان من القمر شيئا ، وهذا هو المحاق أو أول الشهر . ثم يسير القمر سيرته ، فاذا بلغ الموضع المقابل للوضع الأول توسطت الأرض بينه وبين الشمس او كادت ، وعندئذ تضىء الشمس منه النصف الذى تراه الارض ، فيظهر لنا كأن القمر كله يضىء وما هو بذلك ، وهذا بدر التمام . وبين المحاق والتمام ينزل القمر منازل بين هذين، فيها تضىء الشمس منه أنصافا لاترى الارض منها الا أبعاضا هى الأهلّة ، فأذا زاد هذا البعض على نصف دائرة قارب البدر التمام فارتأته العين منقوصا قليلا . ويسير البدر من التمام الى المحاق فتتكرر الظواهر السالفة معكوسة ، وبذا يتم الشهر

وفى الأهلة يرى الأنسان الجزء المعتم من القمر كأن نورا ضعيفا ينيره ، وذلك ان الأرض تعكس ضوء الشمس الى القمر كما يعكس القمر ضوءها الى الأرض ، فلو أن للقمر أهلا يسكنونه لأسموا أرضنا هذه قمرا ، الا أنه أقمر وأسطع كثيرا من قمرهم ، فقد يبلغ المعكوس منا اليهم خمسين ضعفا

والارض تدور حول الشمس فى مستو ، والقمر يدور حول الأرض فى مستو غيره ، اذ لو دار الثلاثة فى مستو واحد لانكسفت الشمس فى كلّ محاق ، وانخسف القمر لكل تمام . ويميل المستوى الذى يدور فيه القمر عن المستوى الذى تدور فيه الأرض بنحو خمس درجات

ومن يرقب الأهلّة يعلم ان قرنى الهلال لا يستويان على الأغلب . قال ابن المعتز

انظر اليه كزورق من فضة   قد أثقلته حمولة من عنبر

فالهلال على الأكثر زورق مائل ، تارة يميل بصدره الى الشمال ، وتارة يميل بعجزُه الى الجنوب ، وهو فى هذا كله يتبع الشمس ويداورها ، فنوره من نورها ، وهما قل أن يغربا من الأفق فى مكان واحد ، فاذا هما فعلا أو قاربا ذلك ، وقعت الشمس عند غروبها فى أسفل الهلال تماما فاستقام الزورق . ثم يجرى الدوران باختلاف المغربين فيعود الزورق فيمتلىء عنبرا ثقيلا

والقمر يتم دورته حول الأرض فى ٣٢ , ٢٧ يوما ، وهذا شهره الحقيقى ، ولكن أهل الارض لا يرضون منه ذلك ، فالشهر عندهم هو مابين المحاق والمحاق ، والقمر بعد جريانه ٣٢ , ٢٧ يوما واستتمام دورته يجد أن الارض خدعته عن بلوغ المحاق ، لأنها أيضا تسير فيختلف موضعها من الشمس ، فلكى يتوسط القمر بينهما لابد للتعب المجهود أن يسير ٢,٢١ يوما فيبلغ المحاق ، وبذلك يكون الشهر ٥٣ , ٢٩

والقمر يدور حول نفسه ، فكان المرجو من ذلك أن نرى كل جوانبه ، ولكن الواقع غير هذا ، فانا لا نرى منه غير جانب واحد ، نرى وجهه ولا نرى قفاه ، وذلك أن

القصور الذاتى

للدكتور على مصطفى مشرفة

من صفات المادة الملازمة لها والتى تكاد تكون دليلا عليها مايسمى ، القصور الذاتى ، وهو نوع من الجمود أو الخمول ، به تقصر المادة بذاتها وبدون مؤثر خارجى عن ان تأتى حراكا ، ونحن نحس بوجود هذا الجمود إذا حاولنا تحريك جرم من الاجرام - ككتلة من الحجر مثلا - فأننا نشعر بمقاومة كأنما المادة تأبى علينا مجهودنا وتريد أن تترك وشأنها.

وربما بدا لأول وهلة أن المادة إنما تميل بطبعها إلى السكون وتجنح إليه وتؤثره على الحركة ، ولكن قليلا من الخبرة يدلنا على أن المادة المتحركة تقاوم كل محاولة لايقافها كما تقاوم المادة الساكنة كل محاولة لتحريكها . فاذا شك أحد القراء الكرام فى كلامى هذا فما عليه إلا أن يتحقق من صحته بنفسه ، بأن يتعرض لجسم متحرك كحجر منطلق فى الهواء مثلا - محاولا إيقافه أو تغيير أتجاه سيره ، ونصيحتى فى هذه الحال ان يختار جسما صغيرا ذا سرعة ضئيلة وإلا عظمت التضحية فى سبيل العلم

فالقصور الذاتى هو قصور عن السكون إذا كان الجسم متحركا ، كما أنه قصور عن الحركة اذا كان الجسم ساكنا ، وفى الواقع هو قصور عن التغير وميل إلى بقاء الحال على ماهو عليه ، فهو إذن نوع من المحافظة . ولنا أن نعكس هذا التشبيه فنقول إن المحافظة هى نوع من القصور الذاتى أو الجمود . فالخطيب المصقع الذى ينادى أن حافظوا على عاداتكم الموروثة وتمسكوا بتقاليدكم وتقاليد آبائكم ربما كان لا يعبر عن أكثر من القصور الذاتى لمجموعته العصبية !

وعلى قدر عظم كمية المادة يكون قصورها . فالكتلة الكبيرة من الحديد مثلا أعظم قصورا من الكتلة الصغيرة منه ، وبالعكس ، ولذلك أتخذ القصور الذاتى دليلا على مقدار الكتلة ومقياسا له .

وقد كان يظن حتى أواسط القرن الماضى ان القصور الذاتى خاصية من خواص المادة وحدها تتميز بها عن سواها ، إلا أنه وجد أن الضوء يشاركها هذه الخاصية . فالضوء إذا اعترضه حائل فى طريقه دفعه وضغط عليه كما تفعل المادة المتحركة ، ويبلغ ضغط الضوء العادى للشمس نهارا على سطح الأرض نحو ثقل نصف كيلو جرام عن كل كيلومتر مربع ، أو نحو ثقل نصف مليجرام عن كل متر مربع . وشأن الضوء فى ذلك شأن سائر الاشعة الأخرى كالاشعة الحرارية والاشعة التى تلى البنفسجية وما إليها ، وكلما زادت شدة الضوء وكذلك كلما قصرت موجته زاد قصوره الذاتى ، وبالتالى زاد ضغطه على السطوح التى تعترضه فى سبيله .

وكما أن للمادة قصوراً ذاتيا به تحاول المحافظة على حالتها من حركة أو سكون ، كذلك لها قصور ذاتى به تحاول المحافظة على حالتها الكهربائية وتقاوم كل تغيير فى هذه الحالة . فالجهاز الكهربائى الذى نستخدمه فى التقاط أمواج الراديو مثلا له هذا القصور الكهربائى ، وهو خاصية أساسية فيه عليها تتوقف قابليته للاهتزاز الكهربائى تحت تأثير الهزات الاثيرية ، كما تهتز الأرجوحة تحت تأثير هزات الصبى لها .

بل إن الفضاء العارى عن المادة له صفة القصور الذاتى ، بها يقاوم كل تغيير فى حالته الكهربائية ، وعلى وجود هذه الصفة يتوقف إمكان انتقال الامواج الكهربائية فيه .

فليس بغريب إذن أن يظهر القصور الذاتى فى الانسان : فى حركاته الجسدية وفى صفاته الذهنية . فالقصور هو نوع من الصابورة به تكتسب سفينة الوجود الاستقرار وحسن الاتزان ، وهو فى الوقت ذاته عبء على كاهل الطبيعة يعوقها عن الحركة المطلقة ويجنح بها إلى الجمود .

على مصطفى مشرفة

القمر يدور حولنا ويدور كذلك حول نفسه ، حول محوره ، ويستغرق فى الدورتين زمنا واحدا ، فهو يدور حول الأرض مرة واحدة فى الشهر ، ويدور حول نفسه مرة واحدة فى الشهر كذلك ، فنحن دائما نرى منه وجها واحدا . نعم قد يتــذبذب القمر فى دورانه فيرينا أذنه اليمنى ، ثم يرينا أذنه اليسرى ، وقد يطرق فيرينا شيئا من أم رأسه ، وقد يرفع رأسه فيبين عن أدنى لحيته ، وهو فى كل هذا لا يُظهر غير ستة أعشار سطحه ، أما اربعة الاعشار الباقية فقد شاء القدر أن لا تراها عين انسان . وسترى فى العدد القادم ماذا فى القمر نفسه من أشياء ؟

احمد زكى

التجارب العلمية عند المسلمين

نكاد أن نصور لانفسنا صورة كاملة لمعظم النواحي الفكرية من المدنية الاسلامية ، ولكن الناحية العلمية المحضة مجهولة بالنسبة لسائر تلك النواحي ، فقل من أقدم على إثارة ابحاثها والغوص الى أعماقها ، وذلك لقلة ما بين أيدينا من الآثار فى هذه الناحية بل لفقدانها ، فلم يصل الينا من هذه الآثار الا أسماؤها وما تغنى الاسماء عنا شيئا ! نعم يمكننا أن نستدل بهذه الأسماء — التى كثيرا ما نجدها فى أمثال كتاب طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة وتاريخ الحكماء للقفطى وغيرهما — على ما عالجوه فى تلك العصور من المواضيع العلمية فى الطبيعيات والرياضيات وما يلحق بهما .

على انه اذا كان لدينا شىء من هذه الآثار فأنى نجد من يستطيع ان يقدم على معالجة هذه المواضيع والناس على شطرين ، فأما مثقفون ثقافة عربية حديثة يملون وينفرون من النظر فى أشباه تلك الكتب « الصفراء » كما يسمونها لقلة عنايتهم بها واستبعادهم حصول الفائدة من مثلها لانها « قديمة » ولانها « شرقيـــة » ، وإما مثقفون ثقافة شرقية قديمة وهم بعيد وعهد عن النظر فى المواضيع العلمية الخالصة ، ولا نكاد تجد منهم من يقدر على فهمها واعطائها حقها من العناية . فما أحوجنا الى أولئك الذين سماهم الأستاذ احمد امين الحلقة المفقودة ، أعنى الذين يجمعون بين الثقافتين الشرقية والغربية ويؤلفون مزيجا من الحضارتين القديمة والحديثة

قد كان الناس الى عهد غير بعيد ، ولا يزال بعضهم على ذلك ، يعتقدون ان العلم بمعناه الحديث واساليبه الحاضرة من حيث استناده على الحس والمشاهدة والتجربة والاستنباط هو من مولدات هذه العصور ومن مميزات المدنية الحديثة ، ولكننا اذا تتبعنا الحركة العلمية فى المدنية الاسلامية وجدنا فيها ما يملأ النفس إعجاباً واكباراً بأولئك العلماء الذين كانوا مثلا أعلى للنشاط العلمى بجميع معانيه . فلقد كانت الفكرة العلمية نامية لديهم وبالغة من التجريد والتعميم درجة غير قليلة ، فكانوا يقولون كما يظهر من آثارهم بالقوانين الطبيعية وبشمولها واطرادها ويسلكون فى استنباطها واستخراجها الطرق المعروفة اليوم والتى تستند الى المشاهدة والتجربة ، وليس استعمال التجارب أداة للتحقيق العلمى مقصورا على العصور الحديثة ، فالمدنية الاسلامية كانت مجلية فى هذا الميدان ، فلم يقصر علماؤها كبنى شاكر محمد واحمد والحسن ، وابى الريحان البيرونى وغيرهم فى القيام بالتجارب العلمية الكثيرة وتقليبها على وجوهها ، ولم تعوز تجاربهم تلك دقة الملاحظة لشروط الحادث الطبيعى وظروفه والعوامل المؤثرة فى تغييرة ولم يفتهم إحكام القياس وجودة الاستنباط .

وهانذا ناقل تجربة لأبى الريحان البيرونى(١) فى رسوب الاجسام وطفوها على وجه الماء ، تلك التجربة المؤدية الى فكرة كثافة الاجسام وهى تطبيق للقانون المشهور الآن باسم قانون أرخميدس ، والتجربة بعينها يجرونها اليوم فى مخابر التعليم من غير تغيير يذكر .

ولعل القارىء يعجب اذا قلت له أن هـذه التجربة بجدها مذكورة فى أحد كتب التوحيد وهو شرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى ، ولكن سرعان ما يزول بعض تعجبه اذا عرف أن كتب التوحيد كانت مبنية على الفلسفة ، والفلسفة بمفهومها القديم تشمل جميع أنواع العلوم ، فكانوا يقسمونها الى ثلاثة اقسام ، الفلسفة الدنيا وهى الطبيعيات ، والفلسفة الوسطى وهى الرياضيات ، والفلسفة العليا وهى الالهيات ، فمباحث التوحيد مؤسسة على هذه الاقسام الثلاثة للفلسفة ، ولهذا فان كثيراً من الابحاث الطبيعية منبثة فى كتب التوحيد ، وموضوع هذه التجربة من جملة تلك المباحث المشردة فى تضاعيف تلك الكتب

قال التفتازانى فى آخر الجزء الاول من كتابه المذكور : « .. وبحسب تفاوتها — يعنى الاجسام — فى الخفة والثقل .. (٢) تتفاوت فيما يتبع ذلك من الحجم والحيز والطفو على الماء والرسوب فيه ، ومن اختلاف أوزانها فى الماء بعد التساوى فى الهواء ، مثلا : حجم الاخف (أى الاقل كثافة) يكون أعظم من حجم الاثقل (أى الاكثف) مع التساوى فى الوزن كمئة مثقال من الفضة ومئة مثقال من الذهب ، (والفضة كما نعلم أقل كثافة من الذهب ، فحجم مئة مثقال منها أعظم من حجم مئة مثقال من الذهب) . » واذا كان فى احدى كفتى الميزان مئة مثقال من الحجر وفى الاخرى مئة مثقال من الذهب أو الفضة أو غيرهما من الاجسام التى جوهرها أثقل من جوهر الحجر (أى أكثف منه) فلا محالة يقوم الميزان مستويا فى الهواء ، واذا أرسلنا الكفتين فى الماء لم يبق الاستواء ، بل يميل العمود

---

(١) راجع ترجمته فى العدد الرابع من الرسالة

(٢) يريد بذلك الكثافة densité

الى جانب الجوهر الاثقل ، وكلما كان من جوهر أثقل (أى أكثف) كان الميل أكثر ، ويفتقر الاستواء الى زيادة فى الحجر حسب زيادة الثقل مع أن وزن الجوهر ليس الا مئة مثقال مثلا . » وقد حاول أبو ريحان تعيين مقدار تفاوت مابين الفلزات وبعض الاحجار فى الحجم وفى الخفة والثقل بان عمل اناء على شكل الطبرزد(١) مركبا على عنقه شبه ميزاب منحن كما يكون حال الاباريق وملاه ماء وأرسل فيه مئة مثقال من الذهب مثلا وجعل تحت رأس الميزاب كفة الميزان الذى يريد به معرفة مقدار الماء الذى يخرج من الاناء ، وهكذا كل من الفلزات والاحجار بعدما بالغ فى تنقية الفلزات من الغش وفى تصفية الماء ، وكان ذلك من ماء جيحون فى خوارزم فى فصل الخريف ، ولا شك أن الحكم يختلف باختلاف المياه واختلاف أحوالها بحسب البلدان والفصول ، لحصل معرفة مقدار الماء الذى يخرج من الاناء بمئة مثقال من كل من الفلزات والاحجار (أى بوضع مئة مثقال من كل منها فى الماء) وعرف بذلك مقدار تفاوتها فى الحجم (أى حينما تتساوى فى الوزن ، وذلك بمعرفة تفاوت ما يخرج من الماء بوضع كل مئة مثقال منها فى الماء) ، والثقل (يعنى به الكثافة) فان ما يكون ماؤه أكثر (أى الماء الذى يخرج بوضع الجسم فى الماء) يكون حجمه أكبر وثقله أخف بنسبة تفاوت الماءين واذا اسقط ماء كل من وزنه فى الهواء كان الباقى وزنه فى الماء ، مثلا لما كان ماء مئة مثقال من الذهب خمسة مثاقيل وربع مثقال كان وزنه فى الماء اربعا وتسعين مثقالا وثلاثة ارباع المثقال ، والماء الذى يخرج من الاناء بالقاء الجسم فيه إن كان أقل من وزن الجسم فالجسم يرسب فيه ، وان كان أكثر منه فيطفو ، وإن كان مساويا له فالجسم ينزل فى الماء بحيث يماس اعلاه سطح الماء . وقد وضع أبو ريحان ومن تبعه جدولا جامعا لمقدار الماء الذى يخرج من الاناء بمئة مثقال من الذهب والفضة وغيرهما ومقدار اوزانهما عند كون الفلزات السبعة فى حجم مئة مثقال من الذهب ، والجواهر فى حجم مئة مثقال من الياقوت الاسمانجونى ، ولمقدار اوزانها فى الماء بعدما يكون مئة مثقال فى الهواء ، وهو هذا الجدول (فهذا الجدول يحتوى على ثلاثة جداول احدها لاوزان الماء الذى يخرج بارسال مئة مثقال من كل من هذه الأجسام فى الماء ، وثانيها لاوزان هذه الاجسام عند ما تكون حجومها متساوية ، ومساوية لحجم مئة مثقال من الذهب ان كانت من الفلزات ، ولحجم مئة مثقال من الياقوت الاسمانجونى ان كانت من الجواهر ، وثالثها لأوزان هذه الأجسام فى الماء عند ما يكون وزن كل منها فى الهواء مئة مثقال) .

(١) الطبرزد (بالدال وبالذال) السكر فارسى معرب ولعل السكر كان يصنع آنئذ على الشكل المخروطى الذى يصنع به اليوم

(١) جدول فى أوزان ما يخرج من الماء بوضع مئة مثقال من الاجسام المذكورة

		المثاقيل	الدوانق (١)	الطسوجات (٢)
الفلزات	ذهب	٥	١	٢
	فضة	٩	٤	١
	زئبق	٧	٢	١
	الاسرب	٨	٥	٠
	الصفر	١١	٢	٠
	النحاس الاحمر	١١	٢	١
	النحاس الاصفر	١١	٤	٠
	الحديد	١٢	٥	٢
	الرصاص	١٣	٤	٠
الجواهر	الياقوت الاسمانجوني	٢٥	١	٢
	اللعل	٢٧	٥	٢
	الزمرد	٣٦	٢	٠
	اللاجورد	٣٧	١	٠
	اللؤلؤ	٣٨	٣	٠
	العقيق	٣٩	٠	٠
	السبه	٣٩	٣	٠
	البلور	٤٠	٠	٠
	الياقوت الاحمر	٢٦	٠	٠

(٢) جدول فى أوزان الفلزات والجواهر اذا كانت الفلزات فى حجم (١٠٠) مثقال من الذهب والجواهر فى حجم (١٠٠) مثقال من الياقوت الاسمانجونى

		مثقال	دانق	طسوج
الفلزات	ذهب	١٠٠	٠	٠
	فضة	٥٤	١	٢
	زئبق	٧١	٢	١
	الاسرب	٥٥	٢	٢
	الصفر	٤٦	٢	٠
	النحاس الاحمر	٤٥	٣	٠
	النحاس الاصفر	٤٥	٠	٠
	الحديد	٤٠	٣	٣
	الرصاص	٣٨	٢	٢

(١) الدانق سدس المثقال (٢) الطسوج ربع الدانق

	مثقال	دانق	طسوج	
الياقوت الاسمانجونى	١٠٠	٠	٠	الجواهر
الياقوت الاحمر	٩٧	٠	٣	
اللعل	٩٠	٢	٣	
الزمرد	٦٩	٣	٠	
اللاجورد	٦٩	٥	٢	
اللؤلؤ	٦٥	٣	٢	
العقيق	٦٤	٤	٢	
الشبه	٦٤	٢	١	
البلور	٦٣	٠	٣	

واما الجدول الثالث وهو الذى يبين وزن كل جسم فى الماء فيحصل بطرح وزن ما يخرج من الماء بغمس كل جسم فى الماء ، من الوزن الاصلى فى الهواء اعنى مئة منقال ، ولما كان وزن ما يخرج من الماء بغمس كل جسم من الاجسام المذكورة مبينا فى الجدول الاول فيطرح هذا الوزن من (١٠٠) منقال فيخرج وزن ذلك الجسم فى الماء ، مثلا : وزن الذهب فى الماء (٩٤) منقالا و (٤) دوانق و (٢) طسوجان

***

ومما يلاحظ أن المؤلف قد استعمل لفظى الثقل والوزن بمعنيين مختلفين لجعل الثقل بمعنى الكثافة Densité كما هو ظاهر من سياق كلامه ، وهذا مما يدل على ما فى اللغة العلمية من دقة فى التعبير .

هذا وإن من الجدير بالعناية والنظر فى أمر هذه التجربة أنه اشتهرت نسبتها — أو على الأقل نسبة النظرية التى تستند اليها هذه التجربة — الى ارخميدس ، وقصته فى اكتشافها مشهورة تكاد تكون مضرب المثل فى الالهام أو الحدس العلمى ، ومع ذلك فلم يشر الى هذا الأمر المتقدمون من علماء المسلمين ممن بحثوا هذا المبحث او ممن ترجموا لا رخميدس . واذا رجعنا الى ترجمته فى كتاب تاريخ الحكماء للقفطى (١) والفهرست (٢) لابن النديم مثلا وجدنا ما ترجم من كتبه الى العربية ليس شىء منه من باب الطبيعيات وانما هى فى الرياضيات ، فكل هذا يدعونا الى التساؤل كيف انتقل هذا القانون أو هذه النظرية الى المسلمين ؛ أهو عن طريق ارخميدس ولم يذكر بين كتبه المعربة ما يشبه هذه المباحث ! ام عن طريق غيره من الفلاسفة ممن نقلوا عنه ذلك ؟ واذا كان كذلك فلم لم يكن لارخميدس ذكر فى هذا النقل ! أم أن المسلمين أنفسهم توصلوا اليها ؟ ولم ينقل الينا مثل هذا الاكتشاف ! وعلى كل نترك التحقيق والبت فى هذا الامر الى من هم اوسع تحقيقا واغزر علما ومهما كان الامر فان مما يسترعى النظر فى هذه ما فيها من الدقة فى تعيين المكان (خوارزم) ، والزمان (فصل الخريف) ، والماء المستعمل فى التجربة (ماء جيحون) ، تلك العوامل التى تؤثر فى نتيجة التجربة كما اشار الفتازانى نفسه الى ذلك حيث قال : « ولا شك ان الحكم يختلف باختلاف المياه واختلاف احوالها بحسب البلدان والفصول » ولاشك فى الحقيقة ان كثافة الماء تختلف تبعا لهذه العوامل التى ذكرها . ومن جهة اخرى فان ابا ريحان « بالغ فى تنقية الفلزات من الغش وفى تصفية الماء» لتكون النتائج ادق واضبط ، ولم يكن فى الكميات أقل ضبطا منه فى الكيفيات وهو لتعيين الاوزان يستعمل المثقال والدانق (سدس المثقال) والطسوج (ربع الدانق) ومن ذلك نعلم ان فكرة ارجاع الكيفيات فى الحوادث الطبيعية الى الكميات كانت معروفة شائعة لديهم وهى الفكرة التى يرتكز عليها علم الطبيعة اليوم والتى كانت وسيلة لرقيه السريع وبلوغه تلك المنزلة الرفيعة التى ارتقى اليها فى هذا العصر، فحرى بمن يؤلف بالعربية فى علوم الطبيعة ان يشير الى امثال هؤلاء العلماء ممن نستطيع ان نفاخر بهم فى الميادين العلمية ، والذين كثيرا ما ينسب الى غيرهم من متأخرى علماء الفرنجة ما هو أحق أن ينسب اليهم لما لهم من السبق فى تحريه وا كتشافه او فى التحقيق عن صحته واثباته ، فقد اصبحنا ومالنا من ماضينا سوى الافتخار باسمه والاشادة بذكره ، فاذا توخينا تلمس ما فى هذا الماضى من مآثر حقيقية فى كل منحى من مناحى التفكير أحجمنا وكلت ابصارنا عن النظر فى مثل تلك الآفاق الواسعة التى تثبت بحق ما كانت تقوم عليه الحضارة الاسلامية من سعة فى التفكير لم يكن الدين « على ازدهاره اذ ذاك » ليضيق بها ذرعا ، بل ان هذه الحركة فيما أرى كانت تغذيها وتدفع الناس اليها روح الاسلام نفسه ، ذلك الدين الذى يجب أن تصوره بأوسع مما هو مصور فى الحقيقة فى مخيلتنا و والذى قد تضيق كلمة دين — اذا نحن اطلقناها عليه — مفهومة فى نفوسنا لما نتصوره من لوازم عديدة لهذه الكلمة حينما نذكرها بسبب ما مرت عليه من أدوار مختلفة فى خلال التاريخ البشرى . فهو فى الحقيقة أوسع من أن يسمى دينا بالمفهوم الحالى لهذه الكلمة ، وانما هو الطريقة المثلى فى الحياة فى جميع نواحيها وشعبها ، وناهيك بما أنتجته الحضارة الاسلامية من إبداع فى الادب والعلم والتشريع دليلا على سمو هذا المنهاج الحيوى الاقوم .

دمشق
محمد مبارك
بكالوريوس فى العلوم

---

(١) مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى طبع ليبسك . ص : ٦٦ (٢) الفهرست طبع مصر : ٣٧٢

القصص

من أقاصيص العرب

وضاح الشاعر

بقلم احمد حسن الزيات

— ١ —

فى اليمن الخضراء ، وفى صنعاء ذات الظل والماء ، نشأ وضاح أزهر اللون ، أصهب الشعر ، مليح القسمات ، رقيق الاديم ، ثم ترعرع بين خمائل الاودية ومروج السهول وأزاهير الربى فازداد رواء وجهارة .

واذا كان الجمل يكتسب لون الصحراء . والسمك يستفيد مرونة الماء ، والطاووس يستعير أفواف الروض ؛ فان اليمانين لم تصلهم بطبيعتهم ولا بيئتهم صلة ، فهم سمر الوجوه ضئال الجسوم قصار القدود ، وأرضهم مشرقة الاجواء مونقة المناظر خصبة التربة . لذلك رابهم وضاح بقدر ما راعهم ، فقالوا إنه من أبناء الفرس الطارئين على اليمن فى عهد ابن ذى يزن ، ولكن الحكم سفه هذا الرأى وقضى بعربيته

لا يعنيك ولا يعنينى أن نكشف عن دخيلة هذا الشاب فنصف تاريخ أسرته وحقيقة ثروته وطبيعة عمله ، إنما يعنينا من وضاح ذلك الفتى الطرير الذى أشقاه شعره وأبأسه شعوره وقتله جماله .

نريد أن ننقل عن لوح القدر هذه الصفحة الدامية التى كتبت لهذا البائس وجرت عليه فى غير رفق ولا هوادة .

* * *

كان وضاح الجميل الشاعر كالبلبل يعرف فى نفسه جمال الريش وجمال الصوت ، فهو لا ينفك فى حذر من الصائد ، وخوف من القفص ، فكان يغشى المواسم والأسواق وهو مقنع منتقب خيفة الحاسد وحذر المرأة ! !

ولكن المرأة كانت تعترضه بكل سبيل ، وتترقبه فى كل مرصد ، وتتراءى له فى كل مكان : تحت النخيل ، وفى الاسواق ، وعلى الماء ، وهو لا يزداد إلا تمنعا وترفعا ووحشة ، لانه محبوب ومن طباع المحبوب الادلال ؛ ولانه مطلوب ومن غرائز المطلوب الهرب ، ولم يجد مع ذلك فيمن رأى من النساء روحا جذابة ولا قوة غلابة ولا جمالا أبرع من جماله ، على أن وضاحا خلق للحب وكتبت عليه فيه الشهادة ! فعيناه على غير علة ترتادان الحبيب ، وقلبه من قلقه وانتظاره يضطرب فى حنايا صدره ، وعواطفه من اضطرامها وانبساطها تكاد تسيل ، وكان يفر من ضوضاء صنعاء ومتاجرها وقوافلها ، الى سكون الصحراء الرهيب ، وهدوء الطبيعة الموحش ، فيقضى سحابة نهاره جالسا فى روضة ، أو مستلقيا على غدير ، أو نائما فى مغارة ؛ كأنه نبى من أنبياء بنى اسرائيل ينتظر الرسالة .

— ٢ —

فى صباح يوم من أيام الربيع مشرق الاديم عنبرى النسيم منضور الخمائل استهوته الطبيعة فأخذ يضرب فى الارض حتى متع النهار ، واذا هو على ماء من امواه (الخصيب) من قرى اليمن ، وفى الخصيب شد الجمال اطنابه وشاد الحب معبده . والعرب يقولون لك : اذا بلغت ارض الخصيب فهرول !

فجلس وضاح ينضح ظمأه ويرفه عن نفسه الى ان طاف به الكرى فنام .

تنبه وضاح ساعة الأصيل على صوت رخيم الحواشى ، متسق النبرات فى رنين الفضة . فنظر فرأى جورية من جوارى الحقول قد حسرت عن ساقها وغمست رجلا فى الغدير ووضعت رجلا على الحافة وهى منحنية على الماء ، تجمع ثوبها بيد وتملأ سقاءها بيد . فرجف قلبه وبرق بصره وخيل اليه ان عينه لم تقع من قبل على فتاة ، فنهض يملأ من هذا المنظر الرائع عينيه فلفتتها حركته . فرفعت بصرها اليه فى سكون طرف وفتور لحظ . وكأنها همت بالنكوص لولا ان رأت منه ما رأى منها ، فوقفت جامدة لا تتحرك ، وشاخصة لا تطرف ، بل أحست من نفسها الهفو اليه حين تقابل النظران وتجاذب القلبان

وتمشى اليها مشية الحباب فى حياء ووناء ورقة . حياها فردت التحية ، واستنبسها فانتسبت كندية ، واستسماها فقالت (روضة)
ثم جرى بين المحبين حديث الشباب الحيي المضطرب الحائر .. ويكاد نصه يكون واحداً على اختلاف الألسنة والازمنة والامكنة فلا نثبته ، وكيف نثبت كلام الناظر للناظر ، وتدفق الخاطر فى الخاطر ، وعناق القلب للقلب ، وامتزاج النفس بالنفس ، ولحن اللسان للسان ؟ ؟

كانت روضة كما تشتهى كل فتاة ان تكون ، فهى كما صورها وضاح فى شعره . كاعب وضيئة الطلعة لطيفة التكوين مصقولة الجبين يزينه شعر أثيث أشقر كذنب الكميت ، زجاء الحاجبين كانهما شقا بقلم ، تقوساً على مثل عين الظبية ، ساجية الطرف ، ذلفاء الانف ، عبلة الذراعين لاترى فيهما عظما يحس ولا عرقا يجس ، طفلة الكفين تعقد ان شئت منهما الانامل ، ممشوقة القد قد أفرغت فى قالب الحسن .

وجد كل منهما فى الآخر مشابه فى زهرة الوجه وصهبة الشعر وهجنة النسب بالدم الفارسى . فتعارفا بلحظة ، وتفاهما بلفظة ، وتآلفا تآلف الاخدان كأنما كانا على موعد !

طوت شمس الطفل الغاربة مطارفها العسجدية عن السهول والحقول فلم يبق منها الاهلاهل على رءوس التلال وشعاف الجبال وأعراض النخيل ، وأخذ الرعاة يروحون بالقطعان الى الحظائر ، وآن للراعية الحسناء كذلك ان تؤوب ! فقامت روضة متثاقلة ، وودعته متخاذلة : وسارت وراء قطيعها تتهادى فى مرطها الملفوف ونطاقها المحبوك وخمارها الاسود كأنها آلهة الرعاة أو تمثال الحسن

تلاقيا مرة أخرى فى سرة الوادى المعشب وقد عملت فيه يد الطبيعة فأزرته بعميم النبت ، وطرزته بألوان الزهر ، وضمخته بعبير الخزامى وريا البشام وأرج الرند . فجلسا ساعة تحت دوحه يتساقطان عذب الحديث ، ويتناشدان حلو الغزل ، ويتساقيان كؤوس الهوى ، ثم نهضا يسيران صاعدين تارة فى مدارج السيل ، وهابطين تارة الى قرارة السهل ، يجنيان الكمأة ويقطفان البهار ويلتقطان الجزع المفصل . فلما نفضت الشمس على الافق الغربى تبر الاصيل توادعا ثم تواعدا على اللقاء وتعاهدا على الوفاء بعد أن شق عليها رداءه وشقت عليه هى برقعها استدامة للحب وبقيا على الهوى !

— ٣ —

ظل العاشقان فى غفلة الزمان والانسان يتلاقيان كل يوم على خلاء ، حتى نم على هواهما شعر وضاح ، فتنبه الغافل وتحرش العاذل وتحفز الأهل ، فحالوا بينها وبين لقائه وتوعدوه .

فكان وضاح يأتى كل يوم على عادته فيجلس فى الاماكن التى أعتادها ، ويرتاد الغياض التى ارتادها ؛ ويستروح النعامى والخزامى فلا يجد قراراً فى مكان ، ولا جمالا فى طبيعة ، ولا روحا فى أرج ، فيدنو من الحصيب يترصد غفلة القوم ويتنسم ريح روضة . ويقول :

يهددونى كيما أخافهم   هيهات أنى يهدد الاسد ؟

حتى اتى ذات مساء عبدها الذى كان يرعى عليها رائحا بالقطيع الى مراحه ، فحمله رسالة اليها يطلب فيها أن توافيه على الكثيب متى غفت العين وهدأت القدم ، فوافته فى احدى أترابها ، فجلسا على الحصباء يتشاكيان حرقة الجوى وتحكم الهوى وتعقب الرقيب ، وأخذت روضة تحكى لوضاح كيف استفاض الخبر وخاض فيه الناس ، وكيف حجبها أخوتها وراقبوها بعين لا تغفل ، وذكرت له والدمع يتقاطر من عينيها أنهم صمموا على رفض خطبته ومنع تزويجه ، وقرروا تزويجها من موسر كثيف الظل جافى الخلقة ، وحذرته أن يدنو من الحى فان قومها يأتمرون به .

غلى جوف وضاح وعصفت فى رأسه الحمية ، ونزت بقلبه الصبابة ، وعقد نيته على معالجة الامر بالحزم ، ومواجهة الخطر بالصراحة ، وقرر زيارتها فى دارها بعد هذا الحوار البديع الذى خلده وضاح فى هذه القصيدة :

قالت : الا لا تلجن دارنا   إن أبانا رجل غائر
قلت . فانى طالب غرة   منه وسيفى صارم باتر
قالت : فان القصر من دوننا   قلت : فانى فوقه ظاهر
قالت : فان البحر من دوننا   قلت : فانى سابح ماهر
قالت : فحولى اخوة سبعة   قلت فانى غالب قاهر
قالت فليث رابض دوننا   قلت فانى أسد عاقر
قالت : فان الله من فوقنا   قلت فربى راحم غافر
قالت : لقد أعييتنا حجة   فأت اذا ماهجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى   ليلة لاناه ولا زاجر

وفى الليلة التالية كان وضاح فى طريقه الى الحصيب ، وكان أخوة روضة وعمومتها يرصدون سبيله ويطلبون لقاءه ، بعد أن علموا من الرقيب اجتماع الكثيب ، وكانت الحبيبة على علم بخروج القوم وقدوم المحب المخاطر فطرقت مضجعها الهموم ، وتخالجت قلبها الوساوس ، وأخذها عليه المقيم المقعد .

لم يطل انتظار الجماعة للفرد فتلاقوا وراء الوادى ؛ ثم كان عتاب على الاشعار الجارحة ، وسباب على الشهرة الفاضحة ؛ وقتال انتهى بطعنة تلقاها المحب فى موضع جبه . ثم خلا المكان الا من جريح

يمن ، وفرس يحمحم ؛ وتحامل على نفسه وضاح فضمد جرحه وركب جواده وقفل راجعا الى أهله .

قضى المسكين شهرين على فراش الالم يتضور من ضربان الجرح وهذيان الحمى وثوران الحب . ولكن الجرح كان قريب الغور فاندمل ، والحمى كانت عارضة فأقلعت ، والحب ؟ هذا هو المرض المخامر والداء العياء ، فليس له غير الله من آس ولا طبيب ، لذلك نصحوا لوضاح أن يحج البيت فشد اليه رواحله . وسنلقاه هناك بعد قليل .

— ٤ —

اذن مؤذن الحج للمرة الثمانين بعد الهجرة ، فسالت فجاج الجزيرة بالقباب والهوادج ، وشرقت دروب الحجاز ومسالكه بالناس رجالا وعلى كل ضامر ، واكتظت بطاح مكة ورباعها بالحجيج من الشام والعراق واليمن ، ودوى الفضاء المشرق باصوات التهليل والتلبية ، وروى الثرى المكروب من دماء البدن والضحايا ، وتعطر الجو القائظ بانفاس الحسان الغيد ، وفاضت اندية مكة النبيلة بالقصف والعزف والغزل ، وخرج الشعراء من بني الانصار والمهاجرين في مطارف الخز وبرود الوشي على النجائب المخضوبة ، يتعرضون للغواني المحرمات ، ويقطفون من فوق شفاهها اللعس الفاظ الدعاء ، قبل أن ترفع الى السماء ، وهناك على الربوة العالية ضرب الفسطاط الرفيع العماد ، وفرشت الطنافس ، ونصبت الارائك ، وصفت النمارق ، ونضدت الوسائد ، وقامت الجواري والولائد ، وعلقت السدول والستائر ، وبرزت من خلالها زوج الخليفة في زينتها وفتنتها ترسل النظر تارة الى الأفق البعيد ، وتارة تتصفح به الوجوه المختلفة والازياء المتعددة ، والناس يتحامون جانبها ويتهيبون ظلالها لهيبة الملك وشراسة الجند وجلال الخلافة . حتى الشعراء من شباب الهاشميين وخلفاء ابن ابي ربيعة لم يجرؤا أن يمدوا الى جمالها الفاتن عينا ولا لسانا ، لأن الخليفة كتب (يتوعد الشعراء جميعا أن ذكرها احد منهم أو ذكر أحدا ممن تبعها) ولكن الملكة تريد على رغم الملك أن تكون من عرائس الشعر ، وأن تظهر في ديوان الشاعر ، كما ظهرت في ديوان الملك . والشعر في الحجاز كان حينئذ للمرأة ، يصف حالها ويعرض جمالها فتصل من طريقه اما الى الزواج وإما الى الشهرة . فتراءت الملكة للناس وسهلت للغزلين الحجاب .

وكان وضاح يومئذ مشغولا عن الشعر والشعراء بنفسه ، فهو يطوف بالبيت ويتعلق بستور الكعبة ، ويسأل الله ان يشعب قلبه بالسلوة . حتى اذا خرج الحجيج الى عرفات وتطاولت الرقاب ، وتطلعت العيون ، واومأت الاصابع الى موكب الملكة الحاشد ، جذبه جلال الحاجة النبيلة وجمال وصائفها فدنا من فلكها ، فوجد كهنة الحب وشياطين الشعر يسايرون ركابها ويراقبون سناها . فمشى بجانب الشاعر كثير ؛ ووقعت عين الملكة عليه فراعها جماله ، وعلقتها حباله . فاشارت بطرف العين الى جاريتها غاضرة فأثبتت معرفته .

فلما افاض الناس من عرفات ، وانحدروا الى مرمى الجمرات ، وقفت بجانبه فتاة فتانة ناهد ، واسرت اليه وهو يرجم الشيطان ان الملكة تريد لقاءه في مخيمها على (منى)

اضطرب وضاح لهذه الارادة وخشي عاقبة هذه الدعوة ، وتردد طويلا في الذهاب الى هذا الموعد ، لان هذا الحب الملكي اكبر من عواطفه ، ولان قلبه الجريح لايزال يقطر في لفائفه ؛ ولان خيال (روضة) يعتاده في جميع مواقفه ، ولكنه عربي !! والعربي طماع طماح مخاطر . فلما ذا لايبذ الشعراء ويكبت الاعداء بالسبق الى جمال الملكة ومال الخليفة ؟؟

امسى المساء ، وكان هلال ذي الحجة قد توارى بضوئه الشاحب خلف الجبل ، واخذت الاضواء المنبعثة من بواقي المشاعل والمصابيح والكوانين تكافح ظلمة الغسق ، والقى الناس اوراقهم على الرمال مجهودين بعد نهار قائظ احمرت حواشيه من دماء القرابين ، وضرب الكرى على آذان العامة فلم يبق يقظان الا ذوو الحس الرقيق ممن جرهم جمال الليل الى جمال السمر ، والا نفسان شاعرتان بسط الحب عليهما جناحه ، وازال مابينهما من فروق ، ورفع مايفصلهما من حواجز ، حتى التقى ابن آدم بينت حواء وجهاً لوجه ، واقبلت الملكة على وضاح اليمن تناقله الحديث ، وتساجله الشعر ، وتنصب له شرك الفتنة في مطاوي اللفظ ، وتسدد الى قلبه سهم الغواية في مرامي اللحظ ، وحسبنا أن نروي من هذا الحديث المشفق العذب هذا الحوار :

— وكيف حال روضة بعدك يا وضاح ؟

— على شر حال وا اسفاه ! زوجوها من موسر مجذوم فاعداها بالجذام !!

— وما حالك انت من بعدها ؟

— اما قبل هذه الليلة فكنت لاانتفع بنفسي ولا اشعر بوجودي

— ومنذ الليلة ؟

— منذ الليلة عرفت نعيم السماء بعد ماعرفت في الخصيب نعيم الارض

— اذن ستحبني ؟؟

— نعم ولو خيرت مااخترت

— وستنسب بي فى شعرك ؟

— نعم ولو كره الخليفة

— اذن اصحبنى الى دمشق فامدح الخليفة . وسأرفدك لديه وأقوى أمرك عنده

— ٥ —

وعلى نهر بردى وفى القصر المشيد زكت شجرة الحب حتى عرشت على كل حائط ؛ وسطعت فوحتها فى كل انف ، وتهدلت أغصانها المزهرة على سرير الخليفة ، ودنت قطوفها المجرمة من فم المجنون وليلاه ؛ فأكلت منها حواء وجرت الى الخطيئة آدم ! وآدم دائما هو الذى يكفر عن الخطيئة !!

ظل وضاح ابن الطبيعة الطليقة سجينا فى الخليفة قصر لا يبصر سماء ولا أرضا ، ولا يرى غديرا ولا روضا ، ولا يسمع حركة ولا صوتا ، . ولا يشعر بمجرى الحياة الا حينما تخرجه الملكة من مخبئة ساعة يغفل الرقيب وتغفو العين المريبة . فتطارحه احاديث الغزل . وتسقيه من سلاف الهوى علا بعد نهل . ثم ترده عند الخوف الى مأمنه .

ومضت على تلك الحال حقبة من الدهر ورفت عليهما ظلال الأمن فيها . ولكن وجه الجريمة وقاح لابد من سفوره . وريحها ذفر مهما كتمته فلا مناص من ظهوره . والخطيئة لا يطهرها الا عقوبة أوضحية !

فأهدى إلى الخليفة ذات يوم جوهر نفيس فراقه حسنه . وأحب أن يطرف به الملكة . فبعث به اليها مع خادم له ومعه كلمة رقيقة . فمضى الغلام بالتحفة الى مجلس الملكة فلم يجدها ، وعلم انها فى بعض الغرف فدخلها عليها مفاجأة ، وكانت قد احست بخطاه دون الباب فبادرت الى اخفاء وضاح فأدخلته فى صندوق وأغلقته . وحينئذ دخل الغلام فرأى أواخر جسمه تغيب تحت الغطاء . فأدى الى الملكة الرسالة ودفع اليها الجوهر ، ثم قال لها بلهجة الخبيث الماكر : الا تهبين لعبدك يامولاتى حجرا من هذا الجوهر ؟ فأجابته الملكة بلهجة العزيز المتعمض : (كلا يابن اللخناء ولا كرامة)

ولعلها لو كانت تحسن قراءة الوجوه لحشت فمه بهذا الجوهر حتى لا ينطق . أو لعلها فهمت لحن قوله ، ولكن نفسها الملكية الابية انفت الخشوع لهذا العبد فآثرت نقمة زوجها على نعمة خادمه وهى مع ذلك قوية الثقة فى شفاعة الجمال ووساطة الحب ! ومهما تكن الدوافع الى هذا الجواب فأن الخادم قد ارتد الى سيده بجلية الأمر . ولكن الأمر نزل من خليفة معاوية فى بال واسع . فأمر بالغلام فوجئت عنقه . ثم لبس نعليه ودخل على زوجه وهى جالسة تمتشط فى تلك الغرفة . فجلس على الصندوق وقد علم وصفه من الغلام ، ثم قال بلهجته الهادئة الرزينة :

— ما أحب اليك هذا البيت من بين بيوتك . فلم تختارينه ؟

— اختاره واجلس فيه لأنه يجمع حوائجى كلها فأتناولها منه كما أريد من قرب

ألا تهبين لى صندوقا من هذه الصناديق ؟

— كلها لك يا أمير المؤمنين !

— ما أريدها كلها . وإنما اريد واحداً منها

— خذ أيها شئت

— أريد هذا الذى جلست عليه

— خذ غيره فأن لى فيه أشياء احتاج اليها

— ما أريد غيره !

— اذن خذ ياأمير المؤمنين

فاشار الى الخدم فحملوه الى مجلسه . ثم أمر العبيد فحفروا تحت بساطه بئرا بلغوا بها الماء . ثم دعا بالصندوق أو التاووس وقال له :

(انه بلغنا شىء . ان كان حقا فقد كفناك ودفناك ودفنا ذكرك وقطعنا أثرك الى آخر الدهر . وان كان باطلا فقد دفنا الخشب ، وما أهون ذلك !!)

ثم قذف به فى البئر ! وهيل التراب ، وسويت الأرض ، ورد البساط ، وأخذ الخليفة مجلسه . واستمر الفلك يدور دورانه الابدى المنتظم

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر !!

الزيات

شفاء البول السكرى
بنباتات مصرية ياكلها كل الناس
وفقت باذن الله تعالى نقلا عن المؤلفات العربية القديمة
بايجاد دواء يشفى البول السكرى شفاء تاما وهو يحتوى على بذور النباتات المصرية
وحتى لا يحرم منها كل مريض جعلنا ثمن العلبة عشرة قروش صاغ —
ارسل بالبريد شيك بالثمن يصلك الدواء وبه كيفية الاستعمال
بمحل عطارة محمد طاهر الصاوى
بوكالة ابو زيد رقم ٥ بالحمزاوى بمصر

مسيلمة

بات مسيلمة والكرى لم يطرق جفنه ، يفكر فى محمد اليتيم كيف انتصر ، وصارت له عصبة وقوة ، وكيف سحر اعداءه وقد بدأ لاعدة ولاعدد ، وهاهو ذا يريد ان يكتسح جنوب الجزيرة بعد شمالها ، فتنفرد مضر بالرياسة . لاورب الشعرى ما تذل ربيعة ، ولاينبغى لها ذلك ، وان كان قد دعا لنفسه ، فلم ينفرد بالرسالة ؟ أولست مثله ؟ ولى لسان كلسانه وقوم كقومه بل أشد شوكة . انهم اعراب غلاظ شداد لايعصونى ماأمرتهم ، تدفعهم النعرة الى نصرتى ظالما أو مظلوما — والله لأوقدنها نارا ولأكونن صاحبها.

***

دخل عليه صديقه « مجاعة عند انبثاق النور ، ولشد ما أدهشه أن رآه جالسا القرفصا . قد دفن وجهه بين ركبتيه ، فنادى مسيلمة فرفع اليه رأسه فى صمت وسكون وقد بدت من وجهه عينان أدماهما الأرق فسأله مجاعة :

— مابك ياأخى ؟ أسوء أعتراك ؟

— بل الخير كل الخير

— وكيف صممت عن دعائى وقد ناديت مرارا ؟

— ما كنت واعيا

— وما شغلك ؟

— كنت فى فكر أقض مضجعى ، وأطار نومى ، وماأحسب أحدا غيرى يقوى على احتماله

— وأخوك الذى أذهب ميعة شبابه بجانبك ، وأخلق ديباجته مقتحما الأهوال بين يديك ؟ ألماتجده لسرك أهلا ؟

— كلاما ذهبت ألى ذلك ، وما أردت ان أثقلك بما ينقض ظهرك ، واشركك فى كأس مرة

مادمت تشرب منها ، فكيف تبخل على بها ؟ وهبها كأس المنية

— بارك الله فيك من عشير ، اذن فأصغ الى ـ أنت تعلم العداوة التى بين أهلنا ربيعة وبين مضر ، وكم أوقدنا الحروب نمدها بأفلاذ أكبادنا ونرميها بزهرات اولادنا ، ولم ترض فى حال بالذل وسوم الخسف

— وماذا فعلت مضربنا ؟ هل اغارت على حينا ؟ هل أرسلت شياطينها على عيرنا ؟ هل حمت البيت دوننا ؟ هل وترتنا فى أهلنا أين . ماذا فعلت ؟

— مافعلت من ذلك شيئا . ولكنها أوقدت نارا وإخال أن السنتها ستمتد ألينا ، فيهبط العرش على الفرش ويذهب الولد والوالد

— وما هذه الداهية ؟

— ألم تعلم أن محمدا ظهر أمره ، وزهر نجمه ، وكنا حسبناه شرارة ماتضىء الالتخمد ، وخطبا ماينزل الا ليهون .. ولكن خاب فألنا ، فالركبان يتناقلون أنه استحوذ على مابين مكة والمدينة ، والناس يدخلون فى دينه أفواجا ، وأخشى على اليمامة . منزلنا العتيد ومهد الجدود ، أن يأخذها منا على غرة فنذل بعد عزة ، ونبوء بالخسران المبين .

— ومابدالك أن تفعل ؟

— إن الحديد بالحديد يفلح ، والدعوة بمثلها تقابل ، له الشمال ولنا الجنوب . ليت شعرى لم يكون النبى من مضر ولا يكون من ربيعة نبى ؟ قرب سمعك منى . لابد من الحيلة لقومك حتى يستقتلوا ويطيعوا ، ولابد من السيطرة على قلوبهم حتى ينصاعوا ، ولا يكون ذلك الا بغزو عقولهم وخدعة عيونهم فلايرون الا مانرى ولايسمعون الا مانسمع .

— أذن فاعمل كيدك حتى تأتينا بآيتك التى تبهر وتسحر.

— ماتظننى عن هذا غافلا ـ بل إن فكرى ليحلق فى آفاق أبعد ، وكيف أنصب قدرا قبل تهيئة الاثافى ، ومثلى الذى جاب الآفاق وجال فى الاسواق ، ونفذ إلى ماوراء الحيرة والانبار ، واقتحم سواد فارس واجتمع بأوشابها ، فوقف على ألاعيب فتيانها وكيد دهاتها واختلط بتجار الهند وعرف حكمتهم واستجلى شعوذتهم ـ لايخلو من كيد وحيلة ، فكم خدعة عندى يحسبها الأعراب معجزة ، وكذبة يظنونها حقا !

— يالك من داهية ياأباثمامة ! وما وراءك بعد ؟

— سأزعم النبوة كمحمد ، وأدعى المعجزة ، ولابد من ردء يصدقنى ويشد أزرى . وأظن فيك ـ بعد مابلوتك ـ ذلك الرجل

— قد أجبت سؤلك . مادام فى ذلك مرضاة لحى الجدود ، وبر لرفاتهم ، فماذا تريد أن أفعل ؟

— تذيع فى الناس أمرى ، وظهور رسالتى ، وتحشدهم الى دارك بعد غد . ليشهدوا آياتى أليس الموعد بقريب ؟

— بلى ، سيتم ذلك على أحسن حال . الى اللقاء

* * *

هب الناس على دار « مجاعة بن مرارة » ، وكانت رحبة الفناء ضمت الوفا من الاعراب وكلهم يشيع فى وجهه السرور ، ويهنىء صاحبه ، لأن الله حباهم نبيا من أنفسهم ، عزيز عليهم ، به رجحت كفتهم ، وأنقذوا من نير مضر وسورة سلطانهم ، وهاهم أولاء يجتمعون ليشاهدوا آياته ، فتمتلىء قلوبهم إيمانا

وفى الأصيل وقف مسيلمة على دكان بصدر المجلس وقد اختفت قسمات وجهه تحت لثامه الغليظ فلم تبد منه الا عينان خبيثتان تدوران فى الجمع الحافل ، وتلحظان فيض العاطفة على الوجوه ، وتقرءان فى العيون الايمان والسخرية . وكان ممتقع اللون ، يرفض جبينه عرقا ، يهوله مايقدم عليه من خطب ويخشى العاقبة . ثم ثبت يده على عكازه التى اعتمد عليها واستفتح كلامه حامداً الله الذى حمى اليمامة وأعزها بنبيها ، وأفاض فى الثناء على أهلها وثباتهم ، وناشدهم أن يعينوه بقوة على محمد شريكه فى الرسالة ، ليستخلصوا نصيبهم من بين يديه . ثم أعلن أنه سيعرض عليهم معجزاته الناطقة برسالته ، لتطمئن قلوبهم . تنفس الجمع الحاشد ، ونظر بعضهم الى بعض متلهفين الى مايأتى به من خوارق ومعجزات . وكان مسيلمة قد اختفى وراء ستر نصبه بينه وبين الحائط ، فرجع وفى يده قارورة داخلها بيضة ، كان قد أطال انقاعها فى الخل حتى لان قشرها الاعلى ، فمدها فامتدت كالعلك فأدخلها قارورة ضيقة الرأس ، وتركها حتى جفت ويبست ، وكلما انضمت استدارت حتى عادت سيرتها الاولى

قال : ها كم آية من آياتى نزل بها على الرحمن ، ترتفع عن قدرة البشر . بيضة كبيرة ، غير مقشورة ، فى قارورة . أجيبونى بآبائكم ، من أدخلها فيها غير ربكم . أم هل فيكم من يفعل من ذلكم شيئا ؟ وناول القارورة أحد الجلوس ، فتقاذفتها الأيدى ، متأملين المعجزة العجيبة ، والبدعة الغريبة .

ثم دار بعينيه فى دار (مجاعة) فرأى زوجا من الحمام مقصوص الريش ، واقفا على عود فى حائط كانت الأعوان قد هيأته لتلك الفرصة ، فالتفت الى مجاعة وقال له :

— إلى كم تعذب خلق الله بالقص ؟ ولو أراد الله للطير خلاف الطيران ما خلق لها أجنحة ، وقد حرمت عليكم قص أجنحة الحمام

فقال مجاعة كالمتعنت — : فسل الذى أعطاك فى البيض هذه الآية أن ينبت لك جناح هذا الطائر الساعة .

— فان أنا سألت الله ذلك ، فطار وأنتم ترونه ، اتعلمون إنى رسول الله اليكم ؟

— أجل : أجل

— أريد أن أناجى ربى ، وللمناجاة خلوة فانهضوا عنى ، وإن شئتم اختليت به وراء الستر ودعوت الله ثم خرجت به اليكم وانى الجناحين

ولما خلا بالطائر أخرج ريشا كان قد هيأه ، فأدخل كل ريشة مما كان معه فى جوف ريش الحمام المقصوص من عند المقطع — ولما أتم جناحيه خرج به وأرسله على رءوس السامر فرفرف عليهم — فصاحوا معجبين ، ونهض منهم خلق كثير ، يبايعه ويشهد الله على ما فى قلبه ، وانفض السامر وقلوبهم شتى ، ولكنهم جميعا أخذوا يفيضون فيما رأوا وما سمعوا .

وفى غداة اليوم التالى دخل مجاعة على مسيلمة ، فرآه مشرق الوجه ، فما لمحه مسيلمة حتى اندفع اليه قائلا :

— ماذا كان من أمر القوم بعد ما رأوا الاعاجيب أمس ؟

— منهم المصدق ومنهم المكذب ومنهم دون ذلك . ولا يخفى عنك أن فيهم من رأى اعجب من آياتك فى سياحاته وتجاراته على أيدى الكهان والسحرة وغير هؤلاء .

— وما ذا ترى ؟ — محمد جاء بقرآن ليعقل به ألسنة العرب ما بقيت فى افواههم ، وليسلبهم بسحره ألبابهم ، ولا أرى الا أن تصنع كلاما ككلامه .

— ما أبعد روق الشامخ على الطرف ! كلما صعدته اليه ارتد البصر حسيرا ، هـذا يا صاح يعقد لسانى — ولا أستمك شيئا — انه جل عن ان يبدعه قلب من لحم ، ولسان من عضل ، وإنما هو آية كخلق الله تعجبنا وتطربنا ، كما تشهدنا على عجزنا .

— ولكن قومك يطلبون منك آية كقرآن محمد ، وهم لد الخصام . وما دمت زعمت مشاركته فى رسالته — فهات كتابك مثله بيمينك ، وإلا عبثت بك العيون .

— حق ما تقول ، إذن نحاول ، ولكن أين الظهير ؟

— ربما تكون العناية قد لحظتنا ، فقد قدم علينا صباح اليوم رجل من المدينة على دين محمد حسن السمت ، سليم الطوية ، قدهم فتيان من العشيرة أن يقتلوه ، ولكنى استبقيته لعلنا نستفيد منه فى أمرنا . فيزعم أنه صاحب الرجل ، وقد حفظ كلامه ، وقرأ بعينه صفحة جهاده .

— وكيف نملك قلبه ؟
— بالمال .
— وما يدريك الوصول اليه ؟
— بلوته فوجـــدته رطب العود قريب الغور
— وما ذا نأخذ منـــه ؟
— يسمعنا قرآنه فنقيس على الآيات مثلها ، ونصب فى القوالب ما يملؤها ،
— كيف والعرب صيارف كلام ، يقلبون الكلمة ويحكونها كالدينار لايخدعهم وشمها ، أو يخطف بصرهم وسمها
— اجتهد أن تكون مزيفا ماهراً ، فهذا ما لا بد منه مادمت تصر على رأيك
— نعم لا بد من صنعاء ، ولكن ألا ينفعنا فى سبيل آخر ، فنلق اليه أن يزعم أن محمداً أخبره بأنى شريكه فى رسالته ، وقد بعثه الى بذلك النبأ .
— نعم ما رأيت ، وأظن أن الابل والشاء كفيلة بأن تركبه الصعبة وهو الذلول كما أعلمتك .

***

اجتمع نفر من بنى حنيفة فى ساحة من القرية تحت شجرة ليستروحوا بفيئها ساعة الهجير ، وهم أخلاط فى أسنانهم ونزعاتهم ، ابتدأ أحدهم يقول :
— بالامس قدم رسول محمد فأعلن على رؤوس الاشهاد أن مسيلمة شريكه فى رسالته — فهنيئا لليمامة بصاحبها .
آخر — الآن لزمته الحجة ، فأما أن يعطينا نصيبنا فنسالمه ، واما خضنا معه حربا ضروسا ، فتثاءب شيخ من الجلوس وقال :
ومايدريكم أن الرجل رسول محمد ، وأنه أرسله لذلك الشأن ، وكيف جاء اليوم وقد ظهر أمر محمد من سنين ، أبعدماجاهد وكابد ، وصار له النقض والأبرام ، يعلن شركة مسيلمة ؟ فهلا كان الأمر والخطوب به مكتنفة ، والاعداء له متربصة ، فيستعين بشريكه ، ويحمله نصيبه فى جهاده . ما أحسب ذلك الاخدعة .
فدارت عيون القوم وقد انبسط فريق منهم لهذا الكلام الذى أجلى المبهم فكان كالبرق فى الظلمات وانقبض آخرون . ولكن الشيخ أخذ يقول :
وما ذلكم الكلام الذى ينحله الله ؟ أأعـــجبكم قوله فى الضفدع : « ياضفدع بنت ضفدعين . نق ماتنقين ، نصفك فى الماء ونصفك فى الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين » . أى عجيبة ابانها فى الضـــفدع ، وأى حكمة اظهرها ؟ أمرها بالنقيق فهل رآها امسكت عنه ؟ ولعـــله أعجب بنغماتها فأثارت أشجانه ، وحركت بيانه ، فصار يستوحيها ، ويطلب المزيد من هديرها .
— إن انكرت بيانه ياعم فكيف تنكر آياته الشاهدة التى لمستها أعيننا . أتراها قد خانتنافأرسل منها الكذب الى نفوسنا وخيل الينا .
قد كنت فى ذلك السامريا ابن أخى ، فهاج سخريتى بكذبه الفاضح ، أرأيت البيضة والقارورة يزعم أن الله أدخلها ! فلم أدخلها وراء أظهرنا ولم لم يخرجها أمامنا ؟ ورأيت الحمام المقصوص كيف زعم أن الله ينبت له ريشا فى ساعة . ما باله لم يسأله ذلك أمام أعيننا ؟ وهل لا يجيب الله داعيه الا بخلوة ؟ فتحوا أعينكم ياقوم فلاتضلوا انه لعمرى ليس بمتنبىء صادق ولا بكذاب حاذق .
— أصوات : مه مه !
أيها الشيخ لقد كبرت . ولئن كان كما تزعم لنتبعنه ، فكذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر
— قد محضت لكم نصيحتى وأنا شيخ كبير قد تقلب وجرب . وأخشى أن تسندوا اباطلا فيقع عليكم ، أو تشعلوا نارا فتكونوا وقودها ،
— فنظرة إلى محمد وقرآنه تجدون اللبن الصريح . ولعمرى إن نفسى لتنزع إلى دينه كما ينزع الفطيم إلى ثدى أمه . ولكنى أخشى . . .
— فتيان ينهضون — لقد خرف الشيخ
آخرون باقون معه — لا ضير عليك من هؤلاء فأنهم سفهاء يتبعون أول ناعب .
فتى يتحدث اليه — قديما ظننت فى مسيلمة البركة فاحضرت له وليدى ليباركه غداة يوم فدعا له بطول العمر فما جاء الأصيل ألا وقد كفنته بثوبه الاصفر
آخر — وجارنا أمسى له بغلامه فمسح له رأسه ، فما مضت أيام ثلاثة حتى لف فيه القرع
— وأمتنا المريضة ذهبت اليه لتستشفى فكأنها ذهبت الى حتفها
— وأنا أعتقد ضلاله . ولكنه يكبر على نفوسنا أن نمد أيدينا لمحمد ، كما يكبر علينا أن نحاربه أو نؤذى قومه . ونخاف الفتنة اذا ماغزانا فلا ندرى أنحارب معه اخوتنا ، ونقضى على بنى عمومتنا ، أم نحاربه وهو أقرب الى قلبنا ، أم نمسك ونعتزل فيظن بنا الجبن والعار ، ونصير مضغة الالسنة فى حينا ؟
الشيخ — حقا أنها لحيرة يابنى . فلننتظر ماتأتى به المقادير ، ويفعل الله مايريد .

***

سمع مسيلمة بقدوم خالد اليه فاستنجد ببنى حنيفة ، فتبعه أربعون ألفا لعزته وعصبته ، وفر قوم من وجهه ، وكرهوا أن يشهدوا مقارعة الباطل للحق ، وقبعوا فى واد ظاهر القرية وأخذوا يتجسسون الأخبار فرأوا قادما عليهم

— مم قدمت يافتى ؟

— من القرية .

— أشهدت خالدا وصحبه ؟

— كنت بين ظهرانيهم .

— ما عندك فيه ؟

— انه ليعسوب قريش وفتاها ، ولئن طاولته الكواكب لأحسب أنه ينزلها من منازلها ، ما تقولون فى عقل سديد ، وقلب شجاع ، وأمر مطاع

— وكيف رأيت صحبه ؟

— شباب مكتهلون ، اشداء على أعدائهم ، رحماء بينهم ، ابصرتهم موهنا مثنية أصلابهم على كتابهم ، فسمعت منهم دوى النحل ، وأزيز المرجل ، وشهدتهم فى المعمعة ينظرون الشزر ويقذفون الجمر . فرأيت النار المحرقة ، ليستعجلوا حتفهم مرضاة لربهم طامعين ، فى الجنة والحرير ، والملك الكبير .

— وما فعل مسيلمة بهم ؟

— قارعهم فلما أثخنوه جراحا ولى ظهره واستقبل (عقرباء) وتحصن بحديقته

— تلك حديقة الموت ، وهل حسب القصر يضم جيشا . انه لغمر .

هو ما تقول . فتقدم خالد اليهم بجيشه ، ووضع السيف فى رقابهم . فهلك مسيلمة ومشيخة قومه ونادى مناد : الله أكبر

— وما فعل قومك بعد؟

— دخلوا فى دين محمد أفواجا وسموا مسلمين . وقد تركت أكابرهم يتحملون ألى أبى بكر ليبايعوه ويشهدوه على اسلامهم .

— الآن نكون معهم .

أبو بكر — ويحكم ، ماهذا الذى استنزل منكم ما استنزل ؟

— ياخليفة رسول الله لقد كان الذى بلغك مما أصابنا ، كان أمر لم يبارك الله عز وجل له ولا لعشيرته فيه

— هل فيكم من يحفظ من اسجاعه ؟

— أجل — ياضفدع بنت ضفدعين . . .

— ويحكم . ان هذا لكلام ماخرج من إل ولا بر ، فأين يذهب بكم ؟

— بربك حسبناعذلا . كان ما كان ، واليوم تبنا وأنبنا واشهد بأنا مسلمون ؟

احمد احمد التاجى

مدالية
المعرض العربى
الثانى

زوروا معروضاتنا
بالقسم المصرى
بالمعرض العربى الثانى
بالقدس الشريف

شركة
مصوغات الجمل المصرية
صندوق بوسته ٦٩١ بمصر
تليفون ٥٦٩٨٥
مصوغات بقشرة ذهب
مضمونة خمس سنوات
طلباتكم ترسل للمنازل
بدون تكاليف

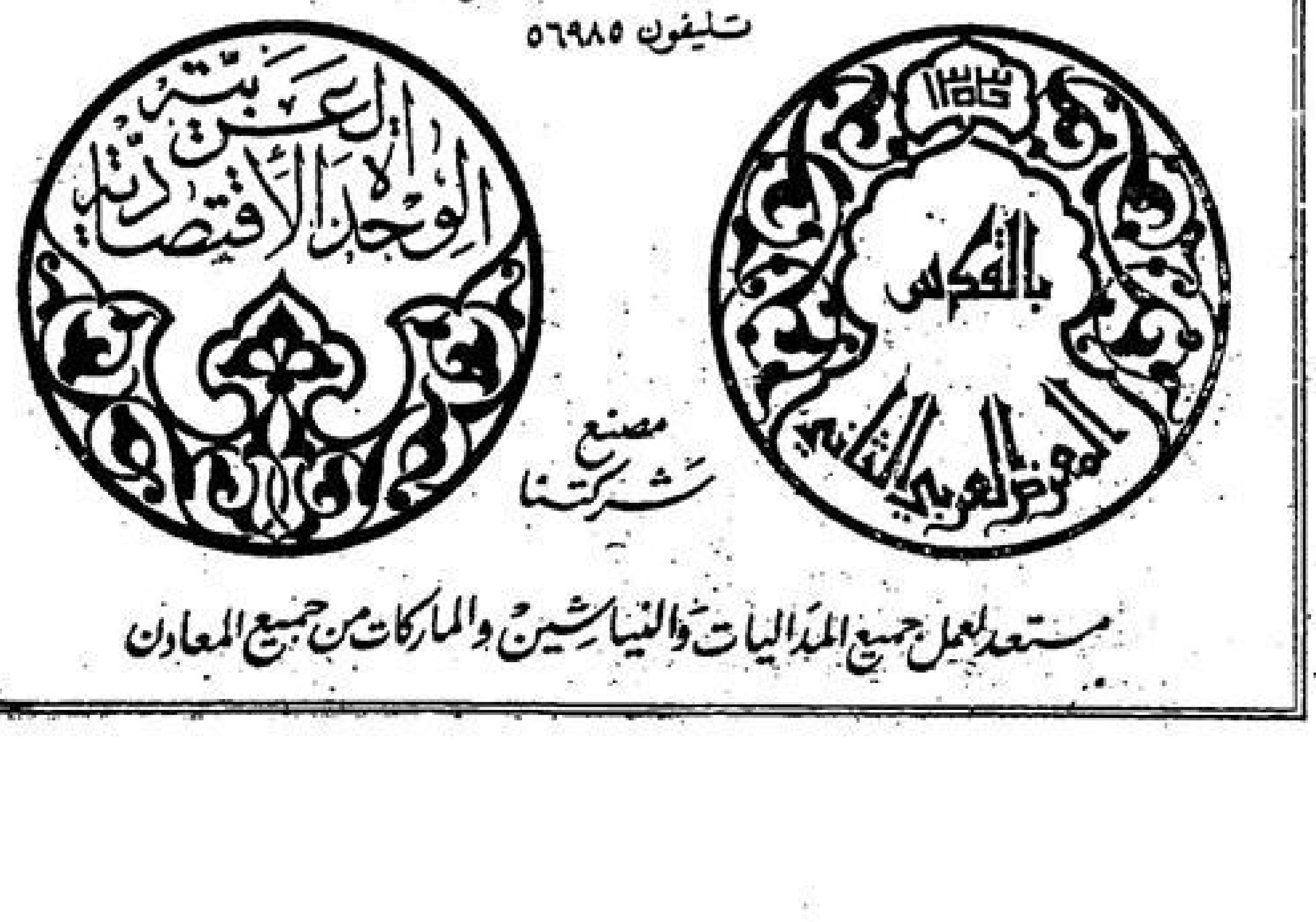

مستعد لعمل جميع المداليات والنياشين والماركات من جميع المعادن

مدالية
المعرض العربى
الثانى

زوروا القسم المصرى
بالمعرض العربى
وسجلوا أسماءكم فى
الكراسة الخاصة
لترسل لكم عيناتنا

٥ - شـــهر بالغردقة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

والتنظيم الادارى فى منطقة الآبار بالغ درجة عظيمة من الاتقان ، والدخول فيها لغير موظفى الشركة غير مسموح ، والتدخين فيها ممنوع والقائمون بالعمل فيها ثلاث فئات ، طبقة الموظفين الكبار وجلهم انجليز ومنهم المهندسون ورؤساء الاقسام ، ثم طبقة كبار الصناع ، وهم خليط من الانجليز والفرنسيين والارمن ، ثم طبقة الصناع والعمال وغالبيتهم من المصريين من أهالى قنا وقفط ، ويقيمون فى قرية منازلها نظيفة منسقة فى طرفها الشمالى مسجد كبير شيده العمال على نفقتهم الخاصة ، ويقوم بالامامة فيه عالم من الازهر سمعته يوم الجمعة يلقى الخطبة بعبارة مهذبة جلية ، وبالقرب من المسجد كنيسة للاقباط ، وفى الجهة الغربية من القرية مدرسة أولية يتعلم فيها أولاد العمال وصغار الموظفين ، وبالقرية حانوتان كبيران تباع فيهما انواع الحاجات المنزلية باثمان معتدلة ، وسكان القرية نحو ٦٥٠ نسمة منهم ٤٥٠ من الصناع والعمال

وبالغردقة طبيب ومأمور تابع لمصلحة الحدود لفض المنازعات ، ويقيم بها أيضا مفتش سواحل البحر الاحمر ، وهو موظف مصرى كبير تمتد سلطته من جنوبى القصير حتى السويس ، ومركزه دقيق فهو يقوم بالحكم فى أربع مناطق نفوذ لشركات اجنبية قوية ، فى القصير وسفاجة شركتان للفوسفات الاولى طليانية والثانية انجليزية ، وفى الغردقة ودمشة شركتان للبترول وهما انجليزيتان ، ومن اهم واجباته صون النظام العام داخل هذه الشركات والمحافظة على الأرواح والاملاك

فى سفاجة

فى طريق معبدة تارة تحاذى البحر فى انبساط وطورا تحيد عنه الى سفوح الجبال فتعلو وتهبط وتنحنى وتنثنى — فى هذا الطريق درجت بنا السيارة فى الصباح جهة الجنوب قاصدة سفاجة إحدى موانى الفوسفات على البحر الاحمر فوصلناها ضحى ، بعد أن قطعنا سبعين كيلومترا فى ثلاث ساعات ، وسفاجة كالغردقة - كل منهما مركز لشركة أجنبية ، فهناك البترول وهنا الفوسفات ، وهناك (فيللات) مشيدة ومساكن منسقة وهنا أيضا (فيللات) ومساكن ، وهناك الرأس أجنبية واليد مصرية ، وهنا الحال كذلك

وتقع سفاجة فوق البحر على سفح جبل عال من الجرانيت وأمامها جهة الشرق جزيرة طويلة مرتفعة ، وهى كالغردقة طلقة الهواء خفيفة الروح

ولسفاجة مرفأ حسن نصبت فوقه الروافع القوية ومدت عليه سكة حديدية ، وعلى مقربة منه تقوم مخازن الشركة ومصانعها ومكاتبها ومقطرات الماء (الكوندسة)

نزلنا نقطة بوليس مصلحة الحدود وبعد راحة قصيرة ذهبنا الى المرفأ حيث كان فى انتظارنا سفينة شراعية من مراكب الصيد فسارت بنا صوب الجزيرة فى بحر مضطرب ، وبعد ساعة أرست أمام شاطىء مرجانى ، فانصرف بعضنا الى الجزيرة للرياضة وصيد الطيور ، ومكث البعض الآخر فى القارب يلهو بصيد السمك بالشص ، وانتجعت ناحية فى المركب قرب مقدمها ، وجلست أسرح البصر فى البر والبحر - كان المنظر بهيجا حقا يملأ النفس انشراحا وحبورا ، فجهة الغرب سفاجة بمنازلها ناصعة البياض ، ومن خلفها الجبل قائم كالستار الاسود فبدت البلدة أشد ماتكون وضوحا وتحديدا ومن تحتها البحر يمتد فى زرقة نضرة الى الافق جهتى الشمال والجنوب ، وفى محاذاة البحر الشاطىء متجعدا متعرجا فى نتوء وانحناء ، ومن وراء الشاطىء سلسلة جبال العرب تسمو فى عظمة تتضاءل مع مد النظر حتى تصير هى والبحر خطين

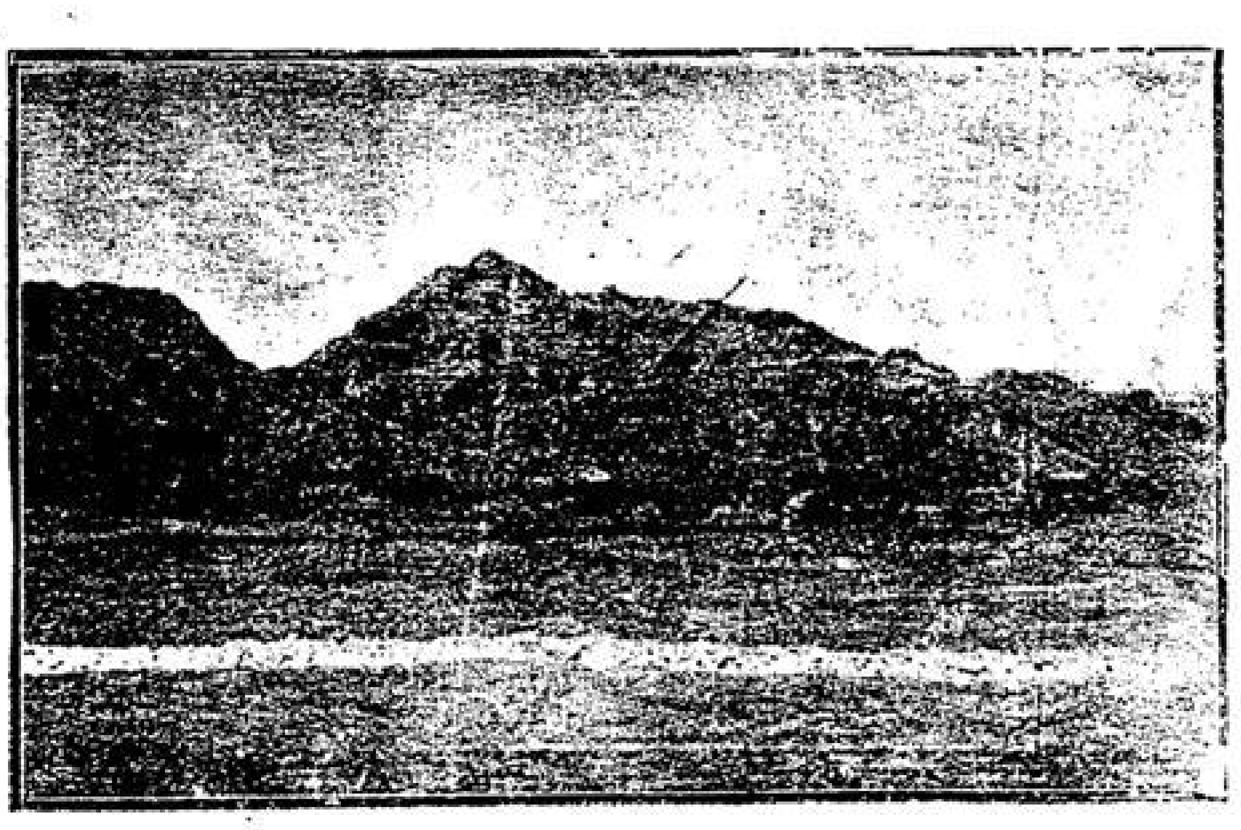

سفاجة : موقع البلدة

متوازيين يلتقيان والسماء، وجهة الشرق جزيرة سفاجة فى صفرة شديدة تنعكس صورتها فى الماء فيبدو أخضر قاتما، والقارب فوق الماء كالارجوحة يعلو ويهبط فى رفق وهوادة، والموج يلطم جانبيه فى توقيع كالنقر على الدف ونسيم بليل عليل يخدر الاعصاب ويثقل الجفون ويجعل النوم اشهى مايكون — فاتكأت بظهرى على (برميل) كان بجانبى والنوم يغالبنى، فكنت اغفو تارة وأصحو أخرى، وقدمرت على ساعة هكذا وانا فى سعادة مابعدها سعادة

كان شريكى فى (البرميل) احدنوتية القارب جمعت سحنته كل مميزات عرب الحجاز من سكان السواحل، فوجه طويل نحيف تحيط به لحية شعثاء خفيفة وعينان صغيرتان براقتان فى حاجر بارز فوقه حاجب غزير الشعر، وبشرة نحاسية صقيلة وجسم ناحل دقيق، وصاحبى رقيق الحال لايستر جسمه سوى أسمال من بقايا ثوب عتيق عقد أطرافها وخاط فتوقها على غير انتظام بغرز طويلة، فكانت معرضا لانواع الخيوط وألوانها، كان جالسا القرفصاء وقد بسط فى حجره جلدة سمك مقددة امسكها باحدى يديه واستعان باليد الاخرى على تمزيقها قطعا كان يحشى بها فمه ويلوكها ثم يبلعها من غيرادم، وبعد أن أكل الجلدة حتى ذيلها ورأسها وزعانفها مد يده الى ناحية من المركب فاخرج منها علبة دخان قبض منها بين أصبعيه قبضة صغيرة من دخان أغبر، دس فيها قطعة صغيرة من مادة حجرية بيضاء، ثم ضغطها والقاها فى فمه، وبعد أن مضغها القاها فى حلقه كذلك

فقلت ماذا تفعل يا أخى؟

فاجاب غير مكترث:

— هذه سمكة آكلها وهذا تبغ أمضغه

— وهل أشبعتك هذه الجلدة؟

— الحمد لله تكفى

فقلت فى نفسى مكررا عبارته الحمـــد لله الذى لايحمد على النعمة والحرمان سواه، وقبيل الظهر أقلعت بنا السفينة عائدة الى سفاجة فى بحر هائج وريح قوية، فكانت نزهة بحرية لم تخل من مجازفة

وبعد الظهر توجهنا إلى مكتب مدير الشركة فاستقبلنا بحفاوة وأخذ يصف لنا أعمال الشركة فقال: هنا المرفأ والمطاحن والادارة، وفى وادى الحويطات على بعد ٢٢ كيلو متراً من هنا مناجم الفوسفات، والفوسفات كما تعلمون صخر تكون منذ عصور جيلوجية بعيدة من تراكم عظام حيوانات فقرية برية وبحرية من أسماك وزواحف، ومع مرور الزمن الطويل تحولت هذه العظام الى مادة متماسكة مندمجة يقال لها فى علم الكيمياء فوسفات الكلسيوم، ويوجد الفوسفات ضمن طبقات العصر الطباشيرى فى بعض جهات القطر المصرى، كسفاجة والقصير، واسنا، وفى بعض الواحات، والفوسفات لا توجد نقية بل مختلطة بصخور أخرى، وتختلف نسبتها فى الصخر الخام من ٣٠ فى المائة إلى ٧٥ فى المائة، على أن النوع الذى يطلب عادة فى التجارة هو الذى يحتوى على ٦٠ فى المائة — ونستعين بالطرق الميكانيكية على استنباط الفوسفات من المناجم ونستخدم كذلك عدد كبيراً من العمال فى عمليات الحفر، وفرز أحجار الفوسفات وفصلها عن المواد الاخرى، وفى شحنها من المناجم إلى المطاحن. وبين سفاجة ووادى الحويطات سكة حديدية تنقل فى الذهاب الماء العذب والزاد للعمال والموظفين، وتنقل فى العودة الفوسفات

ثم انه دعانا لمصاحبته الى المطاحن، وهى بناء كبير من طبقات قد ركبت فيها ما كينات على هيئة اسطوانات كبيرة، داخلها كرات ملساء من الصلب يلقى فيها حجر الفوسفات بعد تجفيفه بنشره فى الهواء تحت أشعة الشمس، فيتبخر ما به من الرطوبة فأذا دارت الاسطوانات طحنت الكرات الفوسفات وجعلته كالدقيق الناعم (البودرة) وبعد تعيين نسبة الفوسفات الخالص فى عينات الدقيق المختلفة ثم مزجها بالقدر اللازم توضع فى أكياس ذات سعة محدودة وترسل للمخازن حيث (تشون) للتصدير.

ثم بعد ذلك جلنا حول المطاحن وشاهدنا الفوسفات وهو منشور قبل نقله اليها وهو على هيئة صخر أبيض اللون يميل الى الصفرة، ولاتزال ترى فيه بقية من أسنان الأسماك التى كونته وبعضها صغير شديد الاندماج كبير لايختلف كثيرا عن أسنان الحيوانات البحرية التى تعيش الآن، وقال المدير إنهم احيانا يعثرون على بعض أجزاء من عظام الحيوانات القديمة حافظة شكلها

ثم انتقلنا الى مقطرات الماء العذب من ماء البحر، ثم زرنا مكان توليد القوة التى تدير المطاحن والدوافع، وتنير المدينة بالكهرباء.

والفوسفات سماد لبعض المزروعات، وهو شائع الاستعمال فى كثير من الجهات، على أنه فى حالته الطبيعية لا يصلح سماداً لقلة ذوبانه فى الماء ولذلك يصدر للخارج لتحويله الى مادة تذوب يقال لها (سوبر فوسفات) ومعظم الناتج من مناجم سفاجة يصدر لليابان لهذا الغرض

وسكان سفاجة نحو خمسمائة منهم أربعمائة من العمال والصناع وكلهم تقريبا من المصريين

وفى الأصيل عدنا الى الغردقة فبلغناها قبيل العشاء.

الدمرداش محمد

النقد

شهر زاد

للدكتور محمد حسين هيكل بك

وأقصد بشهرزاد التي أتحدث الآن لقراء الرسالة عنها، مسرحية توفيق الحكيم الأخيرة

تلوتها للمرة الأولى فاغتبطت، وتلوتها للمرة الثانية فأعجبت، ثم جعلتها بعد ذلك سمير أويقات السأم، أتلو فيها بعض صحف من منظرها الثالث أو من منظرها الأخير، فأستريح للتلاوة وأبرأ من سأمى

ترى أيرجع الفضل فى ذلك الى فن الأستاذ توفيق الحكيم، هذا الفن الذى يقصد به لوجه الفن وحده، أم يرجع لما ينطوى عليه اسم شهرزاد من سحر قديم، سحر رد الملك شهريار عن قتل العذارى ألف ليلة وليلة، وأوحى بموسيقى شهرزاد الرائعة، وأصبح علامة على ما يجرى فى الظلام وتحت ستر الليل، وجعل المتحدثين يسكتون عن الكلام المباح كلما جل الأمر ودهى الخطب.

أريد أن أقتنع بأن الفضل فى اغتباطى ثم فى إعجابى يرجع الى فن الأستاذ توفيق الحكيم، هذا الفن الحديث الذى يجارى أحدث أطوار الفن فى أوربا، تتبعنا نحن ولم نتمثل. وأقصد بنا نحن الذين تمثلوا الفن القصصى أو الفن المسرحى أو ماسواهما من صور الفن الغربى قبل الحرب. أما ما بعد الحرب فقد تتبعنا الى حد أطوار الفن، ولكن مادهمنا من مشاغل طغى على تمثيلنا إياها، وقد تنقل الفن بعد الحرب فى أطوار شتى كان الأستاذ توفيق الحكيم مأخوذاً فى تيارها أثناء مقامه بباريس، فلا عجب أن يتمثلها بل أن تتمثله. ولا عجب وله فى الأدب المسرحى ما له من مواهب أن تدفعه ليخرج للناس مسرحيتيه أهل الكهف وشهرزاد.

وأنت تقرأ شهر زاد وتعيد قراءتها وتغتبط وتعجب ثم تسائل نفسك: ماذا فيها وما هى الفكرة التى تنطوى عليها؟ وقفت أمام سؤالك نفسك ولا تكاد تحير جوابا. بل لعلك تجد الجواب اذ تطرب بعد ذلك لسماعك لحنا من الموسيقى تهتز له جوانب فؤادك، وتشيع له الغبطة فى أنحاء نفسك، ثم تسأل: ماذا فى هذا اللحن وما هى الفكرة التى ينطوى عليها؟ وتستطيع أن تجيب بعد ذلك لا شىء ولا فكرة، وإنما هو الفن يغذى النفس بالغذاء الروحى الذى تصبو اليه فى الساعة التى تنال فيها هذا الغذاء. وتستطيع أن تجيب بأن فى هذا اللحن كل شىء وأسمى فكرة، وأنه يتناول أجل ما فى الحياة من معان وصور

وذلك شأن مسرحية شهرزاد، فلا شىء ولا فكرة فيها وفيها كل شىء وكل فكرة. فالملك شهريار الذى قتل زوجه الأولى وقتل معها العبد الذى وجده فى أحضانها قد أقام يقتل عذراء فى كل ليلة انتقاما لنفسه من غدر النساء، حتى تزوج شهر زاد، لكنه لم يقتلها لأنها بدأت تقص عليه أحسن القصص ولا تتم قصتها إذا كان الصباح. وتعود اليها اذا جن الليل، حتى انقضت الف ليلة وليلة، وشهرزاد لم تكن الى يومئذ تبلغ العشرين. كيف لها إذن أن تعرف كل هذا الذى تقصه؟ وكيف تراها وهى تعرف ذلك كله لا تريد أن تبوح لشهريار بسرها وسر الطبيعة وسر الكون كله. هذه مسرحية توفيق الحكيم من أولها الى آخرها، هى كما ترى لا شىء ولا فكرة فيها. ولكن لا، ففيها كل شىء وكل فكرة، استمع اليه حين يصور هذه الفكرة الاساسية التى تنتظم المسرحية كلها على لسان شهريار حين يثور بشهر زاد لانها تلح عليه فى أن الحياة ليس بها ما يستحق العلم، وانها لا سر فيها، وأنها هى - شهر زاد - ليست الا امرأة ككل النساء ذات أم وأب وماض معروف، يثور شهريار ويتحدث كمن به مس، وكمن يتحدث إلى نفسه فيقول: قد لا تكون امرأة، من تكون؟ إنى أسألك من تكون؟ هى السجينة فى خدرها طول حياتها تعلم بكل ما فى الأرض كأنها

الأرض ! هي التي ماغادرت خميلتها قط ، تعرف مصر والهند والصين! هي البكر تعرف الرجال كامرأة عاشت ألف عام بين الرجال ، وتدرك طبائع الانسان من ساميه وسافله ، هي الصغيرة لم يكفها علم الأرض فصعدت إلى السماء تحدث عن تدبيرها وغيبها كأنها ربيبة الملائكة ، وهبطت إلى أعماق الأرض تحكى عن مردتها وشياطينها ومساكنهم السفلى العجيبة كأنها بنت الجن ! من تكون تلك التى لم تبلغ العشرين قضتها كاترابها فى حجرة مسدلة السجف ! إما سرها ؟ أعمرها عشرون عاما ، أم ليس لها عمر ؟ أكانت محبوسة فى مكان ، أم وجدت فى كل مكان ؟ إن عقلى ليغلى فى وعائه يريد أن يعرف . . . أهى امرأة تلك التى تعلم مافى الطبيعة كأنها الطبيعة ؟ »

أسمعت ؟ إن بنا ظمأ لأن نعرف . ولكننا لا نستطيع أن نعرف ، وما نزعم أننا عرفناه اليوم سيقول أبناؤنا غداً إنه حديث خرافة ، كما نقول نحن عما عرف اجدادنا أنه حديث خرافة ، هذا كلام لا شيء ولا فكرة فيه كما ترى . وهو مع ذلك كل شيء وهو مع ذلك طريف وأن تكرر كل يوم مادام يتكرر فى اسلوب من له روعة أسلوب توفيق الحكيم المسرحى . وهو طريف وإن تكرر لأنه يدعونا للمحاولة كى نعرف أنى الحياة جديد

فإلى أى شيء نسعى فى الحياة ؟ وما غرضنا منها ؟ هذا ما يريد شهريار أن يعرف . وتقول له شهر زاد إن الحياة هى السعادة . والسعادة يجب أن يلتمسها الرجل فى جسم امرأته . ويأبى شهريار ويتكدر ويكاد يقتل شهر زاد . ولكن شهر زاد تتبدى له فى روعة جمالها كاملة فيتمنى لو تحبه ليكون سعيداً . وفى أحلام الحب ينام !

وشهرزاد فى مسرحية توفيق الحكيم هى المرأة ، وهى الطبيعة ، بها يفتن شهريار ، وبها يفتن وزيره قمر ، وبها يفتن العبد . وبها يفتن الناس جميعا ، ومنها يخاف الناس جميعا . يلتمسون منها المعرفة ، ويلتمسون منها الحقيقة ، ويلتمسون منها السماح ، ويلتمسون منها السعادة . وينالون من ذلك كله فتاتا لا يغنيهم ، ولكنه يقتلهم . الوحيد الذى ينجح هو العبد الذى استمتع بجسد شهر زاد ، والذى احبت شهر زاد رغم سواده وغلظته ، لان الزهرة البيضاء الرقيقة تنبت من الطين الاسود والغليظ ، ورغم قبحه وضعة أصله ، لأن سواد اللون وضعة الاصل وقبح الصورة هى الصفات الخالدة التى تحبها شهر زاد ، والتى تعشق الطبيعة وإن كانت الطبيعة وكانت شهر زاد مثلها لا يعشقان أحداً .

لعلى استطعت بالقليل الذى تقدم ان أصف الأثر الذى تركت فى نفسى مسرحية توفيق الحكيم الأخيرة وهو كما ترى أثر يتعدى الغبطة الى الاعجاب . لكننى لاحظت عليها كأثر من آثار توفيق الحكيم ، ما لا يتفق وما كان بارزا واضحا فى أهل الكهف وفى قصة عودة الروح ، وفى آثاره الوجيزة الأخرى التى تنشر فى المجلات ، فقد كان بروز الشخصيات ووضوحها بعض ما امتازت به هذه الآثار كلها . أما فى شهر زاد فالكل فلاسفة فى قوة واحدة . الملك والوزير قمر ، وشهر زاد والعبد والجلاد والساحر يتحدثون جميعا ومنطق كل واحد منطق الآخر وقوته قوته ، وأنوثة شهرزاد أنوثة فلسفية هى الأخرى . وحب قمر اياها أقرب لأن يكون حبا فلسفيا لا يخضع لضعف الحب الا بالكلام وهذا فى رأينا مأخذ وإن سترته قوته المسرحيـــة . وهو مأخذ بالنسبة لتوفيق الحكيم بنوع خاص ، لكنه لا يغض من قيمة أثر له من الجلال ما قدمنا ، وله الى جانب جلاله أنه أثر خالص للفن وهذا ما لا تجده فى الادب العربى الحديث الا نادرا واندر من النادر

محمد حسين هيكل

كتاب

حديقة الإنشاء

تأليف

علي الجندي
مدرس بمدرسة الناصرية الأميرية

حسن علوان
مدرس بمدرسة شبرا الأميرية

ظهرت الطبعة الرابعة من كتاب حديقة الانشاء وهو خير كتاب يفيد التلاميذ لتعدد مواضيعه وحسن اختيارها وهو مطبوع طبعا حسنا وعلى ورق جيد

فاطلبوه : من مطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بمصر
ومن مكتبة الهلال بالفجالة بمصر والمكاتب المشهورة

ديوان الينبــوع

للدكتور احمد زكى ابو شادى

راقنى ما دبجته براعة الأديب الحلبى الفاضل (المرتينى) نقدا لديوان (الينبوع) فقد استهله بمقدمة بديعة عن ماهية الفن ، هى من صفوة ما كتب فى هذا الموضوع ، وهى وحدها كافية لاحترام بيانه وللصفح عن زلات نقده .

وكان أول ما أخذه على، اشارتى الى أن الشاعر الألمانى العظيم هنريش هينى (Heinrich Heine جمع فى شعره بين نفحات القديم وبين النزعة الرومانطيقية التى كان آخر شعرائها فى قومه ، وبين نزعة التحرر العصرى التى ساعد على تكوينها ، وقد أصبحت الصورة الغالبة على الشعر العصرى فى الغرب صورة الرومانطيقية الواقعة (romantic realism)

أتعرف بماذا علق الأديب المرتينى على ملاحظاتى هذه؟ إنه لم يتعرض لها ولو بكلمة نقدية واحدة وإنما اتخذها تكأة ليقول هذا القول الغريب الذى لاصلة له بموضوعها إذ يعلن : « اننا لانجاريه فى قوله ولانجاريه فى استشهاده بالشاعر الالمانى العظيم ، فبينما يشرح ذلك الألمانى النبيل عواطفه المتدفقة فى نفسه أو يشرح نفسه الواسعة الفياضة بانواع من النظم نرى الدكتور لايرتفع فى شعره عن أن ينظم فى بعض مناسبات خاصة . وفرق كبير جدا بين هذا الشعر الذى يكاد يكون شعرا صحفيا وبين شعر هينى المختلف المتناسق الذى نرى اختلافه فى أغراضه وسعتها ، والذى نراه يتناسق فى الصفات الأولى التى تتصف بها نفس ذلك الشاعر العبقرى ، وكل هذا لاشأن له بتعرضى لشعر هينى ولا محل له من النقد المتزن

إن ناقدى الفاضل يشير فى مقدمته الى أن الفن يرسم الشعور الانسانى فى ظروفه العاطفية المختلفة ، وهذه سطور مقدمته بين أيدى القراء ناطقة بذلك ، فكيف يأتى بعد هذا مصغرا فينعت شعرى بشعر المناسبات وبالشعر الصحفى ؟! إن جميع الشعر يامولانا فى أصله شعر مناسبات وبواعث لأنه لايفتعل افتعالا ، وانما سمينا الشعر السطحى الذى لاينتظر له الخلود بشعر المناسبات من باب التجوز إشارة الى أنه يعيش فى حيز مناسبته الوقتية ، ولأنه ليس بالشعر الانسانى العميق ، وشتان بين التعبيرين . . . .

فهل صحيح أن شعرى من هذا الضرب الأخير ، لالسبب إلا لأنه مناسبات بعضه عامة ؟ وهل هذا عذر ينهض للاصغار من روائع الشعر العربى والاوروبى التى خلقت فى مناسبات عامة لاتعنى الشاعر وحده ؟! أن مثل هذا النقد لن يقبله أى أديب مستقل ، خصوصا وهو نقد مبهم لاتعززه الشواهد ، ولا أعرف شيئا يسىء الى النقد أكثر من هذه البراعة فى الابهام ، ومن هذه الاحكام التى لا « حيثيات » لها . . . .

إنى لم أقطع على ناقدى الطريق حين أشرت الى ضرورة التجاوب بين الناقد والشاعر حتى يجىء النقد تفسيراً أدبياً صادقاً للشعر ، لانى لاأفهم من النقد أن يكون لوناً من ألوان النفور أو التحامل . وقد آخذنى على أشارتى الى أنه ليس محتوماً على غير مريدى أن يطلعوا على شعرى حتى أكون معرضا لمؤاخذتهم اياى ، متوهما أنى بذلك أصد الناقدين عن شعرى أو أتعالى عليهم. والواقع انه لايوجد أديب معاصر شجع النقد الأدبى واحترمه أكثر مما شجعته ، ولدى صديقى الألمعى صاحب مجلة (الرسالة) آخر مثل يعرفه عن ذلك ، فليطمئن بال الاديب المرتينى ، وليثق بأن كلمتى هذه ليست موجهة الى أمثاله من أفاضل النقاد ، وانما وجهتها الى جيش من المتطفلين على الأدب الذين ينالون ما ينالون من تشجيع فى الصحف العامة ولايتورعون عن أن يقولوا مثل هذا القول : « ان شعر فلان يخصب وجوهنا » فليت القدر يخرسه مادمنا عاجزين عن ذلك ، وهذا بلا نزاع اسفاف فى النقد ، ولكن له سوقه النافقة ، فكلمتى المنطقية الهادئة الموجهة الى هؤلاء الكرام لاغبار عليها .

وتحدث ناقدى الفاضل عن ميولى المتباينة ، ولست أرى تباينا بينها ، مادامت نفسى تؤلف منها وحدة فنية ، ولكل نفس طبيعتها واستعدادها ، كما أنى لست فذا فى هذا : فهناك شواهد كثيرة على تنوع الميول عند أعلام الفكر والادب فى الشرق والغرب ، ولم يكن هذا التنوع مؤديا الى العجز أو التقصير الفنى ، بل كان شاحذا للمواهب الفنية ، دافعا الى الانتاج الناضج الوفير .

وادعى سامحه الله أنى مجدد ملتوى التجديد ، وأنى قد وقفت نفسى على أدب الغرب ، وأنى أحاول فى عسرى أن أضع لنفسى مزاجا خاصا ، وأنى أتمثل لقارئى فيكاد ينفر منى لضعفى فى التعبير وتقصيرى فى التصوير وفقرى فى التفكير . . .

ومثل هذا الانتقاص الذى يقال جزافا أمره سهل لدى كل من يطـاوعه قلمه على تحبيره ، ولكن الناقد المنصف المدقق يقر بشغفى العظيم بالأدب العربى وخدمتى أياه ، وأن عنايتى بالأدب الأوربى هى عناية الراغب فى إعزاز أدبنا العربى وتبديل فقره غنى، وسد ما فى مناحيه من فجوات يشعر بها كل مطلع على الآداب العالمية . وليس لمثلى أن يزكى أدبه وإن دافع عنه ، ولكنى أزكى مدرسة أدبية أنا أحد أفرادها ، وقد كتبت من قبل ما يغنى عن الافاضة فى « الرسالة » ، كما يغنينى ما ظهر حديثا فى مجلة « الامام » للشاعر الياس قنصل ، وفى صحيفة « الأهرام » للشاعر سيد قطب ، عن الرد على ذلك الانتقاص المبهم الذى لن تطاوعه الشواهد مهما تلمسها ناقدى الفاضل .

ولكنه قد جاء بما يحسبه شاهدا مفحما فى تعليقه العجيب على صورة « الينبوع » (ص ١٧ من الديوان) .... ان ذلك التعليق وتلك الخطرات هى نظراتك أنت ياناقدى العزيز ، وأما أنا فلا أعرفها بل اشمئز من تعابيرك كل الاشمئزاز . أما نظراتى أنا فنظرات الفطرة السليمة المتسامية التى تأبى التصنع والشذوذ والتدلى ، وتقول فى صراحة :

يا جمال النور فى الظل الحبيب يا جمال الروح فى الجسم الرطيب
هذه الدنيا لأحلام الأديب هـذه غايات آمال الاريب
أيها الينبوع كم ساع اليك يدعى بغضا لما أهوى لديك
كل ما يرجوه موقوف عليك فاذا الانعام منك واليك !

أنت سحر غامـض للعالم أنت ينبوع الرجاء الدائم
أنت موسيقى الخـلود الباسم أنت ومض للشريد الهائم !

أيها الينبوع يا رمز الابد يا شعاع الله فى طيف الجسد
كم معان فيك كادت لا تحد وعـزاء عن حياة تفتقد !

إنما أرنو اليك فى خشوعى ما ابتسامى غير لون من دموعى
أنا لحن بين أطياف الربيع من طيور وغدير وزروع

أنا أحيا حينما أجنى رضاك حينما جسمى وروحى عانقاك
حينما لبيت مسحورا نداك فاذا بى لا أرى العيش سواك

كل همى فى حياتى يستحيل حينما أخشع للفن الأصيل
حينما أروى من النبع النبيل ذاك نبع الحب فى الجسم النبيل !

فاذا كان الأديب المرتبى لا يرى فى هذا الشعر الطبيعة الصافية المتسامية فالذنب ليس ذنبى . وما أراه منصفا فى مهاجمة الذوق الفنى لمصور (سكس ابيل) وهو من أعلام فنه ، إنى مصدق صاحبى فى تأكيده أنه قرأ الديوان من الجلد الى الجلد ، ومع ذلك أومن بانه لم يقرأه ، وأومن كذلك بأنه فى ذهنيته ونفسيته الحاضرة لا يحمل ذرة من التجارب مع شاعريتى ، وانما يؤدى به مزاجه الخاص الى النفور منها ومن كل ما يمت اليها بصلة ، ناظراً من وراء منظار أسود شاقه أن يلبسه ، والا فبماذا يفسر تصويره لاحترامى النقد الأدبى وتشجيعى رجاله ، ذلك التصوير الغريب الذى ابتدعه فى قوله : « وما عرفته (يعنى كاتب هذه السطور) وغيره من اخواننا المصريين إلا أباة على النقد يثيرون من أجله المعارك ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع ....؟ ! لقد ظهرت فى الاعداد الثلاثة الأخيرة من مجلة (أبولو) تعليقاتى على نقد ديوان (الينبوع) فهل يستطيع حضرة الناقد الفاضل اذا التزم الانصاف أن يجد فيها دليلا واحداً يعزز دعواه هذه التى أنكرها كل الانكار ؟ أما عن لغتى فما أحسب صاحبنا فى المكانة التى تسمح له بذلك النقد ، وقد نقد (الينبوع) فعلا رجال ذوو بصر فنى باللغة ، ومنهم من تخصص فيها كالسيد مصطفى جواد ، فما قالوا الا عكس ماذهب اليه صاحبنا .

وقد تصدى لنقد بيتين من قصيدة (دانيال فى جب أسود) — ص ٥٠ من الديوان — وهى من الاسرائيليات المشهورة التى راقنى تسجيلها شعراً ، فجاء نقده معلنا جهله أو تجاهله لهذه القصة الدينية ، وراح يلوم على ما يستحق الثناء من ايجاز أو تركيز فى محله أو بساطة يدعو اليها سياق القصة ، وكأنه أراد بالاقصوصة الشعرية الوجيزة أن تكون تفصيلا خبريا عن الحوادث لا لمحة شعرية من روح الموضوع ... واذا كان شعرى فى حكم العدم كما يريد الأديب المرتبى أن يقول ، فلماذا يشغل نفسه وقراء (الرسالة) بأكثر من ثلاث صفحات نقدية وهو يعلم أن هذا الضرب من الشعر لا تعنى به الا أقلية من الادباء . فهل صحيح أنه فى حكم العدم ؟ !

أن الشواهد التى يسوقها النقاد هى دائما كافية لتعزيزهم أو لخذلانهم ، ولذلك يتهارب النقاد العاثرون من الاتيان بالشواهد ، والأديب المرتبى كان بعيداً جداً عن التوفيق فيما ذكره من شواهد

من غير تفتيش أو تنقيب على مايقول . . . وحسب القارىء أن ينظر فى هذه الأبيات من قصيدة «العودة» (ص ٣٠ من ديوان الينبوع) وقد وجهها الى الدكتور زكى مبارك الذى كان بصحبتى فى قطار البحر عائدين من الاسكندرية :

وداعا للرمال وللمغانى   وداعاً للملاحة ياصديقى
أتذكر كيف كان الموج يجرى   كما يجرى الشقيق الى الشقيق ؟
وقفنا فى جوار اليم سكرى   كسكر الناظرين الى الرحيق
نرى فى البر الوان التناجى   وفى البحر المشارف والعميق
كأن الحسن ذاب بكل لون   نراه ، وفى المياه وفى الطريق !
سكرنا سكرة الحرمان حتى   كلانا كالأسير وكالطليق
وهذا الجو يملؤه حنان   ولو أن الغروب من الحريق
وأبنا أوبة المهزوم ، لكن   بنا طرب من الأدب الحقيق !

فهذه القصيدة التى أعجب بها استاذنا مطران اعجابا عظيما لم تستحق من ناقدنا الفاضل غير السخرية المبهمة التى إن لم تكن سخرية المغرض فهى سخرية المتسرع الذى يهرع الى قلمه قبل أن يتمثل الموضوع الشعرى ويستوعبه الاستيعاب الواجب .

بيد أنى مستعد للايمان بحسن طوية الكاتب الفاضل ، وأؤكد له أن نصائحه هى فى صميم نفسى ، ومع ذلك فرحباً بنصائحه وبغيرته على اللغة ! فهل له بعد هذا أن يأخذ نصيحة متواضعة منى مشفوعة برجاء : تلك أن يدرس الطاقة الشعرية عند الشعراء المختلفين فسوف يجدها متباينة ، وأن طبيعة الاجادة الفنية لاشأن لها بالانتاج ، بل ربما رهفتها كثرته ، وأن الشاعر الملتوى الاسلوب الضعيف البيان السقيم الذوق لايجديه إكثار ولا إقلال . . . وهو وغيره أحرار بعد ذلك فى وضعى فى المكان الذى يرضى نفوسهم ، وأما رجائى فمحصور فى مبدأ أدبى عام يؤمن معه العثار النقدى ويمثله هذا البيت :

كن أنت نفسى واقترن بعواطفى   تجد المعيب لدى غير معيب

احمد زكى أبوشادى

مصوغات بقشرة ذهب مضمونة خمس سنوات

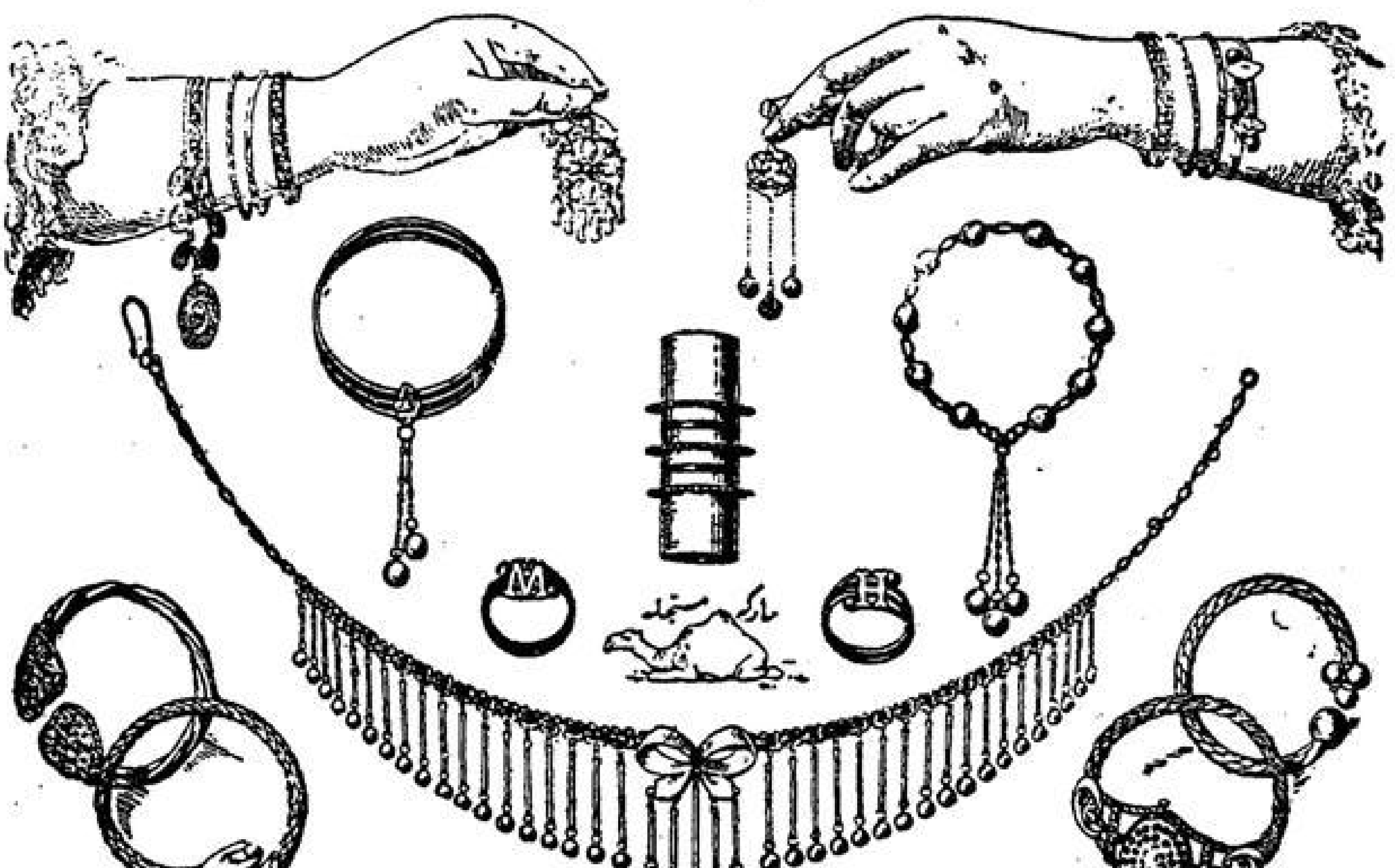

اطلبوا عيناتنا
للسودان . والحبشة
والعراق . واليمن . والشام
والهند . وطرابلس . وتونس
ومراكش . والحجاز
والعجم
وجميع الاقطار الشرقية

شركة مصوغات الجمل المصرية
الادارة : شارع خان أبو طقية بالصاغة . تليفون رقم ٥٦٩٨٥ ـ صندوق البوستة رقم ٦٩١ مصر

من حديث الشهداء

بقية المنشور على صفحة « د »

يقول ذلك ثم يجود بنفسه بين ذراعيها . هنالك نذرت سلافة لئن قدرت على قاتل ابنيها لتشربن فى قحف رأسه الخمر ، وهنالك اذاعت فى أهل البادية واعراب الحجاز ان من جاءها برأس ابن الأفلح هذا فله مائة من الابل . هذا أصل الشر وهذا مصدر البلاء .

قال قائل وأى شيء لا يفعله الاعراب فى سبيل جزور فضلا عن عشرة من الابل ، فضلا عن مائة من الابل ؟ قال نسطاس : والغدر أيسر ما يفعله الاعراب ليبلغوا أيسر من هذا المال .

أقبل جماعة من هذيل على صاحب يثرب فزعموا له انهم قد آمنوا به وأسلموا له ، وان دينه قد فشا فيهم ، وسألوه أن يرسل معهم من يفقههم فى الدين ويعلمهم شرائعه . يظهرون الأخلاص ويضمرون الغدر ، لا يبتغون الا أن يظفروا بنفر من أهل يثرب يبيعونهم من قريش لتصيب بهم ثأرا وليصيبوا بهم مالا . ويريد الله لأمر قضاه أن يختار نبى يثرب ستة من أصحابه وأن يؤمر عليهم عاصم بن ثابت بن الأفلح الذى كانت تبتغيه سلافة ، وان يرسل هؤلاء النفر من أصحابه مع أولئك الغادرين . فما هى الا أن يقربوا من مكة حتى يظهر الخفى ويصرح الشر ويتبين الغدر . واذا الذين كانوا يعلنون ايمانهم يستصرخون فيأتيهم الصريخ من هذيل . واذا اصحاب محمد يرون الغدر فينحازون الى الجبل ويعاهدهم أعداؤهم على ألا يقتلوهم ولا يمسوهم بأذى أن هم القوا بايديهم . فاما عاصم واثنان من أصحابه فيقسمون لا ينزلون على عهد كافر أبدا . ويقاتلون حتى يقتلوا . وأما الآخرون فيحبون الحياة ويلينون لها ، فيستأسرون ولا يكادون يفعلون حتى يروا الغدر ، فيأبى أحدهم أن يتبع الغادرين واذا هو مقتول ، ويبقى الآخران أسيرين يحملان الى مكة ويباعان فيها . فيشترى أحدهما صفوان ويامرنى به فأتم له ما قدر له من نعيم ، ويتم لى ما قدر لى من شقاء .

ثم يجهش نسطاس بالبكاء ويغرق فيه حينا . ثم يعود الى حديثه فى صوته ذلك الهادىء البعيد ، فيقول لقد عرفت ورأيت من أنباء هؤلاء الناس ما لم أكن أقدر أن أعرف أو أرى . ولولا أن الشقاء مقضى على ومقدور لى ، لكان فيما عرفت قبل أن أقترف الاثم صارف لى عن اقترافه ، وماذا كنت أخاف لو عصيت صفوان ولم أسفك هذا الدم الحرام ؟ وأيهما أهون على ؟ وأيهما كان خليقاً أن أوثره ؟ ألموت بيد صفوان أم الشقاء الأبدى الذى دفعت اليه ؟

لقد فرحت هذيل بمقتل عاصم بن ثابت ، وقالت مائة من الابل تدفعها الينا القرشية حين نأتيها بهذا الرأس ، ثم أقبلوا اليه يريدون أن يحتزوا رأسه ؟ ولكن ماذا سمعت وماذا تسمعون ، هذه ظلة من الدبر (١) تقوم دونه فتحميه وتمنعهم أن يصلوا اليه ، فيقول بعضهم لبعض : دعوه حتى يأتى الليل فستنصرف عنه هذه الدبر ، وسيخلص لنا رأسه . حتى إذا كان الليل هموا أن يسعوا اليه ليحتزوا رأسه ؛ ولكن ماذا سمعت وماذا تسمعون ؟ لم يبلغوه ولم يمسوه ، وإنما أقبل السيل فاحتمله ، ومضى به إلى حيث لا تبلغه يد . ولقد حدثت أن هذا الرجل كان قد نذر ألا يمس كافرا ولا يمسه كافر ، ولقد حدثت أنه لما امتنع على القوم فقاتلهم وقاتلوه ، رفع صوته ضارعاً الى ربه وهو يقول : اللهم إنى قد حميت دينك أول النهار فاحم لحمى آخر النهار . ولما بكى نسطاس عند هذا الحديث فلم يبك وحده ، وإنما بكى معه أصحابه جميعا بكاء طويلا ، حتى إذا كفكفت عبرته وهدأ عنهم البكاء مضى فى صمته ، ولكنهم ألحوا عليه أن يتم ما بدأ من الحديث ، فقال وبم تريدون أن أتحدث اليكم ؟ لقد كنت أقرأ أخبار شهدائنا وأسمع أحاديثهم فأرهبها وأكبرها وأخافها وأرغب فيها وأود لو أنى حييت فى تلك الأيام التى كانت ترخص فيها الحياة ، ويغلو فيها الايمان ، وأود لو أنى كنت واحداً من هؤلاء الناس الذين باعوا نفوسهم من الله ، فقد أتيح لى اليوم أن أعيش فى بيئة الشهداء . وأن أراهم وأتحدث اليهم وأسمع منهم ، ولكنى لم أبع نفسى من الله ، وإنما بعتها من الشيطان ، ولم أسفك دمى فى سبيل الله ، وإنما سفكت دم شهيد كريم .

ولقد سمعت اباسفيان زعيم قريش يسأله ايما احب اليه ؟ أن يقوم محمد مقامه هذا وأن يكون هو آمنا بين اهله ؟ فيجيبه والله ما احب ان تصيب محمدا شوكة تؤذيه وانا آمن بين أهلى ، فيقول ابو سفيان لمن حضر من اشراف قريش : ما رأيت احدا يحب احدا كما يحب هؤلاء الناس صاحبهم . ثم تمتد يدى الآثمة الى هذه الحياة الطاهرة فتطفىء سراجها ، والى هذا الدم الزكى فتسفكه على الارض مخافة من غضب صفوان ، ياللهول ! لقد كنت احسب ان صفوان لم يملك

(١) الدبر جماعة النحل.

الا جسمي وان نفسي مازالت حرة . فقد علمت الآن انى رقيق حقا ، وقد علمت الآن ان سلطان السادة على الارقاء قد يتجاوز الاجسام الى النفوس ، وقد علمت الآن ان الرجل الذى يرضى بالرق ولا يموت دون الحرية انما يقتل نفسه قتلا . لقد قتلت نفسى يوم آثرت الحياة وقبلت ان اكون سلعة فى يد أولئك التجار

قال رجل من اصحابه إن كان صريعك هذا شهيدا كريما، وما أراه الا كذلك ، فان رفيقه الذى قتله بنو الحارث بن عامر لم يكن أقل منه كرامة ، ولعل مصرعه أن يكون أشد من مصرع صاحبه ترويعا للنفس وتمزيقا للقلب ؛ لم يبسطوا عليه بالشر يد مولى من مواليهم أو عبد من عبيدهم ، وانما كانوا ظماء الى دمه ؛ حراصا على أن يخمدوا جذوته بايديهم . خرج به جمعهم الى التنعيم فلما ارادوا قتله استأذنهم فى أن يتقرب الى ربه بالصلاة قبل ان يخطو آخر خطواته فى الحياة ، فاذنوا له فصلى ركعتين ، ثم قال لهم لولا انى أخاف ان تظنوا بى الجزع لزدت . ثم ينهض اليه أحدهم فيقتله ويعودون عنه وانهم ليتحدثون من اخلاقه وخصاله بما كان خليقا ان يصرفهم عن قتله لولا أن قلوبهم قست فهى كالحجارة او اشد قسوة . لقد كانوا يقولون انهم جعلوا سجنه عند امرأة منهم ، وان هذه المرأة كانت تتحدث اليهم من أمره بالاعاجيب ، كانت تراه مغلولا يأكل من الفاكهة والثمر ما ليس لاهل مكة عهد به فى مثل هذا الوقت . لا تدرى كيف سيق اليه . ولقد انبأتهم انه حين اظله اليوم الذى كان يراد قتله فيه طلب اليها موسى يتهيأ بها للموت . فارسلتها اليه مع طفل صغير يدرج ، ثم لم تلبث ان راعها ما فعلت ، وان امتلأ قلبها رعبا ، وان قالت لنفسها ما يمنع هذا الاسير ان يقتل هذا الصبي فيثأر بنفسه قبل أن يدركه الموت ؟ واقبلت عليه مسرعة فاذا هو قد اجلس الطفل على فخذه وهو يداعبه ويلاعبه ، وأكبر الظن أنه انما كان يودع فيه طفلا له بعيدا . فلما رأى المرأة مقبلة وقد اخذها الروع ابتسم لها ابتسامة الحزن ، ونظر الى الطفل نظرة الحب ، وقال للمرأة : أشفقت على هذا الصبي من الغدر ، ليس الغدر من أخلاقنا

أمثل هذا الرجل كان خليقا أن تقدمه قريش فتقتله لو أن قريشا تعرف الحق ، أو تقدر الخير ، أو ترجو لله وقارا ، أو تحس فى قلوبها أثرا من اثار الرحمة والبر ؟ قال قائل منهم ما أرى الا أن لهؤلاء الناس من أهل يثرب شأنا . فلو أنهم يقيمون أمرهم على شىء من باطل هذه الحياة الدنيا لما استقبلوه بهذا الحزم ، ولما احتملوا فى سبيله هذه الأهوال ، ولما رخصت عليهم نفوسهم ودماؤهم وأموالهم واهلهم الى هذا الحد . والله انى لأسمع مايقال وأرى مايحدث فلا أشك فى أن اهل هذه الارض يستقبلون عصرا كذلك العصر الذى استقبله اهل بلادنا حين انبعث فيهم رسل المسيح . هذا الايمان الذى زين فى بعض القلوب حتى زهدها فى كل شىء ، هذا اليقين الذى سيطر على بعض النفوس حتى هون عليها كل شىء ، هذه المعجزات التى تساق الى الناس فى يسر وسذاجة وما كانوا ينتظرونها ولا يرجونها فلا تغرهم ولا تطغيهم ولا تدفعهم الى أشر ولا بطر

كل هذا دليل واضح على أن السماء لم تقرب من الأرض قربها فى هذه الأيام ، وعلى أن أخبار السماء لم تتصل بالارض اتصالها فى هذه الايام ، وعلى أن الله يريد بالناس شيئا لم نكن نقدر انه كائن , ولكن او أنه قد آن . اما انى لاحق بهؤلاء الناس ان استطعت الى ذلك سبيلا . قال الآخرون : ما ايسر ذلك وما أعسره ! وانى لمثلنا ان يفلت من سادة قريش ، وإن من حول مكة من أهل البادية لأرصادا على من أقبل من يثرب أو قصد اليها من الاحرار فكيف بالرقيق ؟ قال نسطاس وهو ينتحب فكروا فى ذلك ودبروا : وتهيأوا لذلك واستعدوا ، فأنتم أهل لهذه الكرامة ان كان الله قد قضاها لكم ؛ أما أنا فقد كتب على الشقاء ، وما أرى أن بحار الأرض لو سلطت على التنعيم تستطيع أن تغسل عنه آثار هذا الدم الزكى الذى سفكته هذه اليد الآثمة ، ثم قام عنهم يعدو مشتدا فى العدو ، فلم يروا له بعد ذلك اثرا ، ولم يسمعوا عنه بعد ذلك خبرا .

طه حسين

اكتشاف مصرى لنباتات مدهشة

لازالة النمش وحب الشباب للسيدات والرجال

اكتشف الشاب النابه ابراهيم افندى ابراهيم شافعى صاحب محل العطارة المعروف بوكالة أبو زيد بالحمزاوى المؤسس منذ سنه ١٨١٢ نباتات مصرية ذات نتيجة باهرة ، وذلك بعد التجارب العديدة ، وقد جعلها مسحوقا فى اكياس صغيرة فى متناول يد الجميع . فاذا أردت نجاحا مؤكدا فجرب كيسا صغيرا وسيدهشك النتيجة : ارفق بطلبك اذن بوستة بخمسة قروش صاغ يصلك طلبك فى الحال